كتاب التوحيد

تأليف

عبد المجيد عزيز الزنداني

١ / ٣

مكتبة طيبة

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

مكتبة طيبة
المدينة المنورة ـ شارع الستين
ت : ٨٣٦٠٥١٢ ـ ص . ب (٢١٨)

الفهرس

الجزء الثاني

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد: فهذا هو كتاب التوحيد بأجزائه الثلاثة، أضعه بين يدي القارىء، وقد راعيتُ فيه أن يكون متمشياً مع أحوال زماننا، وحرصت على ضرب الأمثلة، حتى يتحقق الهدف المنشود الذي طالما حثنا القرآن عليه، وشدد عليه في هذا الزمان، ذلك هو هدف ربط الحقائق الدينية بأدلتها المبثوثة في الكون كما قال تعالى: ﴿**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون**﴾ صدق الله العظيم، أو كما قال سبحانه: ﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار**﴾ صدق الله العظيم.

لذلك فقد يجد القارىء بعض حقائق علمية لم يكن قد عرفها من قبل في ميدان العلوم الكونية، فلا يمنعه ذلك من معرفتها من المراجع الخاصة بها، أو بواسطة التعاون مع أساتذة هذه العلوم. ومن المفيد جداً للنجاح في دراسة هذا العلم: ضرب الأمثلة، واستخدام وسائل الإيضاح المختلفة، كما أن بساطة التعبير، ووضوح الفكرة، وسهولة البرهان، أمور هامة جداً لتثبيت العقيدة في قلوب الناس، كما أن الانتفاع بما جاء في موضوع الدرس من الآيات القرآنية أمر نافع جداً، فليس هناك ما يثبت المعنى العقلي كآيات القرآن، ويستثير أحاسيس الوجدان.

أما أنت أيها المسلم ، فاعلم أن علم التوحيد هذا هو أصل دينك فإذا جهلت به فقد دخلت في نطاق العمي ، الذين يدينون بدين لا دليل لهم عليه ، وإذا فقهت هذا العلم كنت من أهل الدين الثابت الذين انتفعوا بعقولهم .

قال تعالى : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب** ﴾ صدق الله العظيم .

فإذا انتفعت بهذا العلم ، وبغيره من العلوم النافعة فإن عليك أن تعلِّم أهلك وأصحابك ، فتكون من الدعاة إلى الله الذين قال الله فيهم : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين** ﴾ صدق الله العظيم .

وبهذا أيها المسلمون تكونون مصابيح مضيئة بين أهليكم وأمتكم ينتفع الناس بكم .

أسأل الله أن يجعل العمل خالصاً لوجهه ، وأن يجعله طريقاً موصلاً إلى رضوانه .

المؤلف

الجزء الأول

الفصل الأول

علم التوحيد

تعريفه :

س : ما هو علم التوحيد؟

ج : هو علم يبحث في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية والنقلية التي تزيل كل شك، وهو العلم الذي يكشف باطل الكافرين، وشبهاتهم، وأكاذيبهم، وبه تستقر النفوس، وتطمئن القلوب بالإيمان. وسمي بعلم التوحيد لأن أهم بحوثه هو: توحيد الله. قال تعالى:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(الرعد : ١٩)

مجالات بحث علم التوحيد :

س : ما هي المجالات التي يبحث فيها علم التوحيد؟

ج : يبحث علم التوحيد في عدة مجالات هي :

١ ـ في مجال الإيمان بالله وتوحيده، وإخلاص العبادة له دون شريك.

٢ ـ في مجال الإيمان برسل الله، حملة الهدي الإلٓهي، ومعرفة ما يجب لهم كالصدق والأمانة، وما لا يجوز في حقهم كالكذب والخيانة، ومعرفة معجزاتهم وبيّنات رسالتهم، وخاصة معجزات وبيّنات وأدلة رسالة سيدنا محمد ﷺ.

٣ ـ في مجال الإيمان بالكتب الإلٓهية التي أنزلها الله هداية لعباده عبر التاريخ البشري الطويل.

٤ ـ في مجال الإيمان بالملائكة وما يقومون به من أعمال، وصلتهم بنا في الدنيا والآخرة.

٥ ـ في مجال الإيمان باليوم الآخر وما أعد الله فيه من جزاء للمؤمنين والكافرين: من نعيم في الجنة، وعذاب في النار.

٦ ـ في مجال الإيمان بقدر الله الحكيم، الذي يسير عليه كل ما في الكون: قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾

(البقرة: ٢٨٥)

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

مكانته بين سائر العلوم:

س: وما هي مكانة علم التوحيد بين سائر العلوم؟

ج: شرف كل علم يقدر بشرف موضوعه، ومجال بحثه، فإذا كان الطب أشرف من النجارة، فإنما ذلك لأن ميدان بحث النجارة: الأخشاب، وميدان بحث الطب: الأجسام البشرية. أما شرف علم التوحيد فيستمد من شرف مجالات بحثه، وهل هناك ما هو أعظم من خالق الكون؟ وهل هناك من هو أطهر من رسل الله من بني البشر؟! وهل هناك ما هو أهم من معرفة الإنسان بربه وخالقه؟ والحكمة من وجوده في هذه الدنيا، ولماذا خلقه الله عليها؟ وما هو المصير الذي ينتظره بعد موته؟ هذه هي مجالات علم التوحيد وموضوعاته.

وعلم التوحيد هو أصل العلوم الإسلامية وأفضلها وأهمها على الإطلاق.

فرضيته :

س : وهل تعلّمه فرض عين أم فرض كفاية؟

ج : تعلُّم علم التوحيد فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، بحيث يتوفر الاقتناع القلبي والعقلي لدى المسلم أنه على الدين الحق ، وأما ما زاد على ذلك فهو فرض كفاية ، إذا قام به القليل من المسلمين سقط عن الباقي .

قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ (**محمد : ١٩**) .

القرآن كتاب التوحيد الأكبر :

س : وهل اهتم القرآن بهذا العلم؟

ج : إن الموضوع الأساسي في القرآن هو موضوع علم التوحيد فأنت لا تجد صفحة في كتاب الله تخلو من الدعوة إلى الإيمان بالله أو برسوله ، أو باليوم الآخر ، أو بالملائكة ، أو بالكتب الإلٓهية السابقة ، أو بالقدر الذي سنه الله لسير هذا الكون . وإن القرآن المكي الذي نزل بمكة قبل الهجرة لمدة ثلاثة عشر عاماً يكاد يكون كله حول التوحيد وما يتصل به .

اهتمام المسلمين به :

س : وهل اعتنى به المسلمون؟

ج : إن عناية المسلمين بهذا العلم مستمدة من عناية القرآن به ، فقد كان همهم الأكبر هو : الدعوة إلى دين الله بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، أي بما يقدمه علم التوحيد من أدلة وبراهين لتثبيت العقيدة ودعوة الناس للإيمان بها ، واستمرت عناية المسلمين به مدة طويلة .

إهمال المسلمين لهذا العلم :

س : ما الذي أصاب المسلمين عندما أهملوا التوحيد؟

ج : لما أهمل المسلمون بناء العقيدة الصحيحة بواسطة علم التوحيد الذي يقوم على العلم واليقين ، بدأ الخلل يتسرب إلى عقائد الكثيرين منهم . تسرب إلى أعمالهم ، وأخذ الفساد في الاتساع حتى سهل على أعدائهم القضاء عليهم واستعمار بلادهم واستذلالهم في أرضهم وديارهم .

الخلاصة

● يقدم علم التوحيد الأدلة العقلية والنقلية على صحة وصدق العقائد الإسلامية .

● يبحث علم التوحيد في مجالات عدة هي : الإيمان بالله ، وكتبه ، ورسله ، وملائكته ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره .

● أشرف العلوم الدينية والدنيوية هو علم التوحيد ، لأنه يتعلق بالله رب العالمين ، ويستمد أهميته من عظمة الخالق سبحانه .

● وتعلم القدر الضروري منه فرض عين على كل مسلم ومسلمة لتثبيت الإيمان بالله ورسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

● ولقد اهتم القرآن بموضوعات هذا العلم وكان القرآن المكي أن يقتصر عليها وما يتصل بها .

● ولقد اهتم المسلمون الأولون به فعزّوا وسادوا ، وعندما أهملوه اختلت عقائدهم ، وسرى الخلل إلى سلوكهم وأعمالهم فاستعمر الكفار أرضهم وبلادهم .

الفصل الثاني

أهمية علم التوحيد في الدين

الإيمان أساس العمل :

س : لماذا لا يقبل الله العمل إلاّ من المؤمن؟

ج : إن الذين لا يؤمنون بالله ولا يرجون ثوابه ولا يخافون عقابه يعملون أعمالهم وهم لا يريدون بها وجه الله ، ولا يبتغون بها رضاه ولا يهمهم هل عملوا حلالاً أم حراماً فهم بهذا لا يستحقون الثواب على العمل وإن كان صالحاً ، لأنهم كفار لم يقصدوا به أن ينالوا ثواب ربهم ، ولا ابتغوا به رضا خالقهم . والكافر معاقب على كفره وضلاله ؛ لأنه لم يبحث عن دين الله ولم يحاول الاستماع إلى البيان الإلهي الذي جاء به المرسلون ، زيادة على ذلك فهو إذا سمع آيات الله تتلى عليه ، اتخذها هزواً لذلك فعمله مردود وهو معاقب على كفره .

قال تعالى :

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾

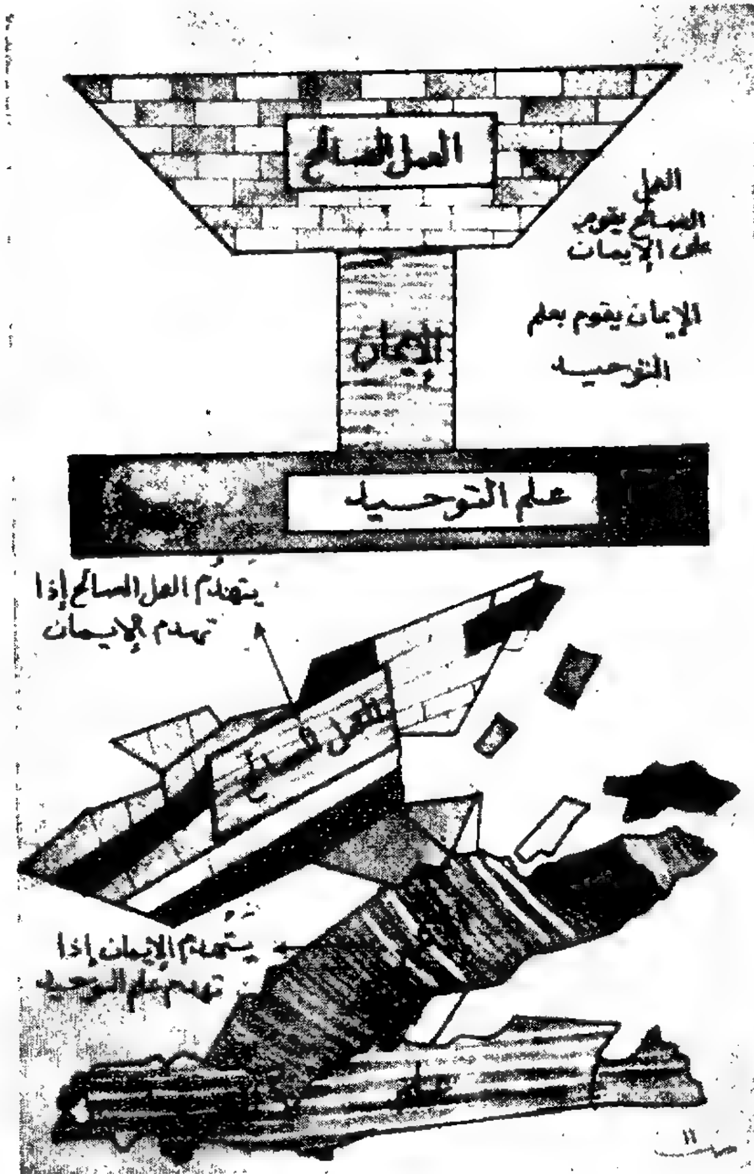
(الفرقان : ٢٣)

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾

(إبراهيم : ١٨)

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾

(النور : ٣٩)


العمل الصالح
العمل الصالح يقوم على الإيمان
الإيمان
الإيمان يقوم بعلم التوحيد
علم التوحيد
يتهدم العمل الصالح إذا تهدم الإيمان
العمل الصالح
يتهدم الإيمان إذا تهدم علم التوحيد

مثال :

دخل رجل إلى بستان كبير لا يملكه، فوجد فيه الفواكه، وأنواع المأكولات، فأكل وشرب، ثم أخذ يقوم بأعمال داخل البستان: هذه الشجرة يقلعها، وتلك يغرسها. ودخل البستان رجل آخر قال لنفسه: لن أفعل شيئاً بهذا البستان حتى أتصل بصاحبه أو من يمثله أو ينوب عنه، وأخذ يبحث عنه فإذا بمندوب صاحب البستان يصل إليهما، فاستنكر المندوب أعمال الشخص الأول، ولكنه لم يهتم بالكلام، وأخذ يتصرف بالبستان بدون إذن من مالكه. أما الشخص الثاني فقد سمع التوجيهات من مندوب صاحب البستان، وأخذ يعمل طبقاً لها، فأيهما يستحق المكافأة؟ وهل يستحق ذلك الذي اقتحم البستان وسخر من توجيهات صاحب البستان التي حملها مندوبه؟ هل يستحق مكافأة ولو عمل عملاً صالحاً في البستان؟.

لا شك أن كل عاقل يقول بأن الجزاء[1] للذي اتّبع إرشادات صاحب البستان، وأن الذي اقتحم البستان وأخذ يعمل به كما يشاء بدون رضا صاحبه ومالكه ـ رغم وصول من ينذره ـ لا شك أنه لا يستحق الجزاء، ولو أحسن في بعض أعماله.

وكذلك هذه الأرض وما فيها، ملك لله، ورسل الله هم المندوبون، والمؤمن هو الذي عمل طبقاً لهدي ربه، والكافر هو الذي يتصرف في ملك ربه، بدون إذن أو هداية، وهو في نفس الوقت قد أعرض عن رسل ربه.

باب الإسلام : أداء الشهادتين :

س : لماذا جعل الإسلام أداء الشهادتين أول أركانه؟

ج : إن تأدية الشهادة معناه : أنك مقتنع ومصدّق بأن لهذا الكون إلٰهاً

---

(١) الجزاء : أي المكافأة.

خلقه ، وأوجده ، ونظمه ، وأحكمه ، وأنه إلّه واحد لا شريك له ، وأنك أحد مخلوقاته . ومعنى الشهادة الثانية : أنك تؤمن وتصدّق وتوقن بأن محمداً رسول الله ، أرسله بالهدى وبالبيان للحلال الذي يرضي الخالق ، وللحرام الذي يغضبه ، وبأنك باتباع محمد ﷺ تتحقق طاعتك لله . ومن المعلوم أنك إذا لم تكن عارفاً بالتوحيد فإن شهادتك تكون شهادة باطلة وناقصة .

إذاً

لا بد لك من تعلُّم علم التوحيد لتكون شهادتك صحيحة ، وإسلامك صحيحاً وعملك مقبولاً . قال تعالى :

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ (محمد : ١٩)

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨)

لذلك فعلم التوحيد أصل العلوم الدينية وأفضلها .



الخلاصة

● لا يقبل الله أعمال الكافرين، ولا يتقبل الله إلا من المؤمنين.

● لأن الكافر يعمل العمل غير قاصد به رضاء مالكه وخالقه وسيده ولا يهمه أيرضى الله عنه أم يغضب، فاستحق العقاب وحرم الثواب.

● باب الإسلام أداء الشهادتين، ولا تؤدى الشهادتان كاملتين إلا إذا تعلم المرء علم التوحيد؛ لذلك كان علم التوحيد أهم العلوم في نظر الدين الإسلامي.

الفصل الثالث
أهمية علم التوحيد في الحياة الدنيا

أضرار الجهل بعلم التوحيد :

س : ما هو أثر الجهل بعلم التوحيد في حياة الناس؟

ج : **أولاً** : يعيش الذي لا يعرف خالقه كالأعمى في هذه الحياة الدنيا ، فهو لا يدري لماذا خلق ! ، ولا يدري ما الحكمة في وجوده على الأرض ! ! تنتهي حياته وهو لا يعرف لماذا بدأت ! ويخرج من الدنيا وهو لا يدري لماذا دخل إليها ؟ !

قال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾

(محمد : ١٢)

ثانياً : من لا يؤمن باليوم الآخر يغتر بالحياة الدنيا ، ويجعل كل همه أن يحقق مصالحه في هذه الدنيا قبل أن يموت ، فهو يتكالب على أطماع الدنيا ، يأخذها من حلال أو حرام ، لا يهمه أن يلحق ضرراً بغيره ، وكل ما يهمه هي مصلحته الشخصية ، وبهذه الروح الأنانية ، يتفكك المجتمع ، وتفسد المعاملة بين أبنائه ، ويكون بعضهم حرباً على بعض ، بعكس المجتمع المؤمن المتماسك .

ثالثاً : إذا فشا الجهل بعلم التوحيد فسدت العقائد ، وفسدت الأعمال ، وكثرت المعاصي والذنوب فينزل الله عقابه بالمسلمين الذين أهملوا دينهم وضيعوه .

قال تعالى :

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم: ٤١)

أثر علم التوحيد في الحياة:

س: وما هو أثر علم التوحيد في الحياة؟

ج: **أولاً**: إن الموحد المؤمن بربه ورسله، قد علم لماذا خلقه ربه فسار في هذه الدنيا على صراط مستقيم، يعرف البداية والنهاية، بعيداً عن حياة العمى والضلال.

قال تعالى:

﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(الملك: ٢٢)

ثانياً: التوحيد يجعل قلوب الناس جميعاً موحدة حول رب واحد وكتاب واحد ورسول واحد وقبلة واحدة، والإيمان يجعل الناس متحابين متآخين كما وصفهم الله بقوله:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: ١٠)

وكما وصفهم عليه الصلاة والسلام بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» والمجتمع المؤمن، مجتمع متعاون على البر والتقوى، يتناهى أفراده عن الإثم والعدوان كل منهم يعمل ليفوز برضا ربه، يخشى أن يظلم أو يسرق، أو يغش، أو يقتل، أو يخدع، أو يزني، أو يرشو، أو يرتشي، أو يكذب، أو يحسد، أو يغتاب، أو يسيء إلى أحد؛ لأنه يخشى الله، ويخاف من الوقوف بين يديه.

وعندما كان المسلمون متمسكين بالتوحيد كانوا كما وصفهم ربهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

ثالثاً: إذا انتشر الإيمان بين الناس أثمر أعمالاً صالحة ترضي الله سبحانه فيفتح عليهم أبواب الخير، وينصرهم على عدوهم.

قال تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦)

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧)

وهكذا كان المسلمون الأولون، ضعافاً فقراء فآمنوا وعملوا الصالحات ففتح الله لهم الدنيا، وأغناهم من فضله، ونصرهم على عدوهم نصراً مؤزراً.

الخلاصة

● من لا يعرف التوحيد يعشْ في حياته أعمى كالحيوان تنتهي حياته على الأرض وهو لا يدري لماذا بدأت، ويخرج منها وهو لا يدري لماذا دخل إليها.

● الذي لا يؤمن باليوم الآخر، لا تهمه إلا أطماع الدنيا يجمعها من حلال أو حرام، وبهذا تفسد الحياة ويتفكك المجتمع.

● إذا ضعف الإيمان زادت الذنوب وأرسل الله عذابه على المذنبين.

● أما المؤمن فيعرف ربه وخالقه، ويعرف لماذا خلقه الله في الدنيا

فيعيش مهتدياً بهدي الله ، سائراً على الصراط المستقيم ، والمؤمن لا يظلم ، ولا يقتل ، ولا يسرق ، ولا يأتي الفاحشة ، ولا يرتكب المحرمات وهو مؤمن ، فبهذا تصلح حياة الناس ، ويوجد المجتمع المتآخي ، المتماسك .

● الإيمان يثمر العمل الصالح ، ويرضي الخالق ، فيفتح الله البركات ، ويمد المؤمنين الصادقين بالنصر على أعدائهم كما حدث للسلف الصالح في هذه الأمة .

الفصل الرابع

كيف نعرف الله؟

معرفة وجود الله:

س: كيف نعرف وجود الله؟.

ج: إذا رأيت سيارة تتحرك أمامك من بعيد، ورأيت طيارة تطير في السماء فستجزم وتتأكد أن سائق السيارة الذي يسوقها باتقان في الطريق الملتوية موجود. وستتأكد أن الطيار موجود.

س: وكيف تأكدنا من وجود سائقيْ السيارة والطائرة؟

ج: لأنه لو لم يوجد سائق السيارة ما كنا سنرى السيارة تسير بإتقان في الطريق المتعرجة، ولو لم يوجد الطيار أو الذي يسوق الطائرة ما كنا سنرى الطائرة تطير بإتقان من بلد إلى بلد.

س: فكيف عرفنا وجود الله؟

ج: إن الله هو الذي يُسَيِّر الشمس والقمر والنجوم والكواكب وهو الذي يقلِّب الليل والنهار، وهو الذي خلق جميع المخلوقات فهو لا شك موجود.

س: وكيف ذلك؟

ج: لو أن الله ـ استغفره سبحانه ـ غير موجود فإن الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار سوف تذهب وتتوقف عن سيرها المنتظم، وستنعدم جميع المخلوقات.

لأن المخلوقات لا توجد من غير شيء، وإذا لم يوجد خالقها فلن يكون لها وجود.

قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥، ٣٦)

معرفة صفات الله:

س: وكيف نعرف صفات الله؟

ج: نعرف صفات الله بالتفكير في مخلوقاته وبالتعلم من رسله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (الجاثية: ٣، ٤)

س: وكيف نعرف صفات الله من التفكر في مخلوقاته؟

ج: إذا تفكرت في السيارة - مثلاً - فسترى:

- إن الحديد الذي في السيارة يشهد لك أن الصانع لديه حديد وأن صانع السيارة قادر على تشكيل الحديد في شكل سيارة كما ترى.
- وأن الزجاج الذي في السيارة يشهد لك أن الصانع لديه زجاج وأن لديه القدرة على تشكيل الزجاج في شكل ألواح، وفي شكل أغطية للمصابيح كما ترى.
- وأن لديه أسلاكاً لنقل الكهرباء.
- وأن لديه علماً بصناعة كل أجزاء السيارة.
- وأن لديه خبرة هندسية في صناعة السيارة.
- وأن لديه إرادة في صنع سيارة من المواد التي صنعت منها السيارة.
- وهكذا نستطيع أن نعرف كثيراً من صفات صانع السيارة.



س : وما علاقة هذا المثال بمعرفة صفات الله ؟

ج : كما عرفنا صفات صانع السيارة من التفكر في السيارة التي صنعها فكذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ نستطيع أن نعرف بعض صفات الله من التفكر في مخلوقاته .

- سنشاهد الحكمة في كل مخلوقات الله تشهد أنها من صنع **الحكيم** .
- سنشاهد الخبرة في كل مخلوقات الله تشهد أنها من صنع **الخبير**
- سنشاهد القوة في كل مخلوقات الله تشهد أنها من صنع **القوي**
- سنشاهد الصور البديعة في كل مخلوقات الله تشهد أنها من صنع **المصور البديع**
- سنشاهد الهداية في كل ما خلق الله تشهد أنه من صنع **الهادي**

● سنشاهد الحياة في كثير من مخلوقات الله تشهد أنها من صنع **المحيي**

● سنشاهد العلم في كل ما خلق الله يشهد أنه من صنع **العليم**

● سنشاهد الحفظ لكل ما خلق الله يشهد أنه من صنع **الحافظ**

● سنشاهد تدبير الأرزاق لكثير من مخلوقات الله يشهد أنه من صنع **الرزاق**

● سنشاهد النظام الموحد والاستقرار في الكون كله يشهد أنه من صنع **الواحد**

وهكذا عرفنا عند تفكرنا في مخلوقات الله أنه :

الحكيم ، الخبير ، القوي ، المصور البديع ، الهادي ، المحيي ، العليم ، الحافظ ، الرزاق ، الواحد .

س : وهل نستطيع أن نعرف كل صفات الله بالتفكير في مخلوقاته؟

ج : لا نستطيع ذلك .

س : ولماذا؟

ج : عندما تفكرنا في السيارة عرفنا أن لدى صانعها قدرة ، وعلماً ، وخبرة ، وإرادة ، وأن لديه حديداً ، وزجاجاً وأسلاكاً وغير ذلك من مواد السيارة . ولكنا لا نعرف هل صاحب السيارة كريم أم بخيل ، طويل أم قصير ، يحبنا أم يكرهنا ، ظالم أم عادل؟ .

فكذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ يمكننا أن نعرف كثيراً من صفات الله بالتأمل في مخلوقاته ، ولكن كثيراً من صفاته ستبقى مجهولة لدينا ، فلا يمكننا أن نعرف لماذا خلقنا؟ ولماذا يميتنا؟ كما لا يمكننا أن نعرف صفاته العليا

مثل: أنه المعبود والقدوس، والأعلى، والحسيب، والمنتقم والغفور إلا بتعليم منه سبحانه.

س: فكيف عرفنا ما جهلنا من صفات ربنا؟

ج: بواسطة الرسل الذين علمونا ما شاء ربنا أن نعرفه عنه.

قال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ (البقرة: ٢٥٥)

الخلاصة

● إذا رأينا السيارة تتحرك بإتقان وكذلك الطائرة، شهد ذلك بوجود السائق.

● وإذا رأينا السير المنظم للشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار، وخلق المخلوقات بإحكام وإتقان شهد ذلك بوجود الله.

● لو أن الخالق غير موجود، لكانت المخلوقات جميعاً معدومة.

● إذا تفكرنا في سيارة ـ مثلاً ـ فسنعرف أن صانعها يملك الحديد والزجاج والأسلاك وسائر المواد التي ركبت منها السيارة، وأن لديه قدرة على الصناعة وعلماً بها وخبرة هندسية وإرادة.

● وإذا تفكرنا في مخلوقات الله عرفنا أن الحكمة التي فيها من حكيم، والخبرة من خبير، والقوة من قوي، والصور البديعة من مصور بديع، والهداية من هاد، والحياة من محيي، والعلم من عليم، والحفظ من حفيظ، والرزق من رزاق، والنظام الموحد المستقر من واحد.

● أرسل الله إلينا رسله لتعليمنا ما جهلنا من صفاته وأوامره سبحانه.

الفصل الخامس

فلينظر الإنسان إلى طعامه

س : لماذا أمرنا الله أن ننظر ونتفكر في طعامنا في قوله تعالى :

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ **(عبس : ٢٤)**

ج : لقد أمرنا الله سبحانه بأن نتفكر في كل شيء وفي هذه الآية أمرنا أن ننظر ونتفكر في طعامنا ؛ لأن طعامنا من خلقه سبحانه ، وكما بيَّنا سابقاً أن في المخلوقات علامات وآيات تعرفنا ببعض صفات ربنا سبحانه .

س : وما هي صفات ربنا التي نعرفها من التفكير في طعامنا؟

ج : نستطيع أن نعرف كثيراً من صفات ربنا .

منها أنه سبحانه الرزاق ، العليم ، الخبير ، الحكيم ، الرحيم ، الكريم ، الهادي ، المحيي ، المصور .

س : وكيف نعرف أن الله هو الرزاق؟

ج : إن الله هو الذي يرزق الإنسان وهو في بطن أمه ، فلا الأم ولا الأب ولا الحكومة ولا الشعب ولا أحد يستطيع أن يرزق الجنين وهو في بطن أمه ، ولكن الله الرزاق هو الذي مدَّ أنبوبة (حبل السرة) من بطن الجنين إلى رحم أمه وساق له الغذاء مدة تسعة أشهر حتى خرج من بطن أمه .

ولما خرج من بطن أمه وقُصَّ حبل السرة ، ختم الله على الفتحة التي كان الطعام يصل منها إليه (السرة) وفتح له طريقاً جديداً (الفم والمريء والمعدة والأمعاء) .

فهل أمك هي التي ختمت فتحة السرة ، وفتحت لك الفم وأنشأت لك الجهاز الهضمي؟ وهل أسهم أبوك في شيء من ذلك؟ وهل اشتركت

الحكومة أو الشعب في صنع عِرْقٍ أو قطرة دم؟!!.

وهل قامت الجبال والأشجار والنجوم والكواكب أو أي جزء من أجزاء الطبيعة بتنظيم أمر رزقك وطعامك؟

وبعد أن خرجت من بطن أمك طفلاً صغيراً لا تستطيع أن تأكل الحبوب والثمار، أو اللحم والخبز، وغذاؤك الذي كان يأتيك إلى بطن أمك قد انقطع بقطع حبل السرة، فهل يتركك الرزاق بدون رزق؟

كلا. لقد فتح لك مصدراً جديداً لطعامك من ثدي أمك، الذي كان فارغاً من اللبن قبل ولادتك، وألهمك الرزاق أن تمص الثدي لإخراج ما فيه من اللبن، وأنت في تلك الحالة لا تعلم شيئاً؟!

فهل علمت الطبيعة الجامدة التي لا علم لها أنك قد خرجت من بطن أمك وأن غذاءك قد انقطع فكونت لك الغذاء من ثدي أمك؟!.

كيف والطبيعة صماء بكماء لا علم لها ولا حكمة؟!

وهل أسهم أحد من المخلوقين في تكوين غذائك من ثدي أمك؟!

إن أمك التي تتغذى من ثديها لم تفعل ذلك اللبن وإنما هي مسخَّرة لك بأمر ربك وربها.

ولكن إلى متى تستمر في الاعتماد على أمك؟

سيأتي لك إخوة آخرون يريدون ثدي أمك..

وستحتاج أن تبتعد عن أمك وتستقل بنفسك..

إذن لا بد من مصدر جديد.

- إن الذي رزقك في جوف الرحم.
- والذي رزقك طفلاً صغيراً من ثدي أمك:

قد أعد لك الرزق في كل مكان تذهب إليه على هذه الأرض فأوجد التربة الصالحة للزراعة.

وأوجد الماء الذي يحتاجه النبات لصناعة الطعام لك وللناس جميعاً.

وأوجد الهواء الذي يحتاجه النبات لصناعة الطعام لك وللناس جميعاً.

وأوجد الشمس التي يحتاج إليها النبات في صناعة الطعام.

وأوجد النبات بكميات كبيرة لصناعة طعامك وغذائك.

وأخرج لك الثمار.

وما كان منها صغيراً جمعه لك في سنابل كالقمح والشعير أو في عناقيد كالعنب.

وما كان كبيراً أو متوسطاً جعله مفرقاً كالتفاح والبطيخ والبرتقال والجزر.



ثم جعل لك (وزشة) الأسنان القاطعة والممزقة والطاحنة والخلاطة (اللسان) واللعاب المبلل ليسهل لك الأكل من هذه الأشجار وثمارها.



وهكذا بالتفكير في مخلوقات الله نعرف أن الله هو الرزاق سبحانه.

س: وكيف نعرف باقي الصفات التي ذكرتها سابقاً؟

ج: نعرف أن الله هو العليم.

لأن الذي أوصل لك الغذاء وأنت في بطن أمك قد علم أنك بحاجة إلى الغذاء فساقه إليك، وكوّن حبل السرة، ولما خرجت من بطن أمك علم بخروجك فساق لك الغذاء من ثدي أمك، وعلم بأن الماء في التربة فخلق له الجذور وما فيها من ماصات جذرية للماء والأملاح، وعلم بحاجة اليخضور في الأوراق إلى ضوء الشمس فجعل الأوراق معرضة لضوء الشمس، وعلم بحاجة النبات إلى الماء فساق إليه الماء. فلا شك أن الله هو الرزاق العليم سبحانه.

س: وكيف نعرف أن الله هو الحكيم؟

ج: إذا شاهدت الإحكام بين حبل السرة وجسم الطفل ينمو بنموه ويرتبط به وبرحم الأم في غاية الإتقان، وإذا رأيت الإحكام في تركيب لبن الأم الذي يتناسب مع نمو الطفل، وإذا رأيت الإحكام في تركيب أجزاء

النبات، وفي إخراج الثمر وتخزينه، شهد لك كل ذلك الإحكام أنه من صنع الرزاق العليم الحكيم.

س: وكيف نعرف أن الله هو الخبير؟

ج: إن نقل غذاء الأم المهضوم بين الدماء إلى جسم الجنين عن طريق حبل السرة لا يتم إلا بخبرة خبير.

ألا ترى أن نقل محتويات إبرة إلى الوريد يحتاج إلى خبرة وحكمة؟ فكيف بنقل مستمر طوال تسعة أشهر للغذاء من جسم الأم إلى جسم الجنين؟!

وكذلك استخراج اللبن من الغذاء الذي تأكله الأم لا يكون إلا بخبرة خبير.

وتكوين الحبوب والثمار المختلفة الأشكال والألوان والطعوم مع أنها جميعاً قد تكون من تراب واحد وسقيت بماء واحد وتنفست أشجارها هواء واحداً، وتحركت مصانعها بطاقة شمس واحدة.

ألا إن كل ذلك يشهد أنه من صنع الخبير الرزاق العليم الحكيم.



س: وكيف نعرف أن الله هو الرحيم؟

ج : إذا عرفت عجز الجنين في بطن أمه عن تدبير رزقه، وعرفت عجز الرضيع عن رزق نفسه، وعجز الإنسان عن صنع الحبوب والثمار، وتكوين المطر، وصنع الهواء.

إذا عرفت ذلك، وعرفت كيف أنقذ الله عبده بصنع ما يحتاج إليه من غذاء في الرحم والثدي والنباتات، شهد لك ذلك كله أنه من صنع الرزاق الحكيم العليم الخبير الرحيم.

س : وكيف نعرف أن الله هو الكريم؟

ج : إن الإنسان إذا تولى النفقة على عشرة أشخاص بدون مقابل سماه الناس كريماً، فما بالك بمن تكفل بأرزاق البشر أجمعين بل وتكفل بأرزاق كل الكائنات الحية.

إن ذلك كله يشهد أنه من صنع الكريم سبحانه:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (هود: ٦)

س : وكيف نعرف أن الله هو الهادي؟

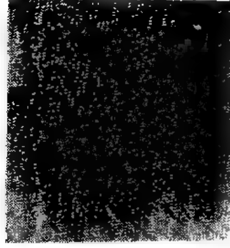
ج : إذا رأيت الثدي بعد الولادة قد امتلأ باللبن فمن الذي هداه إلى ذلك؟ ومن الذي هدى الطفل أن يمتص ذلك الثدي الذي امتلأ لبناً؟!

لا شك أن ذلك يشهد أنه من صنع الهادي.

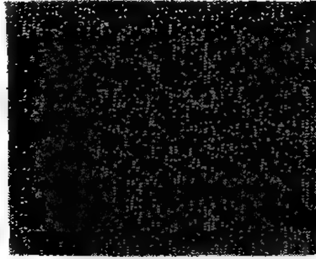
وإذا رأيت البذرة تنفلق في التربة فتتجه أغصانها إلى أعلى الأوراق وتتجه جذورها إلى أسفل حتى ولو كانت الحبة مقلوبة، إن ذلك يشهد أنه من صنع الهادي سبحانه.

وهذه الأوراق التي ترتب في كل شجرة بنظام محكم بحيث تتعرض

جميعها للشمس، ولا تغطي إحداها الأخرى.



فمن الذي يهدي كل ورقة إلى مكانها الصحيح؟



إنه بدون شك الهادي الرزاق الحكيم العليم الخبير الرحيم الكريم سبحانه.

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾

(الأعلى: ١ - ٣)

س: وكيف نعرف أن الله هو المحيي؟

ج: إن التراب والماء والهواء والضوء كلها مواد ميتة لا تنمو ولا تتحرك ولا تتنفس، ولا تتزاوج ولا تتغذى، فإذا رأينا أن الخالق يُكوّن من هذه المواد الميتة نباتات وأشجاراً تنمو، وتتنفس، وتتحرك، وتتغذى، وتتزاوج فتنتج الثمار والحبوب، عرفنا أن الخالق قد جعل من المواد الميتة أشجاراً ونباتات حية ونعلم أنه المحيي سبحانه وأنه الرزاق الحكيم العليم الخبير

الرحيم الكريم الهادي جل وعلا.

س: وكيف نعرف أن الله هو المصور؟

ج: إذا رأيت قطعة من الطين قد تحولت إلى صورة شجرة مثمرة فأنت تجزم بأن تلك الصورة لا تكون إلا من صنع مصور.

فإذا رأينا التراب وقد أحياه الله فجعله نباتات مختلفة الأشكال والألوان والثمار، لكل شجرة رسم خاص في أوراقها وعروقها وأغصانها وأزهارها وثمارها، فمن جعل التراب والماء والهواء وضوء الشمس حدائق ذات بهجة، في أجمل صورة؟!

إن ذلك كله يشهد أنه من صنع المصور سبحانه وتعالى.

وهكذا بالتفكير في خلق الله، وبالتأمل في طعامنا عرفنا بعض صفات ربنا:

فشهد لنا تدبير الرزق أنه من صنع **الرزاق**.

وشهد لنا الإحكام في الخلق أنه من صنع **الحكيم**.

وشهدت لنا الخبرة في الصنع أنها من صنع **الخبير**.

وشهد لنا العلم الذي ركب به الخلق أنه من صنع **العليم**.

وشهدت لنا الرحمة المشاهدة بما خلق الله أنها من صنع **الرحيم**.

وشهد لنا الكرم الفائض أنه من صنع **الكريم**.

وشهدت لنا الهداية المقدرة الموجهة أنها من صنع **الهادي**.

وشهدت لنا الحياة المتنوعة أنها من صنع **المحيي**.

وشهدت لنا الصور المتقنة أنها من صنع **المصور** البديع سبحانه.

س: وما فائدة معرفتنا ببعض صفات الله؟

ج : إذا عرفنا الصفات عرفنا الموصوف، فإذا عرفنا أن الذي خلق الطعام هو الرزاق، الحكيم، الخبير، العليم، الرحيم، الكريم، الهادي، المحيي، المصور.

عندئذٍ نجزم بأن الله سبحانه هو صاحب هذه الصفات.

لأن الطبيعة التي يزعم الكافرون أنها خلقت النباتات وغيرها لا تتصف بهذه الصفات.

فلا تدبير للطبيعة حتى نقول: إنها التي دبرت الأرزاق ولا إرادة لها.

ولا حكمة للطبيعة.

ولا خبرة للطبيعة.

ولا علم للطبيعة.

ولا رحمة للطبيعة.

ولا كرم للطبيعة لأنه لا أخلاق لها.

ولا هداية للطبيعة.

ولا حياة للطبيعة تمكنها أن تهب الحياة لغيرها.

ولا تصوير للطبيعة حتى نتوهم أنها التي أبدعت هذه الصور الجميلة.

وما قيل في الطبيعة يقال في كل وثن أو صنم تعلق الناس بهما قديماً أو حديثاً فنعرف ونجزم أن الله هو الرزاق، الذي أوجد لنا الآيات الدالة عليه في مخلوقاته سبحانه، وقال لنا في كتابه:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا
فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

(عبس: ٢٤ - ٣٢)

الخلاصة

● أمرنا الله بالتفكر في طعامنا لأنه جعل في كل ما خلق علامات تعرفنا ببعض صفاته.

● وإذا تأملنا كيف ساق الله الرزق للإنسان وهو في بطن أمه، ثم كيف ساقه له من ثدي أمه، ثم كيف ساقه له من نباتات الأرض، عرفنا أن الله هو الرزاق سبحانه.

● ونعرف أن الله هو العليم لأنه علم بحاجتك إلى الرزق وأنت في رحم الأم فساقه إليك، وعلم بخروجك من بطن أمك فساق لك الغذاء من ثديها، وعلم بوجود الماء في التربة فجعل في النباتات جذوراً وماصات جذرية، وعلم بحاجة الأوراق واليخضور - الذي فيها - إلى ضوء الشمس فجعل الأوراق تنمو في اتجاه ضوء الشمس.

● ونعرف أن الله هو الحكيم عندما نشاهد الإحكام المتقن في صنع حبل السرة، وعندما رأينا الإحكام في مناسبة لبن أمك أثناء نموك، وعندما نرى الأحكام في كل جزء في النباتات.

● ونعرف أن الله هو الخبير عندما نرى الخبرة في نقل الغذاء إليك من أمك وأنت في رحمها وعندما نرى استخراج اللبن من الطعام الذي تأكله الأم، وعندما نفكر في تكوين الثمار المختلفة من تراب واحد وماء وهواء واحد وشمس واحدة.

● ونعرف أن الله هو الرحيم عندما نعرف أننا بدون رزق منه نموت فرحمنا وساق لنا الأرزاق برحمته وفضله.

● ونعرف أنه الكريم سبحانه عندما نرى رزقه غمر كل مخلوق.

● ونعرف أنه الهادي عندما نرى التوجيه السديد للثدي الذي امتلأ بعد

خروج الجنين من بطن أمه ، وعندما نرى الإلهام للطفل لمص ثدي أمه وهو لا يعلم شيئاً ، وعندما نرى التوجيه المقدر في نمو البذور وفي نمو الأرزاق .

● ونعرف أنه المحيي عندما نشاهد الحياة تدبُّ في المواد الميتة .

● ونعرف أنه المصوِّر عندما نرى الصور الجميلة المختلفة تتكون من تراب وماء وهواء .

● وإذا عرفنا أن الذي خلق الطعام هو الرزاق ، العليم ، الحكيم ، الخبير ، الرحيم ، الكريم ، الهادي ، المحيي ، المصوِّر سبحانه ، عرفنا أنه الله لأن الطبيعة أو الأوثان بكل صورها لا تتصف بهذه الصفات .

الفصل السادس

السيول الطائرة

السحاب سيل طائر:

س : ما هو السحاب؟

ج : السحاب ماء يطير في الهواء فإذا كان كثيراً تكونت منه السيول العظيمة، التي تسقط إلى الأرض مكونة مياه الآبار، والأنهار (والغيول) والعيون والمياه الجوفية، التي نشرب منها، ونسقي زرعنا وأنعامنا. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ﴾ **(الزمر: ٢١)**

س : كيف يتكون السحاب؟



ج : يرسل الله حرارة الشمس فتتبخر مياه البحار فيصعد إلى السماء ماء عذب، لا ملوحة فيه. ولكن هذا البخار لا يستمر في صعوده ليصب في القمر أو المريخ، فليس المقصود أن يصب هناك، إنما المراد أن يصب غيثاً لعباد الله في أواسط القارات، وشتى أنواعها، فالحاجة ماسة له هناك. فقدّر الله نظاماً يسير به ماء البحر غيثاً لخلقه.

س : وما هو هذا النظام (السنة الإلّهية)؟

ج : ١ ـ لقد جعل الله حرارة الشمس والرياح سبباً في رفع بخار الماء من البحر إلى فوق مستوى الجبال (في الغالب).

وذلك لكي لا تعوق الجبال انتقال الماء من فوق البحر إلى أواسط القارات. ورفع الله ماء البحر (بخاراً) ولم يرفع معه الملح الذي يختلط بماء البحر لكي لا يضر ذلك الملح الإنسان والنبات والحيوان.

قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة : ٦٨ ـ ٧٠)

٢ ـ لقد جعل الله الرياح وحرارة الشمس سبباً في رفع الماء من البحر إلى فوق مستوى الجبال كما قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ (الأعراف : ٥٧)

وأقلّت : أي حملت ورفعت.

وجعل الله البرودة في الجو ـ التي تزداد بالارتفاع من مستوى سطح البحر إلى ارتفاع ٨ أميال ـ سبباً في إيقاف ارتفاع الماء إلى أعماق السماء.

س : ولماذا تزداد البرودة بالارتفاع إلى أعلى؟



ج: إذا ارتفعنا إلى أعلى قربنا نسبياً من الشمس وكان المفروض أن تزداد درجة الحرارة كما هو الحال في طبقات الجو العليا. ولكن الله جعل الأمر عكسياً كلما ارتفعنا انخفضت درجة الحرارة إلى مسافة ثمانية أميال بدلاً من زيادتها. وذلك لكي يسكن الماء الذي خرج من البحر في جو الأرض ولا يستمر تصاعده حتى يتبدد في أعماق السماء.



قال تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (المؤمنون: ١٨)

س: وما هي سنة (تجميع بخار الماء)؟

ج: إن بخار الماء خفيف لا يرى، فيتصاعد إلى أعلى، فيرسل الله

الرياح محملة بذرات (الدخان، والأتربة، وحبوب اللقاح) فتتلقح جزئيات بخار الماء بها، فتستثيرها، فيتجمع بخار الماء حول تلك الجزئيات الملقحة مكوناً أغلفة مائية، حتى تصل إلى حجم كبير نشاهده سحاباً عندئذٍ قد أخذ يثقل بتجمع أجزائه فيساعد ذلك على عدم مغادرة بخار الماء لغلاف الأرض.

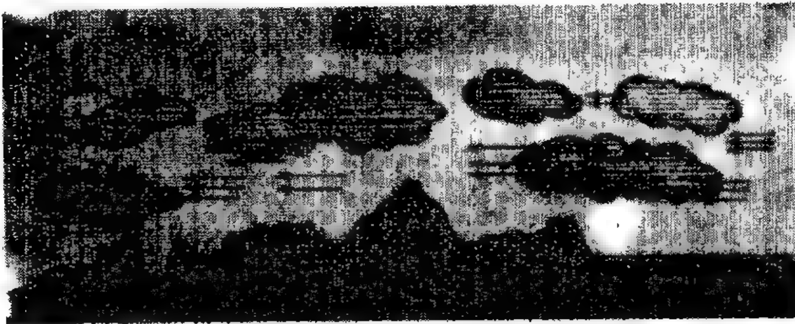
قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾

(الروم: ٤٨)

س: وهل هناك سنن أو قوانين أخرى سنها الله للمشاركة في تنظيم سير المطر؟

ج: نعم السنتان الإلّهيتان السابقتان: (سنة رفع الماء عذباً من البحار فوق مستوى الجبال، وسنة وقف ارتفاعه بالتكثيف والتلقيح بالرياح لتثقل) عملتا على رفع ماء عذب إلى فوق مستوى الجبال فقط.



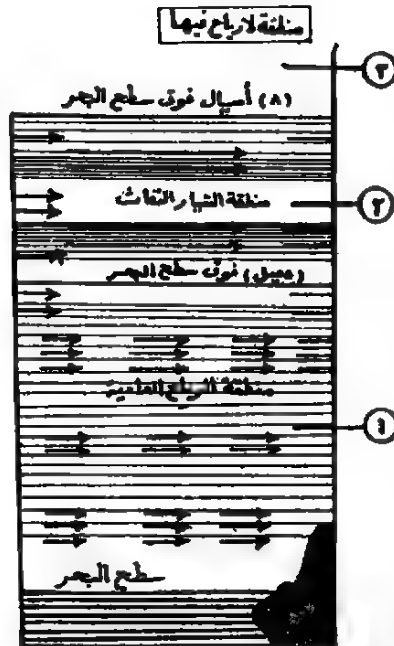
٣ ـ وهناك سنة ثالثة وهي: نقل هذا الماء من فوق البحار إلى أعماق القارات وذلك بواسطة الرياح التي تسوق السحب دون أن تتقاضى من

الناس ثمناً أو أجراً، لأنها مسخَّرة لهم بأمر ربهم.

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٧)

وانظر إلى الحكمة في تقدير الرياح، بحيث كان قدرها وسرعتها مناسبين جداً لاستثارة السحب وثقلها، لا لتكون مدمرة مخربة. ولقد أعطانا الله عبرة ببعض العواصف والأعاصير المدمرة التي تبلغ سرعتها (٧٥ ميلاً) في الساعة، أما لو بلغت سرعة سير الرياح (٢٠٠ ميل) في الساعة لما أبقت شيئاً على الأرض إلا دمرته. ولتعلم بآثار رحمة الله عليك، فاعلم أن هذه الرياح موجودة في الأرض فوق رأسك ما بينك وبينها إلا خمسة أميال فقط حيث

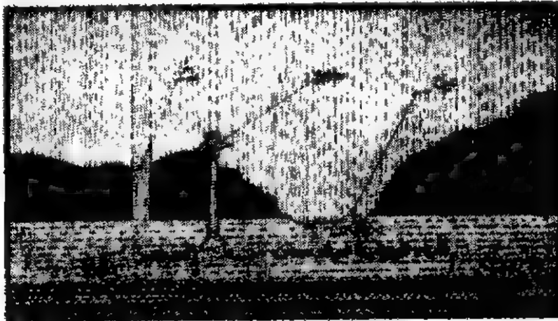


يوجد التيار النفاث في الرياح التي تسير بسرعة (٢٠٠ ميل) في الساعة على ارتفاع (٥ أميال) فوق سطح البحر ولو نزلت هذه الرياح مسافة بضعة أميال لاختل نظام الحياة بعد أن يختل النظام الذي يسير عليه المطر، ولتعرض كل ما في الأرض للدمار وتشغل هذه الرياح المدمرة: (التيار النفـاث) منطقـة ارتفاعها ثلاثة أميال وبعدها تأتي منطقة لا رياح فيها فلو كانت المنطقة رقم (٢) في مكان المنطقة رقم (١) لدمرت الرياح الهوجاء كل شيء، ولو كانت المنطقة رقم (٣) بدلاً عن المنطقـة رقـم (١) لمـا تحـرك ماء إلـى داخـل القارات، ولمات الناس والأنعام عطشاً، فانظر إلى التصـميم الحكيم في هذه الأرض.

٤ ـ وهناك سنة إلّهية تعمل على إنزال المطر قطرات صغيرة، لا سيولاً متدفقة تدمر كل شيء.

٥ ـ وهناك سنة إلّهية أخرى تجري المـاء أنهـاراً (وغيولاً) تنتشـر في الأرض، كانتشار عروق الدماء في جسم الإنسان.

٦ ـ وهناك سنة إلّهية تعمل على امتصاص أغلب الماء؛ لتحفظـه من التعفن، ولتصبح الأرض صالحة للسير عليها بدون عائق من الماء.



٧ ـ وهناك أيضاً سنة إلّهية تعمـل علـى حفـظ المـاء قريبـاً من سطـح الأرض، فينتفع به الناس في شكل عيون وآبار، بواسطـة صحـن إلّهـي من

الحجر يحفظ لنا المياه الجوفية حتى لا تغور في أعماق الأرض.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ (الملك: ٣٠)

إذاً

● هناك تصميم حكيم في هذه الأرض يعمل تحت أمر خالقه بإتقان ونظام.

● هناك قوانين (وسنن) ثابتة، مقدّرة، متقنة، تعمل على تكوين ماء المطر ورفعه من البحار إلى فوق مستوى الجبال بعد تخليصه من الأملاح، ثم نقله إلى المخلوقات المحتاجة إليه في أواسط القارات وإنزاله نطفاً دقيقة نافعة غير ضارة، وتسييره أنهاراً نافعة وامتصاصه لكي لا يعوق سير الحياة، ولكي لا يبعث العفونة، ولكي يحفظه قريباً من سطح الأرض بصحن صخري.

مجيب الدعاء:

اسأل العارفين برحمة ربك سميع الدعاء، اسألهم عن إجابته سبحانه دعوة المضطرين وإغاثته للملهوفين.

اسأل كم أصيبت أراض بالجفاف وانعدام المطر، فخرج المسلمون ـ كما علمهم رسول الله ﷺ ـ يدعون ربهم مستغيثين، وما صدق قوم في دعاء ربهم إلا أجاب الله دعاءهم وأغاثهم بالمطر، وبهذا يشهد مئات الملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

ذلك هو التطبيق العملي الذي نعرف به أن خالق المطر هو السميع مجيب الدعاء.

قال تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)

نقاش

- من صاحب التركيب الحكيم في تصميم الأرض؟
- من الذي قضى بهذه السنن والقوانين المنظمة الدقيقة المحكمة؟
- من الذي سمع دعاء المستغيثين فأجاب دعاءهم وأنشأ السحاب وأنزل المطر:
- وثن لا يقدر على فعل شيء ولا يعقل أمراً؟!
- طبيعة عمياء صماء بكماء لا تملك إرادة أو تدبيراً؟!
- أم أن العدم هو الذي أنشأ، وصمم، وأوجد، وكوَّن، وقدَّر، وأتقن، وسمع، وأجاب، وهو العدم الذي لا وجود له. فكيف ينتج الموجود من معدوم؟!
- أم أن ذلك كله شاهد يتحدث إلى العقول البشرية أن له رباً حكيماً، قادراً، خبيراً، سميعاً، مجيباً، رازقاً، مقيتاً، مغيثاً لعباده؟! إن هذه السنن المحكمة، المقدرة، التي تنظم تكوين الأمطار وسيرها، تتحدث إلى العقول بقدرة ربها، وصفات خالقها، ووجود منشئها، فلولاه ما كان شيء مما تشاهد الأبصار من نظام وإتقان وتدبير وإحكام.

خلاصة شعرية

كن يا أخي إلى السحاب ناظرا كيف غدا سيلاً يسير طائرا
أرسله لنا الإله رحمة فهل شكرت للإله النعمة
فسلط الشمس على البحار لبعث ما فيها من البخار

ورفـعِ مائـه إلـى السماء — فوق الجبـال هذه الشماء
وحاطـه ببـارد الهواء — لوقف رفعـه إلـى السماء
ولـو أراد أوجـد الحرارة — فلا ننـال عندهـا قطارة
وسـاق نحـوه الـرياح نشرا — تثيره بعـد سحابـاً معصرا
فلا الجبـال تستـطيع رَدَّ ذا — إن شاء من ورائهـا أن ينفذا
وسـاق أخـرى مثلهـا الخلاق — بقـدر منـه له تستاق
ولـو جرى من السمـاء سائلا — لأمطـر النـاس الفنـاء العاجلا
هذا إذا أنـزلِ سيلاً في البلد — فكيف لو صب جبـالاً من بَرَد؟
أنزلـه رفقـاً بنـا.. قطاراً — وبعضـه سخَّـره أنهارا
وبعضـه يمتصـه هذا الثرى — كي لا يكون عائقـاً سير الورى
لكن بقـدر لا إلـى الأعماق — يكف عنـه الغـور في الطباق
وفـوقَ صحـن كائـن من الحجر — خزنـه لليسـر في نفـع البشر
فيا ترى أذلك التدبير — تدبير من ليس له تفكير؟!
من وثـن أصـم أو طبيعة — جامـدة لربهـا مطيعة؟!
أم أنـه لا ريب حقـاً شاهد — بأن مولاه الإلَـه الواحد
وكم أصـاب المسـلمين من جفاف — فنفـروا ثقالهـم مع الخفاف
وطلبـوا من الإلَـه الفرجا — فحققـوا الفـوز ونالـوا المخرجا
فهـل طبيعـة أجابـت أم وثن؟! — أم أنـه السـميع كشَّـاف المحن

للشاعر: عبد الرحمن قاضي

الخلاصة

- الله خالق الأرض وما فيها بتصميم حكيم.
- الله الذي سخر الشمس وحرارتها لرفع الماء العذب فوق مستوى الجبال.

● الله الذي أرسل الرياح، وأنشأ السحب وأنزل الأمطار.

● الله الذي أجرى الأنهار (الغيول) وفجّر العيون وخزّن المياه الجوفية وحفظها من الضياع في أعماق الأرض بصحن صخري.

● الله الذي خلق الإنسان والحيوان والنبات وتكفل بالغذاء والمشرب فوفّر لهم أسبابها.

● الله هو السميع مجيب الدعاء كاشف الضر مغيث الملهوف.

● إن الأوثان العاجزة والطبيعة البليدة الصماء البكماء لا تقدران على صنعٍ أو تدبيرٍ أو سمعٍ أو إجابة.

الفصل السابع

البَحر الذي نعيش في أعماقه

الهواء والحياة:

س: ما هي أهمية الهواء لحياتنا؟

ج: سد أنفك وفمك لمدة دقيقة أو دقيقتين، عندئذٍ ستعرف أهمية الهواء بالنسبة لحياتك، لأنه يحتوي على الأكسجين الذي تحتاجه، وستجد أنه لو انعدم الهواء لمات الناس جميعاً في دقائق معدودة، وكذلك جميع الحيوانات التي تتنسم الهواء. وتفكر هل تستطيع الاستغناء عن نعمة الهواء التي أنعم بها عليك لمدة بضع دقائق؟ وتفكر هل قمت بواجب الشكر لربك؟

فوائد أخرى للهواء:

س: وهل للهواء فوائد أخرى؟

ج: نعم.



١ ـ يكوّن الغلاف الهوائي المحيط بالأرض درعاً واقياً لسكان الأرض

من الشهب والنيازك التي تسقط على الأرض كل يوم بالملايين.

فقد قدرت كثافة الهواء بإحكام حتى يتمكن من إحراق الشهب والنيازك قبل وصولها إلى الأرض بالغلاف الجوي، ولولا ذلك لأحرقت الشهب المدن، والقرى والمحاصيل.

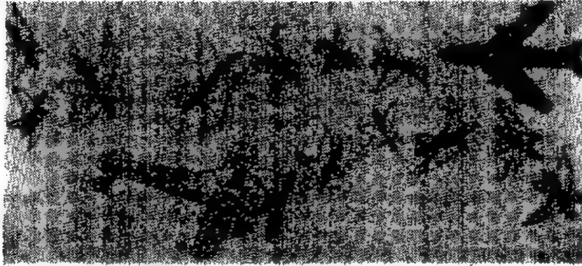
كما يقوم غلاف (الأوزون) المحيط بالأرض على بعد عدد من الأميال بحماية الأرض وأحيائها من الأشعة الكونية المميتة التي تتجه إلى الأرض من السماء.

٢ ـ يقوم الهواء (الرياح) بتلقيح الأزهار في النباتات فتثمر ولولا ذلك لما وجدنا ثمرة في كثير من النباتات.

قال تعالى:

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ (الحجر: ٢٢)

٣ ـ وعلى الهواء ينتقل الطير والطائرات.



٤ ـ والهواء بحر نعيش في أعماقه له ضغط على أجسامنا يوازن ضغط سوائل الجسم والدم وغير ذلك ولولا ذلك الضغط المناسب لانفجرت عروقنا، والدماء التي فيها وبهذا التعادل لا نحس ضغط الدم ولا ضغط الهواء.

٥ ـ والهواء (الرياح) ينقل لنا الأمطار مجاناً.

٦ ـ انتفع الإنسان كثيراً بالهواء في تسيير السفن الشراعية عبر القرون المتطاولة السابقة.

قال تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ (الشورى: ٣٣، ٣٤)

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ (الجاثية: ٣، ٦)

توفيره وسهولة أخذه:

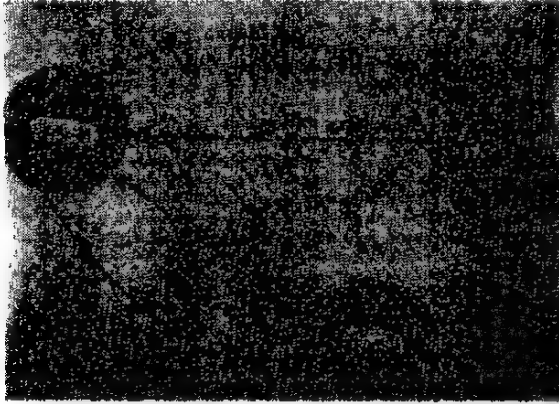
س: وما هي الحِكَم الأخرى المشاهدة في تكوين الهواء؟

ج: آيات الله في مخلوقاته كثيرة فمنها:

١ ـ توفير الهواء ـ الذي هو أهم محتاجات الإنسان على الإطلاق ـ فأوجده الخالق الرحيم في كل مكان على وجه الأرض فلا تتكلف في جمعه ولا في نقله ولا في خزنه.

٢ ـ وإذا تأملت في استهلاك الناس الدائم ـ وكذا الحيوانات ـ للهواء الصالح (الأكسجين) وتحويله إلى هواء فاسد خنق (ثاني أكسيد الكربون) فلا تقلق على مصيرك، وتقول: إن استهلاك (الأكسجين) باستمرار، سيؤدي في وقت قريب إلى انعدامه، وعندئذٍ نموت، لا.. لا تقل ذلك فإن لك رباً رحيماً قد عوّضك عن كل نقص يحدث في (الأكسجين) باستمرار، وذلك

بواسطة النباتات التي تأخذ (ثاني أكسيد الكربون) وتعيد الأكسجين المستهلك للحيوانات والإنسان.



٣ ـ خلق جهاز دقيق في الإنسان وهو لا يزال في بطن أمه هو (الجهاز التنفسي) ويعمل باستمرار بدون كلل أو توقف منذ أيام الولادة الأولى وحتى الوفاة. يعمل ونحن في النوم أو في اليقظة، فكما أن خالقنا يسَّر لنا وجود الهواء في كل مكان، فمن رحمته أن يسَّر لنا أخذه بطريقة تنفسية آلية لا تتعبنا ولا تؤلمنا ولا تكلِّفنا جهداً أو مشقة.



إذاً

الله هو خالق الحياة وهو الذي أمدَّ الأحياء بما تحتاج من الهواء.



الله هو الذي أنعم على الأحياء بالهواء للتنفس، والذي يحميهم من أخطار الشهب والنيازك، ويلقِّح لهم كثيراً من النباتات، وينقل الأمطار إليهم، وعليه يطيرون، ويوازن ضغط السوائل في أجسامهم.

هل تشاهد:

● الحكمة العظيمة في خلق الإنسان محتاجاً للهواء هي التي لأجلها خلق الله تعالى للإنسان ذلك الهواء المناسب لحياته، ووفَّره له بكميات هائلة.

● التقدير البديع الحكيم في كثافة الهواء التي تحرق الشهب والنيازك قبل الوصول إلى الأرض، والتي تعطي الهواء ضغطاً مناسباً دقيقاً يعادل ضغط سوائل جسم الإنسان الداخلية وتمكن الطير من الطيران بسهولة.

● حركة الهواء (الرياح) التي تقوم بتلقيح النباتات والسحب واستثارة السحب ونقلها إلى أواسط القارات، وفي تسيير السفن الشراعية ردحاً من الزمن.

● ذلك التوفير الهائل للهواء بكمياته المناسبة للحياة في كل مكان على وجه الأرض.

● ذلك التوازن الدقيق، المتقن، المقدَّر بين (الأكسجين) الهواء الصالح والهواء الفاسد (ثاني أكسيد الكربون).

● وذلك الجهاز التنفسي المحكم الذي يباشر أعماله بدون توقف وفي غاية من الدقّة والسهولة، وبآلية لا تكلف الإنسان جهداً أو مشقة في نومه أو يقظته.

● فمن صاحب هذه الحكمة العظيمة وذلك التقدير البديع، والتنظيم الحكيم، والتوازن المتقن، والتركيب العجيب؟

● أوَثن لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ولا يملك حولاً ولا قوة؟!

● أطبيعة صماء عمياء جامدة لا تملك حكمة ولا إرادة؟!

● أعَدَم لا يفعل شيئاً؟!

● أم أن تلك الحكمة المشاهدة والتقدير البديع والتنظيم الحكيم، والتوازن المتقن والتركيب العجيب كل ذلك شاهد أمام كل عاقل بأن رباً حكيماً، وخالقاً عظيماً، ومريداً خبيراً بصيراً، ومنشئاً رحيماً، هو خالق الهواء المحيط بأرضنا بتقدير حكيم وصنع لطيف؟ وهو غير هذه المخلوقات المشاهدة. هو الله سبحانه.

الفصل الثامن
سكن وأمن

بيوتنا :

س : ما معنى قوله تعالى :

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنًا﴾ (النحل : ٨٠)

ج : معنى ذلك ـ والله أعلم ـ أن بيوتنا محل راحة ، وهدوء وسكن نأوي إليها عند التعب ، ونحتمي بها من حرِّ الصيف ، وبرد الشتاء ، وهجمات الوحوش ، وهبوب الرياح ، وهطول الأمطار . فتكون البيوت سكناً لنا ولأهلينا أطفالاً ونساء ؛ فبرحمة الله وتقديره وجدنا فيها مأوًى ومقراً نسكن فيه ونهدأ ، ونحتمي فيه من كثير من الأخطار .



ولو شاء الله ما جعل لنا في بيوتنا سكناً . فهو القادر على إرسال الزلازل التي تجعلنا نفر من تلك البيوت ، أو العواصف التي تجعلنا نهرع إلى الجبال ، أو يرسل البرق أو الفيضانات أو يجعل الأرض رخوة تغوص البيوت فيها بمن فيها . لكن الله سبحانه وتعالى جعل لنا من بيوتنا سكناً .

ولقد يسَّر لنا أدوات البناء وإمكانيات التعمير:

● فمنحنا عقولاً مفكِّرة ترسم وتخطط وتهندس، وأعطانا أبصاراً ترى، وآذاناً تسمع وتتعلم الخبرات والتجارب، ووهب لنا أياديَ تعمل، وأقداماً تسير، ومنحنا علماً ذلل لنا به الصعاب..

● ويسَّر لنا مواد البناء، وذللها لنا؛ فهذه الأحجار نقطعها من الجبال والجبال خاضعة، نأخذ منها ما شئنا، ونقطع منها ما نريد، دون أن تقاومنا أو تمتنع علينا. وتلك الأخشاب نقطعها وننجِّرها وهي خاضعة مستسلمة لفعلنا.

وكذلك التراب والطين والحديد والأسمنت كلها قد سخِّرت لنا واستسلمت بأمر ربها.

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ (غافر: ٦٤)

أثاث وفراش:

س: وهل هناك نِعَم أخرى تدخل في نطاق مساكننا؟

ج: نعم.. إن البيوت بغير فراش وأثاث ناقصة.

ولا يكتمل السكن فيها إلا بوجود أثاث وفراش. وقد تولى الله سبحانه خلق مواد الفراش، فأنبت القطن في الحقول، وأنبت الشعر على جلود الأنعام ومنه نصنع البطانيات والسجاجيد والأغطية المختلفة والخيام والمعاطف وجميع الملابس الصوفية المختلفة الأنواع. لنحتمي بها من البرد.

أما في المناطق الصحراوية حيث لا تتوفر الأحجار والأخشاب فإن جلود الأنعام وأصوافها تتحول إلى خيام وفراش وأثاث وملابس، وكذلك حال الجنود والرحالين، الذين لا يستقرون بأبنية.

قال تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (النحل : ٨٠)

وبهذا الفراش المتوفر والأرض الممهدة والمساكن الآمنة ذاق الإنسان ما أنعم الله عليه من سكن وأمن .

هل تشاهد؟

● الحكمة الظاهرة في تهيئة الأرض لتكون لنا دار سكن وأمن لا دار خراب ودمار .

وتلك الحكمة تشهد أنها من صنع الحكيم الرحيم .

● الإمكانيات العظيمة : الفكرية والعملية التي منحنا خالقنا إياها فعمرنا الأرض . وشيدنا البنيان ، وسكنّا ناطحات السحاب نحن بني الإنسان وتلك تشهد أنها من خلق الوهاب الرحمن الرحيم .

● التسخير الذي استسلم لنا بموجبه ما على الأرض من مخلوقات وذلك يشهد أنه من صنع الملك المتصرف ، الذي استخلف بني آدم على هذه الأرض ومكنهم منها .

● التدبير الحكيم في معادلة الجاذبية الأرضية لقوة الطرد الناشئة من دوران الأرض . مما جعل الأرض قراراً لما عليها ، فيشهد ذلك التدبير الحكيم أنه من صنع مريد حكيم خبير قدير .

● توفير مواد الفراش والأثاث مما تزرعه الأرض ؛ وما ينبت على جلود الأنعام حتى يتم الإنسان راحته وأثاثه ومتاعه يشهد أنه من صنع الكريم الودود .

مناقشة

فمن هو الحكيم رب تلك الحكمة؟

ومن هو الوهاب مانح تلك الإمكانيات البشرية؟

ومن هو الملك المتصرف في هذه الأرض الذي قضى على ما فيها من جبال وأشجار وأحجار وغيرها من المخلوقات أن تخضع لتصرف الإنسان؟

ومن هو المدبِّر الحكيم الذي وازن قوة الطرد الناشئة عن دوران الأرض مع قوة الجاذبية؟

ومن هو الكريم الودود الذي خلق للإنسان مواد الأثاث والفراش ومكَّنه من صنعه؟

- أهُو وثن لا يعقل ولا يتحرك؟!
- أم أنها الطبيعة التي لا تدبِّر أمراً، ولا تملك لنفسها مشيئة أو إرادة؟!
- أم أنه عدم لا وجود له؟!
- أم أن تلك الحكمة، والموهبة، والتصرف، والتدبير الحكيم والكرم، تشهد كلها أنها من صنع الخالق الموجود، الحكيم، الوهاب، المالك، المتصرِّف، المدبِّر، الكريم، الودود، هو الله سبحانه وتعالى.

الفصل التاسع

رسل الله وبينات رسالاتهم

الحكمة من إرسال الرسل :

س : لماذا أرسل الله الرسل؟

ج : ١ ـ أرسل الله رسله لتعريف الناس بربهم وخالقهم ، ودعوتهم لعبادته . قال تعالى :

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾

(الأنبياء : ٢٥)

٢ ـ أنت تعلم أن كل شيء فيك قد خلقه الله لحكمة ، فعينك قد خلقت لحكمة ولم تخلق عبثاً ، وكذلك أنفك ، وأذنك حتى أصغر عرق فيك قد خلق لحكمة ولم يخلق عبثاً ، فمما لا شك فيه أنك بأكملك قد خلقت لحكمة ولم تخلق عبثاً .

قال تعالى :

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾

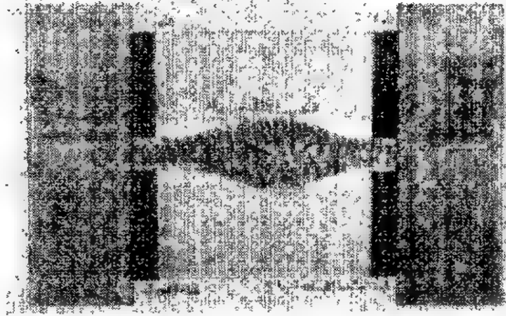
(المؤمنون : ١١٥، ١١٦)

ولكنك لن تعرف الحكمة ؛ إلا بتعليم من خالقك بواسطة رسله .

● وسكان الأرض اليوم كانوا قبل مائة عام في عالم الغيب ثم جاءوا إلى الدنيا ، وهم بعد مائة عام على أكثر تقدير يخرجون منها .

ولن يعرف إنسان لماذا جاء إلى الدنيا ، أو لماذا يخرج منها إلا بتعليم

من خالقه الذي خلقه ولم يك شيئاً، وجاء به إلى الدنيا حيًّا وقضى عليه بالموت والخروج من الدنيا. ولقد أرسل الله الرسل لتعليمنا هذه الأمور التي هي أخطر قضايا حياتنا والتي غابت عنا، وجهلناها.



● وربنا الذي خلقنا أعلم بما يصلح أحوالنا، ويزكي نفوسنا، ويطهِّر أخلاقنا، وقد هدانا بواسطة رسله إلى كل ما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى:

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٥١)

٣ ـ وأرسل الله رسله لإنقاذ البشر من الاختلاف في أصول حياتهم، وهدايتهم إلى الحق الذي يريد خالقهم.

قال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ **(النحل: ٦٤)**

٤ ـ وأرسل الله الرسل لإقامة الدين وللحفاظ عليه والنهي عن التفرق فيه، وللحكم بما أنزل الله.

قال تعالى :

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (الشورى : ١٣)

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء : ١٠٥)

٥ ـ وأرسل الله الرسل لتبشير المؤمنين بما أعد لهم من نعيم مقيم جزاء طاعتهم ، وإنذار الكافرين بعواقب كفرهم ، وإسقاط كل عذر للناس ، وإقامة الحجة عليهم من ربهم .

قال تعالى :

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٥)

٦ ـ إعطاء الأسوة الحسنة للناس في السلوك القويم ، والأخلاق الفاضلة ، والعبادة الصحيحة ، والاستقامة على هدى الله .

قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٢١)

وهذه التعاليم الإلٓهية العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا إليها بعقولهم وإنما يتعلمونها بوحي الله .

آيات صدقهم وبينات رسالاتهم :

س : ما هي الأدلة التي زود الله رسله بها لئلا يكذبهم الناس؟

ج: الأدلة والبراهين يسميها القرآن: (آيات) أي علامات ودلائل وبينات، تصدِّق الرسل فيما يقولون؛ ويسميها الناس: معجزات.

س: وما هي المعجزة؟

ج: المعجزة (البينة، البرهان، الآية) هي: الأمر الذي يعجز البشر عن الإتيان بمثله، يجريه الله على يد نبي مرسل ليقيم به الدليل على صدق نبوته وثبات رسالته.

وكأن الرسول يقول للناس: أيها الناس لقد أرسلني الله إليكم وأعطاني أمارات من قدرته تصديقاً لي فيما أقول؛ وهذه الأمارات والآيات مما لا يقدر عليها إلا الله. فلا يقدر أحد من البشر أن يأتي بمثلها؛ حتى لا تظنوا أني أفتري على الله الكذب.

قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد: ٢٥)

س: ما هي أمثلة المعجزات التي أيَّد الله رسله بها؟

ج: من الأمثلة التي ذكرها الله في كتابه ما حدث لسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع قومه.

قال تعالى:

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الأنبياء: ٦٨، ٦٩)

ومنها ما قصَّه الله علينا عن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ

قال تعالى:

﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ **(النمل: ١٢)**

من هذه التسع الآيات ما حلَّ بقوم فرعون من عذاب، جزاء تكبرهم وكفرهم.

قال تعالى:

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ **(الأعراف: ١٣٣)**

ومنها ما قصَّه الله علينا في بينات سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ.

قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ[1] تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ[2] وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ **(المائدة: ١١٠)**

ونتيجة لما حدث من تحريف في دين عيسى ـ عليه السلام ـ ظن الجهلة فيما عرفوا من بينات رسالته القوية أنها لا تكون إلا على يد الله أو ابنه في زعمهم، تعالى الله.

---

(١) روح القدس: جبريل عليه السلام.

(٢) الأكمه: المخلوق أعمى.

أما معجزات وبيّنات رسالة سيدنا محمد ﷺ فسيأتي بيانها.

الخلاصة

● يرسل الله الرسل لتعريف الناس بربهم، ودعوتهم لعبادته، ولبيان الحكمة من خلقهم، ولإنقاذهم من ويلات الاختلاف، ولإقامة الدين بين الناس والحكم بما أنزل الله، ولتبشير المؤمنين بما أعد لهم ربهم من نعيم، ولإنذار الكافرين من عواقب كفرهم، ولإقامة حجة الله على الناس وليكونوا أسوة حسنة للمؤمنين.

● يؤيد الله رسله ببراهين وأدلة تسمى في كتاب الله آيات وبينات، ويسميها الناس معجزات، تشهد للرسل بصدق رسالاتهم وثبوت نبوتهم وأنهم مبلغون عن ربهم.

الفصل العاشر

مجمل آيات وبينات رسالة محمد ﷺ

آيات رسالة سيدنا محمد ﷺ :

س : ما هي الآيات (البينات ، المعجزات) التي أيد الله بها رسوله محمداً ﷺ ؟

ج : الآيات (البينات ، المعجزات) كثيرة لسيدنا محمد ﷺ منها :

١ ـ البشارات في الكتب السابقة :

لقد بشرت الكتب السابقة المنزلة بمحمد ﷺ قبل أن يخلق وأخبرت بصفاته وصفات بلاده ، وقومه ، وزمانه .

قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ **(الأعراف : ١٥٧)**

ولقد كان الأحبار والقسس من اليهود والنصارى ، يبشّرون بمحمد ﷺ قبل أن يبعثه الله ، قال تعالى محاجاً للعرب المشركين الذين سمعوا هذه البشارات من قبل من اليهود والنصارى :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾

(الشعراء : ١٩٦ ، ١٩٧)

فلما بعث الله سيدنا محمداً ﷺ آمنت طائفة منهم وكفرت طائفة ، فأما من آمن فكان دافعهم الأكبر أن وجدوا العلامات والبشارات في كتبهم السابقة قد انطبقت عليه ﷺ . قال تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ (القصص : ٥٢)

(ولا يزال إسلام النصارى واليهود مستمراً إلى اليوم وخاصة بين العلماء المنصفين).

٢ - المعجزة القرآنية :

لقد أرسل الله سبحانه محمداً ﷺ بكتاب من عنده فيه معجزات وآيات بينات، وعلامات إلٓهية كثيرة جداً لتكون بمقام الختم الإلٓهي المصدّق لرسالته ﷺ وهذه الآيات (البينات، المعجزات) القرآنية على أوجه كثيرة :

● فالقرآن آية بينة معجزة في فصاحة لفظه، وأسلوبه، وتركيبه، وقد تحدى القرآن الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

قال تعالى :

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء : ٨٨)

● والقرآن آية فيما اشتمل عليه من أخبار غيبية حدثت في الماضي السحيق وكانت تدور في نفوس الناس وقت رسالته، وأخبار غيبية أخبر عنها ستكون في المستقبل فتحقق منها الكثير، ولا تزال تتحقق كلما تقدم الزمان.

قال تعالى :

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود : ٤٩)

● والقرآن آية بينة معجزة في تأثيره على النفوس فتشعر حين تقرؤه بتأثير كبير في نفسك وتشعر أن الذي يحدثك هو الله سبحانه، قال تعالى في وصفه لكتابه :

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر: ٢٣)

ويزداد التأثر بكتاب الله بزيادة التدبّر والتفكير في آياته.

● والقرآن معجز بما احتوى من هدى وأحكام أخرجت خير أمة أخرجت للناس.

قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

ومن المستحيل أن يأتي أمي من الصحراء لا يقرأ ولا يكتب بأنظمة وأحكام وهدى يخرج للناس خير أمة، ويحكم كل البلدان على اختلاف درجات حضارتها ورقيها.

● والقرآن معجزة فيما احتوى من علوم وحقائق كلما تقدم الزمان كشف عن دقة وصدق ما قرره القرآن الكريم.

قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ ﴾

(فصلت: ٥٣)

● والقرآن معجز لكونه جاء بهذه العظمة في شتى الميادين على لسان أمي لا يقرأ ولا يكتب.

قال تعالى يصف رسوله ﷺ أمام أعدائه وأتباعه:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٨)

٣ ـ تأييد الله لرسوله ﷺ :

لم يؤمن برسول الله أول الأمر إلا قليل. فآذاهم المشركون وعذبوهم ليفتنوهم في دينهم ، وحاربوهم فكان الله يؤيد رسوله ﷺ وينصره على أعدائه بإرسال الملائكة على الكافرين ، وإنزال النعاس أمنة للمسلمين ، أو بإرسال الرياح على الكافرين مما كان الكفار يشاهدونه فيقول المنصفون منهم : ما أرسل هذا إلا الله .

ولقد أيد الله رسوله ﷺ بإخراج الماء من بين أضابعه حتى شرب القوم جميعاً ، أو بتكثير الطعام القليل حتى كفى كثيراً من المسلمين ، أو بشفاء من يدعو له ، أو بتكليمه للشجر وشهادتها له بالنبوة ؛ وغير ذلك من المواقف المدهشة المعجزة .

٤ ـ إجابة الله لدعائه ﷺ :

فما دعا الله في شيء إلا أجاب الله دعاءه وحققه .

فلما أظهر الرسول ﷺ هذه الآيات والبينات تحول الكفار من عداوتهم وكفرهم إلى الإسلام والإيمان الصادق والجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(البقرة : ٩٩)

الخلاصة

● أيد الله رسوله محمداً ﷺ ببيِّنات، وآيات معجزات حتى لا يكذبه الناس.

● أخبرت الكتب بمجيء سيدنا محمد ﷺ وبعلامات زمانه، وبلاده، وأحواله مع قومه؛ فجاء محمد ﷺ فانطبقت عليه تلك العلامات فآمن المنصفون من أهل الكتاب بمحمد ﷺ واتبعوه كسلمان الفارسي وعبدالله بن سلام ـ رضي الله عنهما ـ.

● أنزل الله على سيدنا محمد ﷺ كتاباً معجزاً في فصاحة لفظه وأسلوبه، وفيما احتوى عليه من علوم غيبية، وفي قوة تأثيره، وفيما تضمن من حقائق كونية أثبت التقدم العلمي في أسرار الكون صدق ما قرره القرآن، وفي نزوله بهدى أخرج خير أمة عرفتها البشرية، وبكونه نزل على أمي لم يقرأ ولم يكتب.

● أيد الله رسوله ﷺ ضد أعدائه وأعز رسوله بما أيده به من الخوارق والمعجزات الكثيرة.

كان رسول الله ﷺ مجاباً في دعوته لربه، فما دعا إلا وأجاب الله دعاءه ﷺ.

الفصل الحادي عشر

فصاحة القرآن وبلاغته

كلام الله شاهد برسالة سيدنا محمد ﷺ :

س : هل يشهد كلام الله لمحمد ﷺ بالرسالة؟ .

ج : نعم ، فالقرآن يذكر أن محمداً رسول الله .

قال تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾

(الفتح : ٢٩)

س : هذا كلام يقنع المؤمن بأن القرآن كلام الله . فكيف بالذين لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله؟

ج : القرآن نفسه يقنعه بأنه كلام الله .

س : وكيف ذلك؟

ج : إن كلام الخالق لا بد أن يختلف عن كلام البشر ، فإذا تأمل عاقل بإنصاف في كلام الناس ، وفي كلام الله المكتوب في القرآن ، فسيجد خصائص الكلام الإلهي واضحة بيِّنة ، كما سيرى الفرق الكبير بين كلام البشر وكلام الله ، وسيعرف عندئذٍ أن القرآن الذي يشهد لمحمد ﷺ بالرسالة **﴿ إنْ هُوَ إلا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾** وليس حديثاً مفترى .

بلاغة القرآن وفصاحته :

س : ما هي الخصائص والصفات التي امتاز بها القرآن على كل كلام بشري؟

ج : ما امتاز به القرآن (الكلام الإلٓهي) عن الكلام البشري كثير نذكر منه : بلاغة القرآن ، وفصاحته التي أعجزت الأولين والآخرين والتي ما كان يسمعها أحد من فصحاء العرب ـ زمن الرسالة ـ إلا ودخل الإسلام في قلبه ، وعرف أن القرآن كلام الله ، لا يقدر أحد أن يأتي بمثله ، مهما بلغ من العلم ، والفصاحة ، فيعلم أنه لم يجره على الأمي الذي لم يقرأ ولم يكتب أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

ولذلك فقد اجتمع الكفار ، وتدارسوا فيما بينهم : كيف يقاومون تأثير القرآن في أنفسهم؟ فقرروا أن يسموا فصاحة القرآن وبلاغته : سحراً من سمعه سحرته . قال تعالى حاكياً ما قاله الوليد بن المغيرة (مستشار) الكفار في هذا الأمر :

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾

(المدثر : ٢٣، ٢٥)

فكان وصفهم لكلام الله بالسحر أول وسيلة لمقاومة تأثيره في نفوسهم . والوسيلة الثانية منع كل واحد منهم أن يستمع للقرآن . قال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾

(فصلت : ٢٦)

وذلك خشية أن يعرف العرب معجزة القرآن الظاهرة في بلاغته المؤثرة في النفوس والعقول فيشهدوا أن محمداً ﷺ رسول الله .

وقد أسلم أكثر المشركين عندما سمعوا شيئاً من كتاب الله . أما من بقي على كفره ، فلم ينكر بلاغة القرآن وفصاحته التي لا تدانيها أي بلاغة إنسانية ، وإنما سموا ذلك سحراً يسحر من سمعه . وهي شهادة في نفس الوقت بعظمة القرآن وسموِّه على كل كلام .

س : ولماذا لا ندرك نحن في هذا الزمان بلاغة القرآن وفصاحته كما كان السابقون من العرب ؟

ج : السبب أن القرآن كان مفهوماً لديهم . فهو قد نزل بلغتهم ، أما نحن فقد بعدنا عن اللغة العربية الفصحى التي بها نزل القرآن ، فأصبحنا لا نفهم كثيراً من كلمات القرآن إلا بصعوبة بالغة . لكن من تعلم اللغة العربية وأجاد فنونها ، وقرأ كتاب الله عرف أن بلاغة القرآن فوق بلاغة كلام البشر وأنه لا يقدر على تلك البلاغة إلا خالق القوى والقدر ، ومع ذلك فهناك علامة إلٓهية في كل سورة من كتاب الله يدركها العالم والجاهل ، ويعرف بها أن القرآن كلام الخالق الذي يخالف كلام جميع المخلوقين .

القرآن لا يخلق[1] على كثرة الرد :

س : وما هي المعجزة الإلٓهية التي يراها ويدركها العالم والجاهل في كتاب الله ؟

ج : تلك المعجزة هي : أن هذا القرآن جديد دائماً لا يبلى مهما كرره الإنسان ورده . إن أي قطعة نثرية أو شعرية من كلام البشر لا تلبث أن تبلى إذا كررت على مسمع الإنسان مرتين أو ثلاثاً في اليوم وتصبح ممجوجة مملّة إذا كررت عليه في كل يوم ثلاث مرات لمدة شهر . وهذا ينطبق على كل قول من أقوال البشر ، حتى على تلك القصائد والمقطوعات الشعرية الملحنة بآلات الطرب والموسيقى ، ويعرف المغنون ذلك فيشترطون على الإذاعات عدم إذاعة أغانيهم كل يوم حتى لا تبلى تلك الأغاني وتمل .

أما كلام الله ، فبالرغم من أنه يتكون من نفس الأحرف التي يتكون منها كلام الناس ، ويتركب من نفس الكلمات ، فإن كل مسلم يعرف أنه يردد

(١) لا يخلق : لا يبلى ويصبح قديماً .

فاتحة الكتاب كل يوم - إذا صلى الفروض فقط - سبع عشرة مرة . أما إذا صلى السنن يرددها أكثر من واحد وثلاثين مرة كل يوم . وليس لمدة شهر فقط، بل طوال العمر كله . فما شعر مسلم يوماً ما، أن الفاتحة قد أبلاها الترديد وأصبحت قديمة كما هو الحال في كلام البشر . وبالمثل كل ما يكرره المسلمون من قصار السور، وكذلك كل سورة من سور القرآن نقرؤها ونكرر قراءتها مرات ومرات ، فلا نشعر أبداً أنها قد بليت . بل لا يزال كلام الله طرياً جديداً .

شهادة بعض المنصفين الأوربيين :

س : وما هو موقف غير المسلمين من هذا؟

ج : إن من يدرس القرآن يعرف ما عرفنا ، ويرى آيات ربه ظاهرة في كتابه . وقد درس القرآن جماعة من المستشرقين وغيرهم ، بقصد الطعن فيه لحساب دولهم المستعمرة . لكن المنصفين منهم لم يلبثوا أن فارقوا دينهم ودخلوا في دين الله . بعد أن عرفوا أنه الدين الحق . وهذا بعض ما قاله المنصفون من الأوربيين في القرآن :

● قال المستشرق (سيل) : «إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه» .

● وقال (هرشفلد) : «ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه ، وبلاغته وتركيبه ، وإليه يرجع الفضل في ازدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي» .

● وقال الدكتور (موريس) الفرنسي : «إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر، وإنه كتاب لا ريب فيه» .

● وقال المستشرق (ليون) : «حسب القرآن جلالة ومجداً أن الأربعة

عشر قرناً التي مرت عليه، لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضاً كأن عهده بالوجود أمس».

(القرآن يتحدى والبشر يعجزون):

س: وهل تحدى القرآن الناس أن يأتوا بسورة من مثل سوره؟

ج: نعم، لقد تحدى القرآن المرتابين المتشككين وطالبهم أن يتركوا القتال والحرب ضد الإسلام والصراع الذي تزهق فيه الأنفس، وتضيع فيه الأموال وأن يأتوا بمثل سورة من القرآن، ويدعوا من شاءوا من أنصارهم للتحكيم، فإن قدروا كان القرآن من عند محمد البشر، وإن لم يقدروا ـ ولن يقدروا ـ عرفوا أن القرآن من عند الله أوحى به إلى رسوله محمد ﷺ فليحذروا عقابه. قال تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٣، ٢٤)

س: ما هو موقف الناس من تحدي القرآن لهم؟

ج: موقفهم العجز الكامل ـ كما أخبر القرآن ـ حتى إن أشد أعداء الرسول ﷺ من الكفار لم يجدوا أمامهم إلا أن يقاتلوا في ميادين الحرب، لعجزهم أن يأتوا بمثل سورة من القرآن.

الخلاصة

- القرآن كلام الله يشهد لمحمد ﷺ أنه رسول الله.
- في القرآن معجزات إلٰهية تدل على أنه كلام الله، منها فصاحته وبلاغته التي أعجزت الأولين والآخرين.

- ومنها، أنه جديد دائماً لا يبلى على كثرة ترديده وتكريره.

ولقد شهد بذلك المنصفون من علماء أوربا وعرفوا عظمة القرآن وسموّه على كل كلام.

- ولقد تحدى القرآن البشر أجمعين أن يأتوا بمثل سورة منه إن كانوا مرتابين في أنه كلام الله فعجزوا وما زالوا عاجزين وسيظلون عاجزين حتى تقوم الساعة.

الفصل الثاني عشر

القرآن يسبق العلوم الحديثة

القرآن كتاب هداية :

س : لماذا أنزل الله القرآن؟

ج : أنزل الله القرآن لهداية البشر، فالقرآن كتاب هداية وليس القرآن كتاباً طبياً أو هندسياً أو فلكياً أو كيمياوياً، يجمع ويسجل حقائق هذه العلوم. إنما هو كتاب هداية إلّهية لسلوك الإنسان وعمله. بل فيه العلوم الدنيويا والأخرويا

القرآن نزل بعلم الله :

س : فما معنى إذاً أن القرآن سبق العلوم الحديثة؟

ج : معنى ذلك أن القرآن، وهو يتحدث عن الإنسان أو عن النبات، أو عن أي مخلوق من المخلوقات إنما يصفه على حقيقته. لكن علم البشر يكون قاصراً عن إدراك تلك الحقيقة. فإذا بالتقدم العلمي، والاكتشافات المتزايدة بواسطة الآلات والأجهزة الحديثة تكشف عن تلك الحقيقة فإذا بالحقيقة واحدة في كتاب الله، وفي الكشف العلمي. فنعرف من ذلك أن القرآن الكريم سبق العلوم الحديثة. ويكون ذلك شاهداً جديداً أو معجزة جديدة تظهر للقرآن في عصر التقدم العلمي. وهكذا نعرف أن القرآن إنما نزل بعلم الله، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

القرآن يخبر بضيق الصدر في طبقات الجو العليا قبل الطيارين :

س : وما هو المثال على ذلك؟

ج : الأمثلة كثيرة منها ما اكتشفه الطيارون على ارتفاعات عالية من ضيق يجدونه في صدورهم يزداد شدة كلما صعدوا في السماء حتى يصل إلى



درجة الاختناق. وذلك بسبب تناقص الهواء (الأكسجين) عن الكمية اللازمة كلما ازداد الإنسان ارتفاعاً في السماء. وهذه الحقيقة لم تكن معروفة من قبل. إذ إن الناس جميعاً كانوا يعتقدون أن الهواء يمتد بصفاته هذه إلى الكواكب والنجوم. والقرآن يذكر هذه الحقيقة قبل أن يعرفها البشر جميعاً بما يقرب من أربعة عشر قرناً من الزمان. قال تعالى:

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

(الأنعام: ١٢٥)

أي من استحق أن يضله الله بأعماله السيئة، ومحاربته للدين، جعل الله صدره ضيقاً بالموعظة أو ما يذكره بالإسلام كضيق ذلك الذي يصعد في السماء. والبشر كلهم كانوا يجهلون هذه الحقيقة: حقيقة حدوث الضيق الشديد لمن يصعد في السماء. ولم تعرف هذه الحقيقة إلا بعد أن صعد الإنسان بالطائرات إلى السماء[1]. فهل كان لمحمد ﷺ طائرة خاصة به من دون الناس، عرف بها هذه الحقيقة أم أنه الوحي الذي نزل بعلم الله؟!

---

(١) السماء: كل ما ارتفع فوق رأسك فهو لك سماء.

القرآن يخبر بتركز الإحساس في الجلد قبل المشرحين[1]:

س: وهل هناك مثال آخر؟



ج: نعم.. الأمثلة الأخرى كثيرة نذكر منها مثالاً من أسرار التركيب في جسم الإنسان.

س: وما هو؟

ج: كان المعتقد أن الإحساس من صفات الجسد بكل أجزائه، وأنه متساو في درجة إحساسه بالأشياء، لكن علم التشريح الحديث جاء بحقيقة جديدة كان الناس جميعاً يجهلونها هي: أن مراكز الإحساس بالألم وغيره إنما تتركز بالجلد بكمية كبيرة، حتى إن الإنسان لا يشعر بألم وخز الحقنة (الإبرة) إذا أدخلت في جسمه إلا عند دخولها في منطقة الجلد، لكن القرآن يذكر هذه الحقيقة قبل علماء التشريح في القرن العشرين.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ **(النساء: ٥٦)**

أي إن الإحساس بالألم والعذاب يتركز في جلودهم فإذا نضجت استراحوا من عذاب النار، لكن العليم الخبير بخلقه يعلم ذلك ويخبرنا به قبل أن نعرفه ويقول إنه سيبدلهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب.

فهل كان لمحمد ﷺ أجهزة تشريحية خاصة به من دون الناس؟ أم هذه

---

(١) المشرحون: هم الذين يبحثون في أسرار تركيب الجسم الإنساني.

آية من آيات الله تشهد أن القرآن كلام الله قد نزل بعلمه سبحانه وصدق الله العظيم القائل :

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾

(فصلت : ٥٣)

الخلاصة

- تضمن القرآن حقائق لم تعرف إلا بعد قرون من نزوله . وأشياء لم تعرف بعد

- منها ما أخبر به القرآن من ضيق صدر من يرتفع في السماء ، وتركز الإحساس بالألم والعذاب في الجلد وجاءت علوم القرن العشرين تؤكد وتصدق ما جاء في كتاب الله .

- تشهد هذه الحقائق التي كشف التقدم العلمي اليوم عن صدقها أن القرآن كلام الله ووحيه إلى رسوله محمد ﷺ .

الفصل الثالث عشر

الإيمان باليوم الآخر

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

(غافر : ٢٧)

الحياة البشرية قسمان :

س : إلى كم تنقسم حياة الناس؟

ج : تنقسم حياة الناس إلى قسمين : حياة قصيرة في دار العمل ، وحياة خالدة في دار الجزاء .

دار العمل :

س : ما هي دار العمل؟

ج : دار العمل هي هذه الأرض التي نعيش عليها اليوم مدة مؤقتة من الزمان ؛ هي المهلة المعطاة لنا لنفعل فيها ما نشاء من أعمال ، ونعيش عليها المدة المحددة لنا كما عاشت الأمم السابقة من قبلنا . قال تعالى :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴾

(فاطر : ٤٤، ٤٥)

وكلما مر يوم نقصت المهلة ، وقربنا من دار الجزاء ، فإذا انقضت

المهلة أصبحت حياتنا الماضية في نظرنا لا تساوي ساعة.

قال تعالى:

﴿ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين ﴾ (يونس: ٤٥)

دار الجزاء:

س: وما هي دار الجزاء؟

ج: دار الجزاء هي: الدار الآخرة حيث يجد الإنسان نتيجة ما قدمت يداه في دنياه، وجزاء ما عمله فيما أعطاه الله. والموت: انتقال من دار العمل إلى دار الجزاء. فهذا الجيل الذي نعيش فيه ينتقل بعد مائة عام - على أكثر تقدير - كله، وأنت واحد منه ليجد كل إنسان جزاء عمله. قال الله تعالى:

﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون ﴾ (السجدة: ١١، ١٢)

﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون ﴿٧٠﴾ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴿٧١﴾ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴿٧٢﴾ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم

طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **(الزمر: ٧٠، ٧٥)**

اليوم الآخر مقتضى العدل الإلٓهي:

س: وما هو دليل المؤمن على إيمانه باليوم الآخر:

ج: أهم الأدلة أن رسل الله جميعاً، الذين قدّموا للبشرية أدلة صدقهم قد بلّغوا إلينا كلام خالقنا، وخالق الجنة والنار، وأخبرنا الله بنفسه، بحقائق اليوم الآخر. وهناك أدلة عقلية أخرى.

س: ما هي هذه الأدلة العقلية؟

ج: هي كثيرة، نذكر منها: دليل العدل الإلٓهي.

س: وما هو دليل العدل الإلٓهي؟

ج: في الإنسان حب للعدل، هو الذي يجعله يكره الظلم ويحب العدل وخالق حب العدل في الإنسان هو الله خالق الإنسان، ومما لا شك فيه أن الخالق أكمل وأعظم من مخلوقاته، وله المثل الأعلى.

إذاً

● عدل الله أكمل من عدل مخلوقه الإنسان.

● فإذا كان عدل الإنسان يأبى التسوية بين الظالم والمظلوم، والقاتل والمقتول، والمطيع والعاصي.

إذاً

● لا شك أن العدل الإلٓهي - من باب أولى - يأبى التسوية بين الظالم

والمظلوم، والقاتل والمقتول، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، والبر والفاجر. قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ (سورة صٓ: ٢٧، ٢٨)

ولكنا لا نجد عدلاً كاملاً في الدنيا، ولا نجد إنصافاً كاملاً أو مجازاة وافية على أعمال الناس في الدنيا. فلا نشك في عدل الله الذي قام الدليل القاطع عليه، ولكنا نقول ونؤمن بأن الحساب لا يكون في هذه الدنيا، وأنه مؤخر ليوم معلوم يوم الحساب كما أخبر الرسل.

الخلاصة

تنقسم الحياة البشرية إلى قسمين: دار عمل قصيرة، ودار جزاء خالدة، هذه الدنيا هي دار العمل، والآخرة دار الجزاء، والموت ينقلنا من دار العمل إلى دار الجزاء.

من عمل صالحاً في الدنيا أثابه الله عليه، ومن عمل سيئاً عاقبه الله عليه وأرسل الله إلى البشر رسلاً أقاموا الأدلة على صدق رسالتهم وبلغوا إلى البشر كلام ربهم الذي عرفهم باليوم الآخر وما أعد لهم فيه.

عدل الله أكمل من عدل الإنسان، ومن مقتضى العدل: عدم التسوية بين المسيء والمحسن. وليس في الدنيا ثواب كامل لمحسن، أو عقاب كامل لمسيء. فجعل الله يوماً كاملاً لمكافأة المحسنين وعقاب الكافرين.

الفصل الرابع عشر

من أحوال اليوم الآخر

حياة البرزخ :

س : ما معنى البرزخ؟

ج : البرزخ هو الحاجز.

س : وما معنى حياة البرزخ؟

ج : حياة البرزخ هي الحياة التي نقضيها في عالم البرزخ حتى تقوم القيامة. حين يبعث الله الناس لتوفية الحساب. قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾

(المؤمنون : ٩٩، ١٠٠)

س : وهل من ثواب أو عقاب في البرزخ على الأعمال في الدنيا؟

ج : نعم . . يبدأ الحساب في الحياة البرزخية في بداية الانتقال إليها ومنها عذاب القبر. قال تعالى :

﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ **(غافر : ٤٦)**

وقال تعالى في وصف حياة الشهداء في الحياة البرزخية قبل يوم **القيامة :**

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠)

البعث والنشور:

س: وماذا بعد حياة البرزخ؟

ج: يبعث الله الناس ليوم القيامة وتوفية الحساب.

قال تعالى:

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا﴾

(النبأ: ١٧، ١٨)

عرض الأعمال:

س: وماذا بعد الحشر وجمع الناس ليوم القيامة؟

ج: ثم تعرض الأعمال في الكتاب.

قال تعالى:

﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (الكهف: ٤٩)

كما تشهد علينا الألسنة والأيدي والأرجل والجلود. وتخبر بما فعلنا في الدنيا.

قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (فصلت: ٢٠، ٢١)

الميزان :

س : وما هو ميزان يوم القيامة؟

ج : يضع الله الموازين العادلة يوم القيامة لقياس الحسنات والسيئات.

قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ **(الأنبياء: ٤٧)**

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾

(المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣)

الحوض :

س : وما هو الحوض؟

ج : لكل نبي حوض يشرب هو وأمته منه بعد الموقف وقبل دخول الجنة ولنبينا محمد ﷺ حوض، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك. من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً.

الصراط :

س : وما هو الصراط؟

ج : هو طريق يوضع على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف، فأهل الجنة يمرون عليه وهم متجهون إليها، وأهل النار يسقطون فيها. قال تعالى :

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم : ٧١، ٧٢)

الجنة :

س : ما هي الجنة؟

ج : الجنة هي المقر الأخير للمؤمنين، وهي أمنية كل مؤمن حيث يجد الجزاء على إيمانه الصادق وأعماله الصالحة.

قال تعالى :

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

(البقرة : ٢٥)

النار :

س : ما هي النار؟

ج : إذا كان الله يكافىء الأبرار بالنعيم، فإنه يجازي الفجّار بالجحيم عقاباً لهم على ما اقترفوا من كبائر الإثم والفواحش. قال تعالى :

﴿ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ **(القارعة : ٨، ١١)**

أي إن مصير من قلّت أعماله الصالحة فخف ميزانه بها، مصيره الهاوية التي هي النار الحامية.

الخلاصة

● ينتقل الإنسان بعد موته إلى الحياة البرزخية التي يجد فيها شيئاً من النعيم أو العذاب.

● يبعث الله الناس بعد الحياة الدنيا جميعاً ليوم الحساب.

● ثم تعرض أعمالهم على الدنيا.

● توزن أعمال الناس فمن خفَّت موازينه بأعمال الخير كان مصيره جهنم.

● لكل نبي حوض يشرب منه هو وأمته بعد الموقف ولنبينا حوض ماؤه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من المسك.

● الجنة دار النعيم للمؤمنين.

● النار دار العذاب للمنافقين والكافرين.

الفصل الخامس عشر

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل

الإيمان بالملائكة:

س: من هم الملائكة؟

ج: هم مخلوقات نورانية، ليسوا كالبشر يأكلون، ويشربون، وينامون، ويتصفون بالذكورة أو الأنوثة، إنما هم عالم آخر، قائم بنفسه ومستقل بذاته، ولا يتصفون بصفات البشر الجسدية والمادية.

س: مِمَّ خلقوا؟

ج: خلق الله الملائكة من نور، قال عليه الصلاة والسلام: «خلقت الملائكة من نور»[1].

س: ما هو عملهم؟

ج: يقومون بتصريف شؤون العالم بإرادة الله ومشيئته، وهو سبحانه يسخِّرهم لتنفيذ أمره، وهم لا يعملون شيئاً إلا بأمره. قال سبحانه وتعالى:

﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾

(الأنبياء: ٢٦، ٢٧)

ومن أعمالهم:

١ ـ التسبيح والخضوع التام لله.

٢ ـ النزول بالوحي.

٣ ـ كتابتهم للأعمال.

---

(١) من حديث رواه مسلم.

قال تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾

(الانفطار: ١٠ - ١٢)

٤ - يتوفون الأنفس ويقبضون الأرواح.

س: هل الإيمان بهم واجب؟

ج: نعم.. لقد أخبرنا عنهم ربنا وربهم في كتابه، فالإيمان بهم واجب وركن من أركان الإيمان. قال تعالى:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ **(البقرة: ٢٨٥)**

الإيمان بالكتب:

س: على من أنزلت الكتب الإلٓهية؟

ج: على الأنبياء والمرسلين. قال تعالى:

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ **(البقرة: ٢١٣)**

س: وهل هذه الكتب جميعاً مكتوبة ومدونة إلى اليوم؟

ج: الكتب التي دونت هي: صحف إبراهيم - عليه السلام -، وتوراة موسى - عليه السلام -، وزبور داود - عليه السلام -، وإنجيل عيسى - عليه السلام -، والقرآن الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ.

س: وهل لا تزال هذه الكتب الإلٓهية جميعاً مدونة كما أنزلت؟

ج : لا . . فقد دخلها التحريف والتبديل ما عدا القرآن الكريم الذي حفظه الله .

فالتوراة المتداولة لدى اليهود غير التوراة المتداولة لدى النصارى . وليس لدى الجميع سند صحيح أنها توراة موسى عليه السلام.

والإنجيل حُرِّف وبدِّل . فيوجد لدى النصارى أربعة أناجيل ، اختصرت من سبعين إنجيلاً . وقد ظهر إنجيل خامس هو إنجيل (برنابا) يخالف بقية الأناجيل مخالفة كبيرة ، وقد ظهرت مخطوطات تاريخية في (البحر الميت) جعلت كثيراً من علماء النصارى اليوم يعلنون شكهم في صدق أناجيلهم . وأما صحف إبراهيم وزبور داود ـ عليهما السلام ـ، فقد دخلهما تبديل وتحريف ويكادان أن ينعدما . وقد احتوى القرآن الكريم على كل ما سبقه من هدى . فكان القرآن هو الكتاب الإلّهي المصدِّق لما قبله والمهيمن عليه . قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة : ٤٨)

س : ما موقف المسلم من الكتب السابقة؟

ج : على المسلم أن يؤمن بجميع الكتب السابقة المدوَّنة وغيرها كما أنزلها الله وأن يصدِّق بنزولها .

ويؤمن أن الله قد هداه بالقرآن الذي اشتمل على ما فيها من هدى ، وسلم من التحريف والتبديل الذي أدخله الناس على الكتب السابقة . ومن لم يؤمن بالكتب التي أنزل الله فقد انهدم ركن من أركان إيمانه . وكذب بالقرآن الذي أخبر بها .

الإيمان بالرسل :

س : هل أرسل الله الرسل لأمم خاصة؟

ج: لا.. فما من أمة إلا وأرسل الله لها رسلاً يبشرونها وينذرونها ويهدونها إلى طريق الله. قال تعالى:

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤)

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد: ٧)

س: وهل ذكر القرآن جميع الرسل؟

ج: لا.. إنما قصَّ القرآن علينا أمثلة من حياة بعض الرسل للعبرة، لا للحصر. قال تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾

(النساء: ١٦٣، ١٦٤)

س: وهل كان الله يرسل الرسل إلى الناس كافَّة أم إلى قومهم خاصة؟

ج: كان الله يرسل الرسل إلى أقوامهم خاصة حتى بعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ فأرسله الله إلى الناس عامة. قال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ١٥٨)

س: كم عدد الأنبياء؟

ج: لا يعلم عددهم إلا الله.

س: كم عدد المذكور منهم في القرآن؟

ج : المذكور منهم في القرآن خمسة وعشرون نبياً.

س : هل يجب علينا أن نؤمن بجميع الأنبياء والمرسلين؟

ج : نعم.. علينا أن نؤمن أن الله أرسل رسلاً وبعث أنبياء نحن نؤمن بهم كما أخبرنا القرآن الكريم:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

س : ما معنى أن محمداً ﷺ خاتم النبيين والمرسلين؟

ج : معنى ذلك أن الله قد أكمل الدين وأتم نعمته على الناس أجمعين وحفظ كتابه من التحريف والتبديل.

فلا حاجة لنبي أو رسول إلى أن تقوم الساعة. ومحمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين؟

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٤٠)

الخلاصة

خلق الله الملائكة من نور، وليسوا كالبشر في صفاتهم، وخصائصهم وينفذون ما يأمرهم الله به. ومن أعمالهم التسبيح، والخضوع التام لله، النزول بالوحي، كتابة الأعمال، توفي الأنفس.

أنزل الله كتباً على أنبيائه ورسله؛ والمدون منها: صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، والقرآن الكريم، وقد حرفت الكتب السابقة وحفظ القرآن من أي تحريف.

أرسل الله رسله إلى كل أمة وقص القرآن علينا بعضهم ويبلغ عدد

الأنبياء والمرسلين (١٢٤,٠٠٠) نبي ورسول، وخاتمهم هو محمد ﷺ[1].

الإيمان بالملائكة، والكتب السابقة، والمرسلين، ثلاثة أركان من أركان إيمان المسلم. لا يتم إيمانه إلا بها.

---

(١) هذا التحديد ذهب إليه بعض العلماء استناداً إلى بعض الآثار.

الفصل السادس عشر

الإيمان بالقدر

القدر:

س: ما هو القدر؟

ج: القدر هو ما قدره الله في الأشياء من مقادير محددة تجري وفق ما قضى الله به من نظام لسير الكون. قال تعالى:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾

(الأعلى: ١، ٣)

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ **(الفرقان: ٢)**

﴿ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ **(الرعد: ٨)**

قدر ضار وقدر نافع:

س: ما موقف المؤمن من القدر؟

ج: موقف المؤمن هو الإيمان بأن القدر خيره وشره من الله سبحانه لأن المؤمن يعرف أن مقدر الأقدار في المخلوقات هو الله الحكيم العليم الخبير، وأن جهل الإنسان بحكمة الله في قدر من الأقدار إنما ذلك لقصور في علم الإنسان. وكل يوم يزداد علم الإنسان علماً بتلك الأقدار الحكيمة.

س: وهل هناك حكمة من قدر الشر؟

ج: ألا ترى أن أي حكومة وهي تضع المكافآت للموظفين وتسن القوانين الخاصة بها التي ينتفع منها الناس، وفي الوقت نفسه تسن قوانين العقوبات وتنفذها. إن قوانين العقوبات شر ولكن لها حكمة قد تغيب عن

كثير من الجهلة. والطبيب يبضع بطن المريض فإذا رآه الجاهل حسبه عدواً للمريض. ولكنه يبضع بطن المريض لحكمة غابت عن ذلك الجاهل.

ولولا قدر الجوع ما عمل الناس شيئاً لينالوا قدر الأكل. ولولا قدر المرض لما مات أحد، ولما شعر أحد بنعمة الصحة. ولولا قدر الحياة ما جاء أحد إلى الأرض، ولولا قدر الموت لتزاحم الأولون والآخرون على هذه الأرض.

س: ما هي أقدار الخير وأقدار الشر؟

ج: كل ما ينفعك كالطعام والشراب والدواء والعلم؛ أقدار من أقدار الخير. وكل ما يضرك من أقدار كالجوع والعطش والمرض، والجهل، أقدار من أقدار الشر.

س: وماذا يعمل الإنسان مع الأقدار؟

ج: إن الله قد منح الإنسان سمعاً وبصراً وعقلاً، وأنزل الله كتاباً يهديه إلى الخير. وكل هذه المواهب الإلٓهية تعرِّف الإنسان بأقدار الخير وتدعوه للانتفاع بها. وتبين له أقدار الشر وتحذِّره منها. فعلى الإنسان أن ينتفع بأقدار الخير ويتجنب أقدار الشر. وأن يدفع قدر الشر بقدر الخير كأن يدفع قدر الجوع بقدر الأكل وقدر المرض بقدر الدواء وهكذا.. وبهذا أمرنا الله في كتابه. فمن خالف هدى ربه ولم ينتفع بأقدار الله النافعة ولا بسمعه وبصره وعقله فهو عدو نفسه.

الإيمان بالقدر:

س: هل الإيمان بالقدر واجب؟

ج: نعم.. الإيمان بالقدر واجب وهو ركن من أركان الإيمان.

س: ما هي ثمار الإيمان بالقدر؟

ج : ١ ـ من آمن أن الله خلق الكون بأقدار معلومة محدودة انطلقت طاقاته ومواهبه للتعرف على الأقدار والسنن الإلٓهية النافعة لينتفع بها، ويعمل بمقتضاها في البناء والتعمير واستخراج خيرات الأرض، وكل ما أودع الله في الكون من منافع وخيرات.

٢ ـ ومن آمن بالقدر عرف أن كل شيء في الوجود إنما يسير وفق حكمة عليا، فإذا مسه الضر، فإنه لا يجزع، وإذا وافقه النجاح والتوفيق فإنه لا يبطر.

وبهذا يوجد الإنسان السوي المتزن.

الخلاصة

القدر هو ما قدر الله في الأشياء من مقادير محدودة. تجري وفق ما قضى الله به من نظام لسير الكون. من الأقدار ما هو نافع، ومن الأقدار ما هو ضار. وقد منحنا الله هدًى وسمعاً وبصراً، وعقلاً نميز به بين القدر النافع فننتفع به. وبين القدر الضار فنتجنبه. ولكل قدر حكمة عليا نؤمن بها لأن الله حكيم في أعماله وأقداره.

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان. وهو باعث على النشاط والعمل للانتفاع بما أودع الله من خيرات في الأرض. وهو يوجد الإنسان السوي المتزن الذي لا يجزع عند الفشل، ولا يبطر عند النجاح والتوفيق.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الجزء الثاني

الفصل الأول

أهمية الإيمان بالله ورسوله

أهمية الإيمان بالله :

س : ما هو أول واجب على الإنسان؟

ج : أول واجب على الإنسان أن يعرف الله سبحانه وتعالى وأن يؤمن به .

س : ولماذا كانت معرفة الله ، والإيمان به هي أول واجب على الإنسان؟

ج : لأنه إذا لم يعرف الله ، الخالق له ، والمالك له ، والمتصرف به فإنه :

أولاً : سيعيش في هذه الدنيا كالحيوان ، لا يعرف من خلقه ، أوْ لا يدري لماذا يعيش في هذه الدنيا ، يأكل ويشرب ، وينام ويستيقظ ، وينتهي عمره وهو لا يدري لماذا عاش ، ولماذا وجد؟!

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾

(محمد : ١٢)

ثانياً : سيفسد في الأرض بأعماله ، ويسيء التصرف بأفعاله ، لأنه لا يدري ما هي الأعمال الصالحة ، ولا يعرف ما هي الأعمال الفاسدة ، ولا يعلم ماذا يرضي ربه ومالكه ، ولا يفهم ما الذي يغضب خالقه وسيده؟!

ألا ترى :

* أنّ الناس لا يعرفون الطرق الصحيحة لاستخدام السيارة ، إلا

بإرشاد يأتيهم من صانع السيارة .

* أنّ الناس لا يعرفون الطرق الصحيحة لاستخدام المضخة ـ (البمبة) ـ إلا بإرشاد يأتيهم من صانع المضخة : (البمبة) .

* أنّ الناس لا يعرفون الطرق الصحيحة لاستخدام أي آلة ، أو مصنوع ، إلا بإرشاد من الصانع لتلك الآلة ، أو المصنوع .

إذاً :

* لا يمكن للإنسان أن يعرف الطرق الصالحة لاستخدام أي مخلوق من هذه المخلوقات إلا بإرشاد من خالق المخلوقات .

فالذي لا يعرف ربه يفسد في أعماله ، وتصرفاته في الأرض ، لأنه جهل بالهادي سبحانه إلى طريق الرشاد ، وما هذا الفساد في الأرض إلا بسبب الابتعاد عن إرشادات خالق المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(البقرة : ٢٧)

ثالثاً : ثم تنتهي به الحياة الدنيا وهو لا يدري لماذا بدأت؟ ويخرج منها وهو لا يدري لماذا دخل إليها؟ يزعجه ذكر الموت ، ويفر حتى من التفكير فيه .

قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ **(الجمعة : ٨)**

رابعاً : يحرم من الفوز برضاء الله ، ونصره ، وتأييده .

قال تعالى:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ (الحج: ٤٠)

وهكذا يعيش الذي لا يعرف ربه:

* غافلاً عن خالقه من العدم، جاهلاً بالغرض من خلقه، ضائعاً، وتائهاً في هذه الدنيا.

* غافلاً عن عمل الصالحات، مفسداً في الأرض.

* غافلاً عن مصيره الذي ينتظره بين لحظة وأخرى.

* محروماً من تأييد الله ونصره.

س: وهل هناك سبب آخر يجعل المعرفة بالله أول واجب على الإنسان؟

ج: نعم.. فما سبق ينتج عنه أن الغافل عن معرفة ربه:

١ ـ يحرم نفسه من رضا ربه، ونعيم جنته.

قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: ٦٩، ٧٢)

٢ ـ ويعرِّض نفسه للضياع، والهلاك في نار وقودها الناس والحجارة، أعدت للكافرين.

قال تعالى:

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (ق : ٢٤)

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (التوبة : ٦٨)

أهمية الإيمان برسول الله ﷺ :

س : وما هي أهمية الإيمان برسول الله ﷺ ؟

ج : إننا بغير أن نعرف رسول الله إلينا، ونؤمن به سنحرم من هدى الله، والحياة الطيبة في الدنيا، كما نحرم من نعيم الجنة الخالد يوم القيامة.

ومن لا يعرف رسول ربه، تسهل سيطرة الدجالين، والمشعوذين، والمستبدين، والجبابرة عليه.

الخلاصة

* أول واجب على الإنسان أن يعرف الله تعالى.

* الذي لا يعرف ربه يعيش في الدنيا كالحيوان لا يدري لماذا يعيش؟ ويفسد في الأرض ولا يدري ما هي الأعمال الصالحة التي ترضي خالقه؟ ويخرج من الدنيا وهو لم يعرف لماذا جاء إليها؟

* الذي لا يعرف ربه يحرم نفسه من رضا ربه ونعيم الجنة، ويعرض نفسه لعذاب جهنم، كما يحرم من تأييد الله ونصره.

* الذي لا يعرف رسول ربه إليه، يحرم من نعمة الهداية الإلٓهية في الدنيا، ونعيم الجنة في الآخرة.

* الذي لا يعرف رسول ربه تسهل سيطرة المشعوذين والدجالين والظلمة عليه.

الفصل الثاني
أهمية الإيمان بالملائكة والكتب

أهمية الإيمان بالملائكة :

س : وما هو الإيمان بالملائكة ولماذا يجب الإيمان بوجودهم؟

ج : ١ ـ الإيمان بوجودهم ركن من أركان الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به، وقد أخبرنا عنهم ربنا سبحانه وتعالى، فنحن نؤمن بكل ما أخبرنا الله به.

٢ ـ الإيمان بالملائكة، توسيع لمعارف الإنسان عن نظام الله في هذا الكون، فيكون لدى المؤمن معرفة صحيحة، وإدراك صحيح لكثير من حقائق الكون الغائبة، عرفها المؤمن بفضل تعليم الله له.

٣ ـ والإيمان بالملائكة الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ بقوله :

«أطت السماء وحق لها أن تئط، ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد» ثم قرأ :

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾
(الصافات : ١٦٤، ١٦٦)

الإيمان بوجودهم وبغيرهم من مخلوقات الله الخاضعة لربها، يعرفنا أن العصاة لله في هذا الكون قليلون، ليس لهم نسبة تذكر في نظام الكون، وإن كانت لهم نسبة كبيرة في بني البشر، فإن البشر أجمع ليس لهم نسبة تذكر إلى جانب الملائكة وبقية المخلوقات الطائعة.

٤ ـ والإيمان بالملائكة الذين يرسلهم الله لتثبيت المؤمنين يجعلنا نعمل على أن نستحق من الله تثبيته لنا بالملائكة.

قال تعالى :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

(الأنفال : ١٢)

٥ ـ وإيماننا بالملائكة الكاتبين الملازمين لنا يجعلنا في يقظة دائمة، من الوقوع في الشر، حتى لا يسجل علينا ذلك، كما يجعلنا في تحفز دائم لفعل الخيرات فتكتبها الملائكة.

قال تعالى :

﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

(الزخرف : ٨٠)

وكما جاء في حديث رسول الله ﷺ :

«إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم».

أهمية الإيمان بالكتب :

س : ما هي أهمية الإيمان بالكتب الإلهية السابقة؟

ج : ١ ـ الإيمان بها ركن من أركان الإيمان، لا يتم الإيمان إلا به.

٢ ـ الإيمان بالكتب السابقة هو الصفة اللائقة بالأمة المسلمة، وارثة العقائد السماوية، وارثة النبوات منذ فجر البشرية، والحفيظة والمحافظة على تراث العقيدة، وتراث النبوة، ورائدة موكب الإيمان على الأرض إلى آخر الزمان.

وثمرة هذا الإيمان، هي الشعور بوحدة البشرية، ووحدة دينها ووحدة رسلها، ووحدة معبودها.

٣ ـ والإيمان بالكتب السابقة، ينقّي روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات، وضد المؤمنين بالديانات، ما داموا على الطريق الصحيح.

٤ ـ والإيمان بالكتب السابقة يؤكد للناس أن دين الله واحد وأن الإسلام جامع لكل الديانات السماوية، والمسلمون أولى الناس جميعاً بقيادة البشر على نهج الإسلام.

فالمؤمن يعتقد أن أي طائفة من أهل الكتاب يملكون أساساً وأصلاً لدينهم وهذا مما يجعل أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفُوا.

قال تعالى:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ (الشورى: ١٣)

٥ ـ الإيمان بالكتب الإلٰهية جزء من الإيمان بالقرآن، وجزء من الإيمان بأن الله سبحانه هو الهادي وأن هداية الله لم تنقطع عن البشر، فما من أمة إلا وقد أنزل الله لها هدى.

٦ ـ والمسلم يؤمن أن القرآن قد اشتمل على كل ما سبقه من كتب وهو سليم من أي تحريف، فالقرآن يصدق بالكتب السابقة وهو المرجع الوحيد لبيان ما فيها من حق.

قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (المائدة: ٤٨)

الخلاصة

* الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو توسيع لمعرفة

الإنسان بملكوت ربه، يثبت عمله، ويقوي خشيته لربه.

* الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان إيمان المسلم، وهو يقضي على التعصب الذميم، ويرشح الأمة الإسلامية لقيادة البشرية على هدى الإسلام لأنه الدين المصدق بكل الكتب السابقة. وهو اعتراف بأن الهداية البشرية قد عمت الناس جميعاً.

* لا إيمان لمن لا يؤمن بالملائكة والكتب السابقة.

الفصل الثالث

أهمية الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره

أهمية الإيمان باليوم الآخر:

س: ما هي أهمية الإيمان باليوم الآخر؟

ج: من لا يؤمن باليوم الآخر يعشْ في هذه الدنيا كالحيوان لا يدري ما الحكمة التي من أجلها خلق؟ فهو يرى أن كل ما في الدنيا فَانٍ مُنْقَضٍ لا يدري هل الحكمة من الحياة جمع المال؟ لكنه يجمع المال؛ والمال لا يغني عنه شيئاً ولا يبقى معه!! ولا يدري هل الحكمة من الحياة أن يحوز الشهرة؟! لكن السلطان والجاه لا يبقيان ولا يمنعان عنه الخروج من الحياة!!

قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴾

(**الحاقة**: ٢٥، ٢٩)

وهل الحكمة من حياته أن يتلذذ بشهواته؟ إن كل لذة فانية منقضية.

وهكذا يجد الكافر الذي لا يؤمن باليوم الآخر نفسه تائهاً، حائراً، لا يعلم لحياته ووجوده حكمة، في حين أنه يرى أن أصغر عرق فيه ما خلق إلا لحكمة.

أما المؤمن باليوم الآخر فيعرف أن حياته في الدنيا مقدمة لحياته الأخرى التي ينتقل إليها بالموت، وأن عليه أن يعمل الصالحات، ويتجنب السيئات حتى يفوز برضا ربه، ويدخل الجنة ذات النعيم المقيم الخالد. أو حتى ينجو من النار التي أعدها الله للعصاة الكافرين.

قال تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ
كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾

(الكهف : ٢٩، ٣١)

٢ ـ من لا يؤمن باليوم الآخر لا يركز همهُ إلا على هذه الدنيا وما يحقق فيها من مصالح ومنافع شخصية ، فهو يبذل كل جهوده ليصارع الناس على ما في أيديهم ؛ ليفوز من هذه الدنيا بأغلى نصيب قبل أن يأتيه الموت فيحرمه من لذائذه ويلفه في عالم الغيب ، وتجده يسعى لتحقيق أهدافه بين غش ، وخداع ، واستلاب أموال ، واغتياب . بين ظلم واستباحة دماء ، وهتك أعراض ، واحتيال ، ونصب ونفاق ؛ لا يخاف عقاب ربه ، ولا يخاف إلا أن يقع تحت عقاب المسؤولين .

فإذا أمِنَ جانبهم ، أو أحكم الخطة لمغالطتهم ، انطلق كالذئب الضاري ، أو كالحيوان المفترس ؛ لا يقف عند حدود .

أما المؤمن باليوم الآخر فإنه يعمل الصالحات ، ولا ينوي نية سيئة تغضبَ ربه ، وتوقعه في نار جهنم ، وتحرمه من نعيم الجنة . فتجده صادق الحديث وفياً بالعهد ، حافظاً للأمانة ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يسعى في الخير ، ويقاوم الشر ، لا يغش ، ولا يخدع ، يأكل من عمله ، لا يسرق ، ولا يقتل ، ولا يزني ، ولا يغتاب ، إنه الإنسان السوي المستقيم .

وأما ما نشاهده من رذائل قد تفشت بين المسلمين فسبب ذلك ضعف في

إيمانهم باليوم الآخر الذي فيه الجزاء، أو عدم تمسكهم بما كان عليه آباؤهم الذين وصفهم الله بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠)

٣ـ الإيمان باليوم الآخر: ركن من أركان إيمان المسلم لا يتم الإسلام إلاّ به.

أهمية الإيمان بالقدر

س: وما هي أهمية الإيمان بالقدر؟

ج: الذي يؤمن بأن الله سير الكون بأقدار حكيمة هي ماضية بأمر ربها، وأن هذه الأقدار لا تختل، وأن منها ما هو نافع للإنسان: كقدر الطعام والشراب، والراحة والأمن، والصحة والدواء، ومنها ما هو ضار: كقدر الجوع، والعطش، والتعب، والخوف، والمرض، والداء، من آمن بالقدر هكذا خيره وشره تراه:

١ ـ لا يخاف أحداً، فقد أصبح شجاعاً لا يهاب، لأنه يعرف أنه لا يكون إلا ما قد قضى الله به وقدّره.

٢ ـ هو في الوقت نفسه ينطلق باحثاً عن أقدار الله النافعة في هذه الأرض، فينتفع بها، ويتعرف على الأقدار الضارة، فيجتنبها. وعلى هذا الأساس قام التقدم العلمي والحضاري وبرز إلى الوجود.

٣ـ وإذا أخذ المؤمن بالقدر بالأسباب فإنه يعلم أن كل الأمور لا تزال موكولة إلى الخالق سبحانه، إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل.

وكم يقدّر الناس أموراً، فإذا بهم يجدون غير ما قدروا، وكم كره الناس أشياء بذلوا المساعي لإحباطها، كان لهم فيها خير كبير. وبهذا

الإيمان تتحقق السعادة النفسية والطمأنينة .

قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر : ٢٧، ٣٠)

الخلاصة

* الإيمان باليوم الآخر إيمان بالحق ، لا يتحقق معنى الحياة إلا به .

* الإيمان باليوم الآخر يطهر النفس ، ويصلح الأعمال ، ويبعد صاحبه عن التكالب على متاع الدنيا الزائل .

* الإيمان بالقدر يبعث الشجاعة والإقدام ، ويدفع صاحبه إلى البحث والتنقيب عما في الأرض من أقدار خيِّره للانتفاع بها ، وعما فيها من أقدار شر يراها فيجتنبها ، والمؤمن بالقدر يعيش مطمئن النفس راضياً بما قدر الله .

* الإيمان باليوم الآخر وبالقدر ركنان من أركان الإيمان .

الفصل الرابع

إقتراحات وشروط

التكبر والغرور:

س : ما هو سبب العناد عند بعض الكافرين؟

ج : سببه التكبر والغرور، فهناك طائفة من المتعنتين الكافرين لم يبحثوا في البينات التي وضحها الله لعباده في مخلوقاته، وأرسل بها رسله، فيسلكوا الطريق المستقيم، بل تكبروا على الذي خلقهم من ماء مهين، وحسبوا أنهم قد بلغوا في أنفسهم درجة تمكنهم من الاقتراح على الله لنوع البينات والأدلة التي تكون مقبولة عندهم، فأخذوا يقترحون المقترحات، ويشترطون الاشتراطات لكي يؤمنوا.

﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾ .

س : ولماذا لا يستجيب الله لمقترحات الكافرين؟

ج : لو أجابهم الله إليها لازدادوا عنتاً، وفسد نظام الأرض والسماء لأن هذا سيشترط على الله أن يجعل الليل نهاراً، وآخر يشترط أن يجعل النساء رجالاً، وثالث يشترط أن يقتل الله له خصمه، ويزوجه فلانة وفلانة، وهذا يقترح على الله أن يجعل أمامه الأرض سماء، وهذا يقترح أن يجعله ربه في درجة الأنبياء. . . وصدق الله القائل: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾**[1] ولكن الله سبحانه لا يقبل تعنت الجاهلين، فقد أقام للناس الدلائل، وأوضح البينات وأقام البراهين، وخلق للناس أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فانتفع بها من انتفع من المؤمنين وأبى الجاهلون الكافرون إلا التَّعنّت.

---

(١) المؤمنون: ٧١.

وأي حجة تبقى لهم عند ربهم؟! قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ (الشورى: ١٦)

بعض مقترحات الكافرين:

س: وهل ذكر القرآن شيئاً من مقترحات الكافرين؟

ج: نعم وهذه بعض صور للمقترحين والمشترطين، كما يرويها لنا القرآن الكريم، قال تعالى مخبراً عما يقوله اليهود لموسى عليه السلام:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(سورة البقرة: ٥٥، ٥٦)

وهؤلاء كفار قريش يقولون لرسول الله ﷺ:

﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (الإسراء: ٩٠، ٩٣)

وهذه فرقة ممتدة في شعاب الزمان والمكان تقف موقفاً واحداً من رسل الله:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا

يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ
نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴾

(الأنعام: ١٢٣، ١٢٤)

فهؤلاء قادة الإجرام في كل زمان ومكان، يبتكرون الشبهات لخداع الناس عن هدى ربهم ويشترطون الاشتراطات التي تدل على تكبرهم على الحق، فإذا بهم يطلبون أن يكون لكل منهم معاملة ومكانة، كمعاملة الله لنبيه ورسوله **﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾**.

مثال يوضح الجهالة والغرور:

س: وهل هناك مثال يوضح جهالة هؤلاء المغرورين؟

ج: نعم، فلو أن ملكاً أو رئيساً في دولة أنكر شخص أو جماعة من الناس أنه الحاكم لتلك البلاد، وطلبوا من الملك أو الرئيس دليلاً على أنه الحاكم، واشترطوا لتصديقهم للملك أو الرئيس بأن يأتي إلى بلادهم وينقل حجراً من مكان إلى آخر! فهل يستجيب الملك أو الرئيس لمقترحاتهم؟ لو جاءهم ذلك الرئيس أو الملك وقال: أين الذين ينكرون أني أنا الحاكم لهذه البلاد فجاءوا إليه. وقال لهم: ماذا تريدون لكي تقتنعوا أني أحكم هذه البلاد؟

فقالوا له: إذا كنت تحكم هذه البلاد فهذا الحجر يقع داخل دولتك أنقله من مكان إلى آخر. فقال: هنئذا قد فعلت (ونقل الحجر) فقال آخر: أما أنا فلا أصدق أنك تحكم هذه البلاد إلا إذا نقلت هذا الشال من مكانه.

فقال له الملك أو الرئيس: هئنذا قد فعلت (ونقل الشال).

فقال آخر: وأنا أريد منك أن تغسل هذه الكأس.

وقال آخر: أما أنا فأشترط عليك أيها الملك أو الرئيس إذا أردت أن أصدق أنك الحاكم لهذه الدولة أن تقتل غريمي فلاناً.

إننا نجزم بأن الحاكم الذي يستجيب لمثل هذه المقترحات لا شك أنه سفيه ولكن الحاكم الذي يحترم نفسه سوف يقول: من أراد أن يعرف أني الحاكم لهذه البلاد فعليه أن يسأل ليعرف أني أنا الذي أشكِّل الحكومات، وأقيل الوزارات، وأعقد المعاهدات الدولية، وأصرف الميزانيات، وأعلن الحرب وأشكِّل الجيوش، أما نقل حجر أو شال أو غسل كأس فذلك يفعله أي واحد في دولتي.

فمن أراد أن يعرفني فبتلك الأعمال التي لا يقدر عليها إلا من كان رئيساً أو ملكاً.

ولله المثل الأعلى:

س: وأين موضع الشاهد في المثال السابق؟

ج: لو أن شخصاً أو جماعة أنكرت حكم الملك أو الرئيس للبلاد وطلبوا لكي يصدقوا بحكمه أن يستجيب لمقترحاتهم (نقل الحجر، أو الشال، أو غسل كأس، أو قتل إنسان) فإنه لن يستجيب لمقترحاتهم، لأنهم طلبوا أمراً فيه امتهان لمقام الحاكم، وتحقير له إلى مستوى أي فرد، إلى جانب أن مثل هذا يخل بنظام الدولة، وما دفعهم إلى ذلك إلا العناد والكبر. ولكنه سيقول: من أراد أن يعرفني فبتلك الأعمال التي لا يقدر عليها إلا الملك أو الرئيس. فكذلك أراد الكافرون المتعنتون أن يفعلوا: اشترطوا لإيمانهم بالله أن ينقل حجراً أو شالاً أو يقتل فلاناً أو يجعل الليل نهاراً والنساء رجالاً... قال تعالى: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾**.

فلا يستجيب الله لعنت الكافرين، ويقول لهم على لسان رسله: من أراد أن يعرف أني أنا الله فبتلك الأعمال التي لا يقدر عليها إلا الله مثل: خلق السموات والأرض ومن فيهن، خلق الموت والحياة، تدبير شأن المخلوقات، توفير الأرزاق، تقليب الليل والنهار، وأمثال هذه الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله والتي تقتضي فساداً لخلق الله.

إجابة المضطر إذا دعاه:

س: وهل يجيب ربنا دعوة المضطر إذا دعاه؟

ج: إن دعوة المضطر فيها إيمان وتذلل، وسؤال المتعنت فيه تكبر وتعنت فهو سبحانه يجيب دعوة المضطر ولا يجيب اقتراح المتعنت الكافر. فكم أصيب المسلمون بالجفاف في أرضهم، فخرجوا يطلبون من الله المطر فأغاثهم، قال تعالى:

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٢)

الفصل الخامس

مخلوقات الله مرآة لقدرته وصفاته

العدم لا يفعل شيئاً:

س: هل يمكن للعدم أن يفعل شيئاً؟

ج: العدم لا يفعل شيئاً هذا أمر متفق عليه بين الناس جميعاً، ولا يخالفه إلا مجنون. فلا يمكن لأي عاقل أن يصدق أن الساعة التي بيدك أو أن تلك الطائرة أو المسطرة قد أوجدها العدم، وأنه لا صانع لها.

قال تعالى:

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٥، ٣٦)

إذاً

* لا بد لكل فعل من فاعل.
* ولا بد لكل مصنوع من صانع.
* ولا بد لكل مخلوق من خالق.

الفعل مرآة لقدرة صانعه وصفاته:

س: ما هي العلاقة بين المصنوع وصانعه؟

ج: العلاقة بين المصنوع وصانعه وثيقة، حتى أصبح المصنوع مرآة لقدرة صانعه وفاعله.

س: وكيف ذلك؟

ج: تأمل جيداً في المسطرة التي بين يديك، فستجد أنها مرآة مصغرة

لقدرة النجار الذي صنعها. ستجد أنها مصنوعة من الخشب، عندئذٍ ستعرف:

* أن صانع المسطرة لديه خشب.

* وأن صانع المسطرة يقدر على صنع المساطر من خشب. وسترى أن المسطرة ملساء منظمة الشكل، مستقيمة الحواف. فستعرف بعقلك:

* أن صانع المسطرة يقدر على جعل الخشب أملس.

* وأن صانع المسطرة يقدر على تقطيع الخشب بأشكال منتظمة.

* وأن صانع المسطرة يقدر على صنع حواف خشبية مستقيمة غير منحنية. وسترى أن المسطرة مقسمة بخطوط سوداء إلى أقسام متساوية، وستعرف معرفة لا شك فيها:

* أن صانع المسطرة لديه لون أسود.

* أن صانع المسطرة يقدر على جعل ذلك اللون الأسود خطوطاً دقيقة منتظمة.

* وأن صانع المسطرة يقدر على تقسيم المسطرة إلى أبعاد متساوية دقيقة. وستعرف أيضاً بتفكرك معرفة يقينية بعض صفات الصانع، ستعرف بعقلك:

* أن الدقة في تقطيع حواف المسطرة، في تقسيمها إلى أجزاء منظمة دقيقة لا تكون إلا من صنع عاقل مفكر، قادر على التقطيع والتخطيط المنتظم.

وهكذا تتحدث المسطرة إلى عقلك عن كثير من صفات صانعها وقدرته.

وبالمثل لو تفكرت في سيارة فستعرف بعقلك معرفة قاطعة:

* أن صانع السيارة لديه حديد وزجاج، وأسلاك ومطاط[1].

* وأن صانع السيارة يقدر على تشكيل الحديد والزجاج والأسلاك والمطاط بالأشكال المناسبة لصنع السيارة.

* وأن صانع السيارة لديه القدرة على تشكيل أجزاء السيارة كما تشاهدها عينك.

وستعرف بعقلك معرفة مؤكدة بعض صفات صانع السيارة، ستعرف:

* أن صانع السيارة خبير بصناعته.

* أن صانع السيارة حكيم في عمله.

* أن صانع السيارة دقيق في فعله.

* أن صانع السيارة عاقل غير مجنون.

إذاً

* كل مصنوع مرآة لقدرة صانعه وصفاته.

المخلوقات مرآة لبعض قدرة الخالق وبعض صفاته:

س: وهل المخلوقات إذاً مرآة لقدرة خالقها وصفاته؟

ج: نعم فالعلاقة بين المخلوقات وخالقها وثيقة كالعلاقة بين الصانع ومصنوعاته التي بيناها سابقاً. وهكذا تصبح المخلوقات مرآة لقدرة خالقها وصفاته.

ألا ترى:

* أننا عندما نشاهد الملايين من المخلوقات المحكمة التركيب تخلق كل يوم؛ نعرف معرفة عقلية يقينية أن لها خالقاً خلقها وأوجدها.

---

(١) مطاط: ربط.

* أننا عندما نشاهد الآلاف المؤلفة في الكائنات الحية تنشأ وتحيا من مواد ميتة في كل يوم؛ نعرف معرفة يقينية بعقولنا أن الحياة التي دبت وخلقت في تلك الكائنات الحية من صنع مُحْيٍ أحياها.

* وإذا تفكرنا في ملايين الصور الجميلة، المتقنة، الرائعة، البديعة، المتوازنة، المحكمة، التي تنشأ أمام أعيننا كل يوم في النباتات، والحيوانات، وبني الإنسان، وغيرهم، عرفنا أن تلك الصور من صنع مصوِّر بديع.

وإذا تفكرت في هذه المخلوقات وجدتها تتحدث إلى عقلك ببعض صفات خالقها:

* سترى الحكمة ظاهرة في تكوين وتركيب كل مخلوق تقول لعقلك: إن صاحب هذه الحكمة: **حكيم مريد**.

* وسترى التدبير المحكم، والتقدير المتقن في هذه المخلوقات يخاطب عقلك: بأن ربه **عليم خبير**.

* وسترى النعم المسداة، التي يتمتع بها الخلق فتقول لعقلك: إن ربها **رحمن رحيم**.

* وسيناديك عقلك: بأن القدرة المشاهدة، والصفات المحسوسة لا تكون إلا لخالق **موجود**.

وهكذا من تفكر في مخلوقات الله وجدها مرآة يشاهد فيها قدرة ربه وصفاته فيؤمن بربه إيماناً قوياً، لا يتزعزع. لذلك فقد حثّنا القرآن الكريم على التفكير والتدبر في مخلوقات الله.

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي

﴿ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٤)

وقديماً قال أحد الأعراب مدللاً على إيمانه:

«إذا كانت البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج أفلا تدل على اللطيف الخبير»؟!

إذاً

* نشاهد في مخلوقات الله قدرته وصفاته، ونعرف منها وجوده.

فاقد الشيء لا يعطيه:

س: وكيف نعرف أن الله هو الخالق، وليس أحد غيره؟

ج: وهل يكون الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل؟!

* هل إذا رأينا قتيلاً بجانب حجرة قلنا: إن هذه الحجرة هي بنفسها التي قتلت القتيل؟! وهل تأتي الشرطة لإلقاء القبض على هذه الحجرة بتهمة القتل؟!

* وهل الفصل هو الذي صنع الماصات والكراسي لأن الجميع بداخله؟!

والجواب واضح لكل صاحب عقل: بأن الحَجَرةَ ليست القاتلة بنفسها وأن الفصل ليس الصانع. والسبب أن الحَجَرة لا تملك القدرة على قتل الناس بنفسها، وأن الفصل لا يملك القدرة على صنع (الماصات) والكراسي.

إذا

* ليس الفاعل من لا يملك القدرة على الفعل.

الأوثان والطبيعة لا تملكان القدرة على الخلق:

س: وهل تملك الأوثان أو الطبيعة القدرة على خلق الكون والمخلوقات؟

ج: إننا نشاهد في الكون حكمة بالغة في حين لا تملك الأوثان أو الطبيعة حكمة ما.

* ونشاهد في الكون تدبيراً عظيماً معجزاً، ولا تملك الأوثان أو الطبيعة تدبيراً ما.

* ونشاهد في الكون خبرة فائقة، وعلماً شاملاً، ولا تملك الأوثان أو الطبيعة علماً ما.

* ونشاهد عقولاً مفكرة حكيمة تُخلَقُ كل يوم، ولا تملك الأوثان أو الطبيعة عقلاً أو تدبيراً.

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ (الحج: ٧٣)

إذاً

* ليس التدبير، والحكمة، والخبرة، والعلم، والخلق المحكم، والعقول المفكرة من خلق وثن أو طبيعة. إنما ذلك كله من خلق خالق غير

هذه المخلوقات المشاهدة. من خلق الله، الحكيم، العليم، القادر، المريد، الخبير.

الخلاصة

* لا بد لكل فعل من فاعل، ولا بد لكل مصنوع من صانع، ولا بد لكل مخلوق من خالق.

* كل فعل أو مصنوع أو مخلوق مرآة لقدرة وصفات فاعله أو صانعه أو خالقه.

* الكون مرآة لقدرة وصفات خالقه.

* ليست الأوثان أو الطبيعة هي الخالقة لأنها لا تملك قدرة على خلق ذبابة.

الفصل السادس

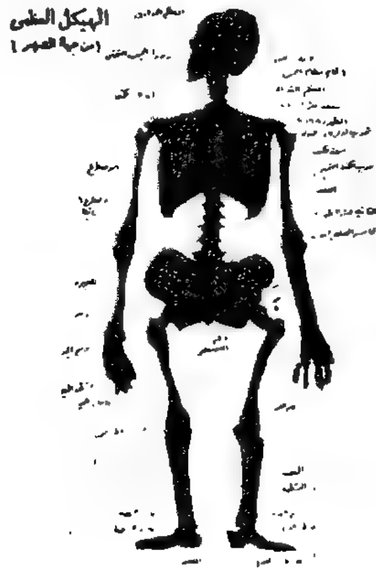
﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

المفاصل والحركة في جسم الإنسان

العظام :

س : ما فائدة العظام في جسم الإنسان؟

ج : خلق الله العظام لكي تعطي لجسم الإنسان شكله وقوامه الإنساني فهي كأركان المنزل الذي يقوم عليه البناء ، ولولا تلك العظام لأصبح الإنسان قطعاً من اللحم المتراكم .



المفاصل :

س : ما الحكمة من وجود المفاصل في الهيكل العظمي للإنسان؟

ج : لو لم تكن عظام الإنسان مفصلة ، وكانت جميعاً عظماً واحداً ، لما

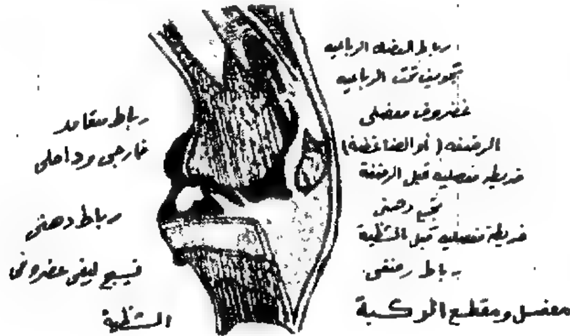
تمكنت أن تقوم من مقامك ، ولعجزت حتى عن تحريك إصبع من أصابعك ، ولأصبح حال الإنسان كحال قطعة من الحديد ، لكن الخالق ـ جلت حكمته ـ قد فصل جسم الإنسان تفصيلاً دقيقاً محكماً ، بمفاصل قد أعدت بإتقان بديع :

١ ـ فكون نهاية كل عظم بحيث تناسب وتوافق تركيب العظم المتصل به في غاية الإحكام والإتقان ، ولا تجدها تناسب عظمة أخرى .

مفصل المرفق

٢ ـ وشكل الخالقُ سبحانه هذه المفاصل تشكيلاً يلائم الحركة المطلوبة ، كالمفصل الدائري : (مفصل الورك) الذي يربط عظم الفخذ بعظمة الحوض وبه يتمكن الفخذ من الحركة في عدة اتجاهات . في حين نرى مفصل الركبة قد كُوِّن بحيث يسمح للساق بالحركة في اتجاهين فقط : إلى الأمام وإلى الخلف .

٣ ـ وإذا تأملت مفاصل العظم وجدتها ملساء بخلاف سائر العظام الخشنة، وذلك لتسهيل الحركة على المفصل، ومنع احتكاك العظم، وتآكله.



مفصل ومقطع الركبة

٤ ـ وإذا شاهدت جزاراً وهو يقطع مفصل عظم، فستجد سائلاً لزجاً ينزل من المفصل، ذلك السائل يقوم أيضاً بتسهيل حركة العظام في المفصل، وهو يقوم مقام الشحم في مفاصل الآلات المعدنية، وإذا كان الشحم لا يمنع نهائياً تآكل المعادن واحتكاكها. فإن هذا السائل يمنع أي احتكاك، أو تآكل في العظام المتحركة بعضها على بعض.



العضلات:

س: ما هو الذي يحرِّك العظام؟

ج: القوة المحركة هي العضلات اللحمية المربوطة بالعظام والكاسية

لها وكل عظم قد زوده خالقه بما يناسبه من العضلات اللحمية، كما أن العظم والعضلات قد كُوِّنت مناسبة لما تقوم به من أعمال. فتأمل أيها الإنسان في نفسك، وفي بديع خلق الله!!

قال تعالى:

﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ﴾

(البقرة الآية: ٢٥٩)

وتفكر كيف خلق ربك عظامك، ومفاصلك، وعضلاتك اللحمية من نطفة إذا تمنى.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾

(المؤمنون: ١٢، ١٤)

نقاش:

* من أنشأ العظام الصلبة، وكوَّنها في ظلمات الأرحام من طعام يجري سائلاً في دم الأم؟!

* من الحكيم الذي كَوَّن مفاصل العظام، وجعلها ملساء، وأمدها بالسائل اللزج لمنع الاحتكاك، والتآكل في العظام عند حركتها؟!

* من الخبير العليم الذي كسا العظام لحماً يحرك الجسد في غاية الدقة والإبداع؟! أهو وثن أصم لا يملك لنفسه أن ينتقل من مكانه؟!

أم إنها الطبيعة التي لا تملك تدبيراً ولا تفكيراً؟!

أم إنه العدم الذي لا وجود له؟!

أم إن ذلك الخلق البديع، والتركيب المحكم، والتقدير الدقيق يشهد أنه من خلق خالق، عليم، خبير، قادر، مصور، بديع، هو الله سبحانه.

الخلاصة

* خلق الله العظام الصلبة لتغطي للإنسان هيكله الإنساني وقوامه.

* وجعل للعظام مفاصل محكمة بها سائل لزج يعمل على منع احتكاك العظم وتآكله.

* وكسا الله العظام لحماً في غاية الإبداع والإتقان يعمل على تحريك أجزاء الجسم على المفاصل.

* كل ذلك يشهد أنه خلق الله الحكيم، العليم، الخبير، وأن الأوثان الجامدة والطبيعة البليدة، غير العاقلة، أعجز من أن تصنع شيئاً من ذلك.

الفصل السابع
نِعْمَة السَّير

نعمة السير:

س: لماذا كان تمكين الإنسان من السير نعمة من النعم؟

ج: هناك مخلوقات حية لا تسير من مكانها كالنباتات وبعض الحيوانات ولكن الله أنعم على الإنسان بالسير الذي فيه عظيم الفائدة للإنسان.

١ ـ وبالسير ينجو الإنسان من أذى الأماكن الخطرة المؤذية.

٢ ـ وبالسير يكسب الإنسان علوماً، ومعارف، وخبرات لا يحصل عليها إلا إذا سار وتنقل.

٤ ـ وبالسير تتعارف الأمم، والشعوب، وتنشأ التجارة وتنشط.

٥ ـ وبالسير يتمتع الإنسان بالمناظر المختلفة الجميلة، والطقوس المتنوعة المناسبة.

٦ ـ وبالسير تتحقق الحياة بكل معانيها.

لذلك فقد خلق الله لنا أقداماً تسير، وعيوناً نهتدي بها في الأرض، وجعل الأرض ذلولاً ميسرة لسيرنا عليها، وأمرنا الله أن نسير في أرجاء الأرض.

قال تعالى:

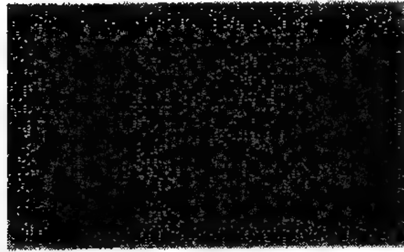
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥)

وسائل تعيننا على السير:

س: وما هي الوسائل التي تعيننا على السير؟

ج : إن السفر قطعة من نار جهنم، فكيف إذا حمل الإنسان أمتعته وسافر، لكن رحمة الله ذللت لنا من المخلوقات ما هو أضخم منا من الحيوانات كالجمال، والبغال، والخيل والحمير، نركب عليها ونحمل عليها أثقالنا، وهي مستسلمة منقادة، ولنتأكد من تذليل الله لنا إياها :





حاول أن تذلل قطة، أو ذئباً، أو أسداً، وجرب هل يمكن أن يستسلم لك لتحمله شيئاً من أثقالك، رغم أنها جميعاً أصغر من الجمل أو الحمار؟

قال تعالى :

﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ (النحل : ٧)

ومن نعمة الله علينا أيضاً أن سخّر لنا البحار، وجعلها صالحة لانتقالنا، كما جعل الأرض صالحة لسيرنا، وسخر لنا السفن، والرياح، كما سخر لنا الدواب، والأنعام.

قال تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ ﴾ (يونس : ٢٢)

ويخلق ما لا تعلمون :

س : وهل هناك وسائل أخرى؟

ج : نعم إن الله سخر للإنسان ما في السموات وما في الأرض.

قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾

(لقمان : ٢٠)

وكما سخر للإنسان الدواب والأنعام فإنه سبحانه قد سخر له الحديد، والمعادن، وقوة البخار، وأعطاه عقلاً تمكن بواسطته من الانتفاع بما سخر الله له. فاستخدم الإنسان قوة البخار في السير فصنع القطارات الكبيرة السريعة، ثم طور الفكرة باستخدام قوة (الاحتراق الداخلي) للبنزين الذي خزنه الله للإنسان بكميات كبيرة هائلة في بطن الأرض، فصنع الإنسان بإذن ربه السيارات، والطائرات.

ثم ها هو الآن يستخدم الصواريخ، والمركبات الفضائية، ولقد تحدث القرآن عن أنه ستكون وسائل جديدة في المستقبل تستخدم فيما تستخدم فيه البغال، والحمير، والخيل، والسفن الشراعية.

قال تعالى :

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل : ٨)

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾

(يس : ٤١، ٤٢)

وإذا أراد الله شيئاً بعث أسبابه، وقد جعل الله عقل الإنسان، والتقدم العلمي سبباً في ظهور وسائل النقل الحديثة، التي أخبرنا عنها القرآن.

ولقد أخبر الرسول ﷺ: بأن أجزاء الأرض ستتقارب في زمن يأتي بعد زمنه ﷺ، وها هي هذه الوسائل السريعة للاتصال والنقل قد جعلت أجزاء الأرض متقاربة، وبهذه الوسائل ربطت أجزاء الأرض، وتقاربت كما أخبر الرسول ﷺ[1]: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتزوي الأرض زياً» أي تطوي وتضم بعضها إلى بعض. وبهذه الوسائل الجديدة، تتعطل كثير من الوسائل القديمة، فلا تستخدم إلا في الأرياف. وفي الأماكن التي لا توجد فيها هذه الوسائل.

قال عليه الصلاة والسلام: «ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها» الحديث[2].

الخلاصة

* من الحيوانات والنباتات وكثير من المخلوقات ما لا يقدر على السير والانتقال، وقد خلق الله في الإنسان مقدرة على السير والتنقل فحقق الإنسان بذلك نعماً كثيرة لا تحصى.

* وإلى جانب مقدرة الإنسان الذاتية على السير فقد يسر الله له بعض الحيوانات وذللها له لينتقل عليها، ويحمل عليها أمتعته.

* وكما سخر له البر، سخر له البحر والجو، وقد تمكن الإنسان بما أعطاه خالقه من قدرة وعلم أن يغوص في أعماق المحيطات، كما يطير في الفضاء بعد أن صنع الوسائل المعينة له على السفر والتنقل، وذلك كله من نعمة الله.

---

(١) أخرجه الطبراني.

(٢) القلاص: جمع قلوص. وهي من الإبل.

الفصل الثامن
طَعَامُنَا

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ (عبس : ٢٤)

في بطون الأمهات :

س : كيف نتغذى في بطون أمهاتنا؟

ج : إذا تكونت النطفة داخل الرحم ، وجهها الرازق إلى مكان رزقها ، الذي أعده برحمته لها ، فتلتصق في جدار رحم الأم في المكان المعد للالتصاق ، وبعد الالتصاق تذوب الحواجز بتدبير الحكيم فتتمكن تلك النطفة من الاتصال بدماء الأم مباشرة ، فتتغذى من غذاء الأم ، ويستمر الأمر كذلك حتى يخرج الطفل من بطن أمه ، وهو لا يزال متصلاً بالأنبوبة «الحبل السري» التي يتغذى بواسطتها تسعة أشهر ، ثم تقطع تلك الأنبوبة «الحبل السري» بعد خروج الطفل من رحم أمه .

من الثديين :

س : ومن أين يأكل الطفل بعد قطع مورد غذائه «الحبل السري»؟

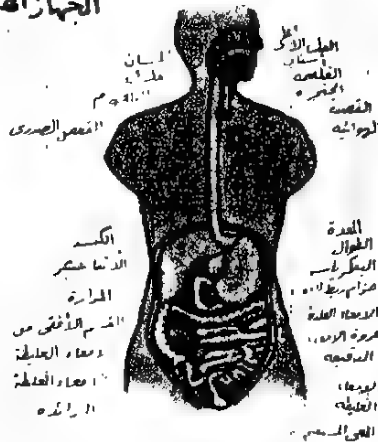
ج : إن خالق الإنسان حكيم ، عليم ، خبير ، فهو ما قدر إخراج الطفل إلا بعد أن كوّن له جهازاً هضمياً مستقلاً يتكون من :

فم ، بلعوم ، مريء ، معدة ، بنكرياس ، أمعاء دقيقة ، وكبد ، وأعد له مورداً جديداً لطعامه : إنه الثدي الذي بدأ يمتلىء باللبن بعد خروج الطفل ، ولم يكن به لبن من قبل .

س : وهل يكفي اللبن وحده للغذاء؟

ج : نعم فلا يخلو اللبن من أي مادة غذائية : (نشوية ، أو دهنية ، أو

بروتينية، أو أملاح، أو فيتامينات) ومن لطيف التدبير أن اللبن يتناسب مع معدة الطفل تناسباً دقيقاً، فيزداد تعقيداً كلما ازدادت المعدة قوة وقدرة على هضم الطعام.



من الأرض:

س: ومن أين يأكل بعد أن ينقطع لبن الأم؟

ج: إن خالق الإنسان حكيم خبير، فبعد فترة اللبن تأتي فترة أخرى هي التغذي على ما أودع الله في هذه الأرض من حبوب، وثمار ولحوم.



وقد خلق الله هذه المصادر الغذائية على الأرض بما يكفي حاجة الناس.

قال تعالى:

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ (فصلت: ١٠)

أي إن الله قدر في الأرض أقوات جميع ما عليها من مخلوقات، وإذا كان المورد للطعام هو الأرض فإن الله قد أعد الجهاز الهضمي المناسب لما في الأرض من طعام، فأمده بأسنان قوية قاطعة، وممزقة، وطاحنة، ثم أعطاه جهازاً هضمياً قوياً.

إعداد الطعام للإنسان:

س: كيف يتم إعداد طعام الإنسان؟

ج: قد رأينا كيف أعد الطعام للإنسان في المرحلتين السابقتين (الحبل السري والثديان)، وأما الآن فإعداد الطعام يتم بصورة أشمل، وتساهم في إعداده كثير من المخلوقات.

أ ـ التربة:

أما التربة فقد أعدها خالقها إعداداً دقيقاً، يجعلها صالحة لنمو النبات، وركبها بحيث يسهل انتقال ما فيها من مواد إلى النباتات، وتشارك ملايين البكتريا «وهي كائنات حية صغيرة لا ترى» في إعداد التربة، وتهيئتها.

قال تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ (الحجر: ١٩، ٢٠)

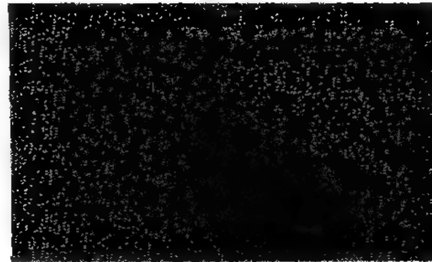
ب ـ البذور الأولى:

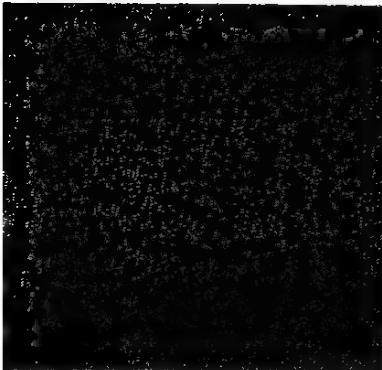
والبذور أعدها الله لتحويل تراب الأرض إلى أشجار ونباتات تتغذى

عليها، فالبذور أخذناها من أشجار، ونباتات، والأشجار أخذت من بذور سابقة، وهكذا حتى نقف أمام الإرادة الحكيمة، إرادة الرزاق الذي خلقنا محتاجين للطعام، وهيأه، وخلق كل أسبابه، فالذي دلنا على الغذاء قد أوجد الأصول الأولى التي أخذنا منها بذورنا التي نبذرها في التربة، فإذا نزل المطر انغلقت البذور، وشقت الأرض في اتجاهين متعاكسين: إلى أعلى لتكوين الشجرة، وإلى أسفل لتكوين قواعدها المنبثة، وعروقها الممتصة للغذاء.

ج ـ البحار والرياح والسحب:

لكن تلك البذور في جوف التراب الجاف لن تنبت. فكوّن الله البحار مصدراً للمياه، وأرسل الرياح تثير سحاباً مما يتصاعد من أبخرة عظيمة فوق البحار، ثم لتسوقه إلينا سيولاً طائرة عظيمة وبرحمة من الخالق يسقط نطفاً صغيرة، لا سيولاً دافقة، أو جبالاً من بَرَدٍ؛ ثم يجريه الخالق أنهاراً، ويسلكه ينابيع من مياه جوفية قريبة، حفظها الله بصحن من الصخر، حتى لا تغور في الأعماق.





قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ

سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٧)

د ـ الهواء والليل والنهار :

وبغير الهواء ، وحرارة الشمس ، ما كنا وجدنا حبة أو ثمرة أو شجرة ، ولو أن الشمس كانت دائماً ساطعة لاحترقت جميع النباتات ، ولكن تعاقب الليل والنهار بانتظام دائم يعمل بإذن ربه على تنشيط تكوين الغذاء في النهار والراحة في الليل .

قال تعالى :

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (الأنعام : ٩٦)

هـ ـ المادة الخضراء :

وفي النباتات مادة خضراء مكونة من نقط صغيرة خضراء ، كل نقطة هي مصنع للغذاء تأخذ جميع المواد الخام السابقة ، وتكوّن منها الغذاء .

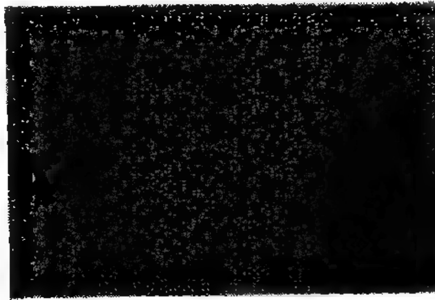


فتأخذ الأملاح ، والمعادن ، والماء من التربة ، (وثاني أكسيد الكربون) من الهواء ، والحرارة من الشمس ، وتصنع من الجميع سكراً

أولياً، ثم تحول السكر إلى المواد الغذائية الصالحة لتغذيتنا، وتغذية أنعامنا.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ **(الأنعام: ٩٩)**



مناقشة:

* ألا يتصف الذي وجَّه النطفة إلى مكان الاتصال بدم الأم، وكون أنبوبة الاتصال، وأوصل الغذاء إلى الطفل من دم أمه وهو في ظلمات الرحم بأنه: حكيم، عليم، خبير، رزاق، رحيم؟!

* ألا يتصف الذي أخرج الطفل من بطن أمه، وقد كون جهازه الهضمي المناسب المحكم، وأجرى له الغذاء من الثديين متناسباً مع أطوار نمو الجهاز الهضمي بأنه المدبر، العليم، المقيت، الحكيم؟

* ألا يتصف الذي كوَّن الأسنان المتناسبة مع طعام الأرض، والذي خلق التربة الصالحة، والبكتريا العاملة لخدمة النبات، وخلق البذور،

وخلق البحار، وطير الماء، وأرسل الرياح فتثير سحاباً وساقه إلينا، وأنزله نطفاً، وأجراه أنهاراً ظاهرة، وسلكه ينابيع قريبة، وحفظه مياهاً جوفية، ليست غائرة، وخلق الشمس، وقلب الليل والنهار، وأنشأ المادة الخضراء العجيبة.



* ألا يتصف بأنه الخالق العظيم، الخلاق، القادر، الرزاق، المسيطر، القوي، العليم، الحكيم؟!

فاشهد إذاً أيها المسلم كما تشهد مخلوقات الله، بأن لهذا الكون رباً حكيماً، خالقاً، قادراً، رازقاً، رحيماً، خبيراً، عليماً، مدبراً، قوياً، مسيطراً، عظيماً، هو الله الذي ملأت آياته الأرض والسماء.

قال تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا

(٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً
وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ (عبس : ٢٤، ٣٢)



الفصل التاسع

وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا

السراج الوهاج :

س : ما هو السراج الوهاج؟

ج : إنه ذلك السراج الهائل الذي يبدد ظلام الليل، وينير الأرجاء، إنه الشمس التي أوقدها الله، وسخرها بحكمته وانتفع الإنسان بها من عهد آدم ـ عليه السلام ـ وفي هذا الزمان، وستبقى إلى ما شاء الله، لا ينفد وقودها، ولا ينطفىء ضوؤها.



قال تعالى يصف الشمس:

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ (نوح : ١٦)

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ (الفرقان : ٦١)

س : ما هو مقدار ما يصل إلى أرضنا من أشعة الشمس؟

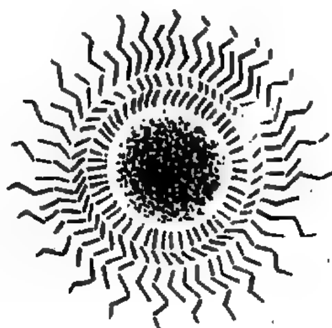
ج : إن للأشعة وزناً، لكنه لا يذكر نظراً لضآلته، لكن الكمية الهائلة من الأشعة، التي تنبعث من الشمس في كل ثانية، يقدر وزنها بأكثر من أربعة ملايين طن. ومن ملايين الأطنان هذه، لا يصل إلى أرضنا سوى أربعة أرطال في الثانية.

س : لو أننا قومنا الأشعة الشمسية التي ننتفع بها في أرضنا، فكم يبلغ ثمن ما يصل إلى أرضنا في اليوم الواحد؟

ج : يصل إلى أرضنا في اليوم الواحد (١٧٣) طناً من الأشعة، وتقدر قيمة ما يصلنا في الساعة الواحدة حسب مؤشر العداد بـ (٦٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) جنيه، وهذا العدد كبير جداً لدرجة أن كثيراً من الناس لا يستطيعون قراءته، فهل فهم الناس نعمة خالقهم في ذلك السراج الوهاج؟!!

فوائد الشمس :

س : ما هي فوائد الشمس؟



ج : إن للشمس أهمية كبرى في حياتنا.

١ ـ بضوء الشمس نبصر ونسير في الأرض.

٢ ـ بحرارة وضوء من الشمس يتكون من النبات طعامنا، وطعام كل كائن حي.

٣ ـ وبحرارة من الشمس تدفأ الأرض، وتذهب البرودة المميتة التي تقضي على كل كائن حي يعيش على الأرض.

٤ ـ ومن أشعة الشمس وحرارتها حزن الخالق الوقود للإنسان في الأرض، بتفاعل كيمائي ضوئي محكم في المادة الخضراء في النبات: (النقط الخضراء) تخزن حرارة الشمس في النبات في شكل أوراق، أو جذوع، أو عروقٍ شجرية، وبإيقادنا لهذه الأجزاء الشجرية تنطلق حرارة الشمس المخزونة.

أما إذا طمرت هذه الأجزاء الشجرية، وتراكمت عليها طبقات من التراب والصخور، تحولت تلك الأجزاء إلى فحم حجري، أو بترول، ومنها تستخرج جميع أنواع الوقود المستخدم في هذا الزمان الذي باستخدامه تنطلق الحرارة التي خزنت من حرارة الشمس بواسطة النقط الخضراء في النبات.

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾

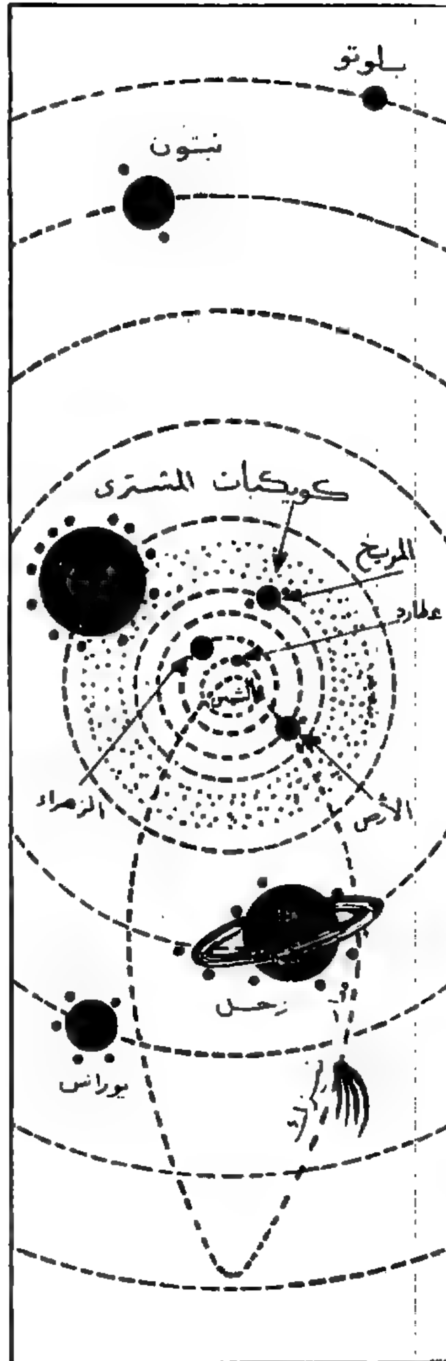
(يسٓ: ٨٠)

حجم السراج:

س: وماذا يحدث لو اقتربت أرضنا من الشمس؟

ج: لو تقترب أرضنا من الشمس نصف المسافة التي بيننا لأحرقت الشمس كل ما على ظهر الأرض، ولو تبتعد بنا أرضنا عن الشمس نصف المسافة، لتجمدنا برداً، وتجمد كل كائن حي.

لكن الله جلَّت قدرته أحكم النظام، فسخَّر الشمس بقدر معلوم، ونظام متقن، لا تتقدم أو تتأخر، ولا تكلّ، أو تتوقف عما أمرت به.


بلوتو
نبتون
كويكبات المشترى
المريخ
عطارد
الشمس
الزهراء
الأرض
زحل
يورانس

قال تعالى :

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم : ٣٣، ٣٤)

إذاً

ألا يشهد ذلك كله كما يشهد المسلم أنه من صنع الخالق ، العظيم ، الحكيم ، العزيز، المسيطر، الخبير، العليم ، الرحمن ، الرحيم؟ . .

بلى يشهد، وأنا على ذلك من الشاهدين .

الخلاصة

* الشمس سراج دائم التوهج لا ينفذ وقوده ، ولا ينطفىء نوره منذ أن خلق وإلى ما شاء الله .

* لا يصل إلى أرضنا إلا القليل من أشعة الشمس ، التي لو ثمن مقدار ما يصل إلينا منها في ساعة واحدة ما قدرنا على دفعه .

* الشمس نافعة لنا ، فبها نرى ، ومنها يتكون النبات ، وطعامنا، وبها تدفأ الأرض ، ومنها تكون كل أنواع الوقود الذي نستخدمه في شتى أغراضنا .

* لقد سخر الله ذلك السراج الهائل بنظام محكم دقيق .

* كل ما سبق يشهد، كما شهد المسلم ، أن الله سبحانه هو رب ذلك السراج العظيم .

الفصل العاشر

حاجة الناس إلى الرسل

الحكمة من وجودنا

س: لماذا نعيش؟

هذا سؤال طالما يكرره الناس على أنفسهم في لحظات الخلود إلى أنفسهم والتفكر في أساس وجودهم على هذه الأرض، ولكنهم لا يعرفون لهذا السؤال إجابة مهما أطالوا التفكير. ولقد عبر الناس عن حيرتهم بهذين السؤالين:

* هل نأكل لنعيش؟
* أم نعيش لنأكل؟

قال تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴾

(محمد: ١٢)

إن البشرية لن تعرف الحكمة من وجودها إلا بتعليم وهدى يأتيها من خالقها.

خالقنا:

س: من هو خالقنا؟ وما الذي يرضيه عنا؟ وما الذي يغضبه منا؟

ج: هذه أسئلة خطيرة في مصير الإنسان وسلوكه، فهو يعرف أنه ما خلق نفسه، وأنه بناءً على ذلك مملوك لخالقه الذي أوجده من عدم، ولن يعرف ما الذي يريده منه خالقه؟ ولا ما الذي يرضيه عنه أو يغضبه منه إلا

بتعليم منه سبحانه. وما لم يأتِ من الله هدى، فسيبقى الإنسان حائراً لا يهتدي إلى ذلك سبيلاً.

قال تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)

الموت وما بعده:

س: لماذا نموت؟ وما الذي ينتظرنا بعد الموت؟

ج: وهذا من أخطر الأسئلة المتعلقة بمصير الإنسان. فالإنسان يشاهد أنه كان بالأمس القريب طفلاً صغيراً، وها قد أصبح اليوم رجلاً، أو امرأة. وغداً يأتيه الموت فينقله من بين أهله، وذريته، وأصحابه، وأمواله، وجاهه ونفوذه، ولا يقدر أحد أن يمنع عنه مفارقة هذه الحياة. إن الإنسان يرى أن جيله الذي هو واحد منه كان قبل مائة عام في عالم الغيب وهو بعد مائة عام على أكثر تقدير يخرج من الدنيا إلى عالم الغيب مرة ثانية، فما الذي ينتظر الإنسان بعد موته؟ كل ذلك لا يمكن معرفته إلا من خالقه الذي أحياه، وأماته، وأدخله في هذه الدنيا، وأخرجه منها، وسيبقى مصير البشرية مجهولاً ما لم يأتنا من خالقنا هدى.

قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾

(الجاثية: ٣٢، ٣٣)

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا

﴿ فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ
فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ (طه: ١٣٤، ١٣٥)

قال تعالى:

﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾
(النساء: ١٦٥)

صلاح أمر الناس:

س: ما الذي يصلح أحوال الناس، وينقذهم من الفساد؟ إن الناس في اختلاف شديد حول ما يصلح أمورهم، وكلٌّ يدعي أنه على الحق، ولن يعرف الناس الطريق الصحيح لصلاح أحوالهم إلا بتعليم من خالقهم الذي يعرف من أين يأتي الصلاح لخلقه، ومن أين يأتي الفساد.

وقال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (النحل: ٦٤)

وباتباعهم لإرشاد ربهم، وتعليم خالقهم تصلح جميع أحوالهم؛ كما حدث في عهد الرسول ﷺ.

قال تعالى:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ
وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾
(البقرة: ١٥١)

وقال تعالى:

﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ

ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى
ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(المائدة: ١٥، ١٦)

مما سبق نعرف أن البشرية بدون رسل من الله تحيا كقطيع أعمى لا يدري ما البداية؟ كما أنه لا يدري ما النهاية، يعيش لا يدري لماذا؟

الخلاصة

* لن يعرف الإنسان الحكمة من وجوده إلا بتعليم من خالقه الذي أوجده.

* لن يعرف الإنسان خالقه، ومالكه، والحلال والحرام إلا بأن يأتيه هدى من ربه.

* لن يعرف الإنسان مصيره الذي يسير إليه إلا بهدى من خالقه الذي أحياه.

* لن يعرف الإنسان ما يصلح شؤونه إلا بتعليم من منشئه وخالقه.

لذلك كان لا بد من أن يرسل الله الرسل لسد حاجات الناس الأساسية إلى ما يهديهم سواء السبيل.

الفصل الحادي عشر
نبأ الأولين

من بينات الرسالة:

س: ما معنى أن سيدنا محمداً ﷺ أخبرنا بنبإ الأولين؟

ج: معنى ذلك أن سيدنا محمداً ﷺ قد جاءنا بأخبار كثيرة عن الأمم السابقة، التي كانت قبلنا وقصصهم مع رسلهم، وبيان ما أنزل الله عليهم من هدى.

س: وما أهمية ذلك؟

ج: أهميته في أمرين:

١ ـ إعطاء العبرة من قصص الأولين، وبيان سنّة الله في خلقه لتثبيت الرسول ﷺ والمؤمنين.

قال تعالى:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (هود: ١٢٠)

٢ ـ إن إخبار الرسول ﷺ بالغيب الذي جهله الناس، واختفى لدى بعض الأحبار، والرهبان، دليل على أن الذي أخبر الرسول ﷺ بذلك الغيب هو المحيط علماً بكل شيء هو الله سبحانه:

قال تعالى:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩)

مثال :

س : وهل يعتبر إخبار الرسول ﷺ بنبإ الأولين آية، وبينة، ومعجزة مصدِّقة له بأنه رسول الله ﷺ ؟

ج : نعم . . . ولكي تفهم ذلك نضرب المثال الآتي :

إن علماء التاريخ الهندي، والتاريخ الصيني مثلاً اختلفوا في تاريخهم قبل ألف عام، فاختلف العلماء الهنود في تاريخهم وفي العلاقة التاريخية بينهم وبين الصين، وبالمثل اختلف العلماء الصينيون ودار نقاش، وخلاف، وصراع حول ذلك التاريخ. فهل يعقل أن يأتي رجل أمي جاهل بالتاريخ الصحيح للصين والهند، ويبين أدق التفاصيل، ويوضح للمتنازعين أسباب اختلافهم؛ وفي الوقت نفسه يعلن لهم خطأهم وباطلهم؟

وإذا بالمنصفين من علماء ذلك التاريخ : الهندي والصيني على السواء يعلنون انضمامهم إلى صف ذلك الرجل الأمي وأنه قد جاء بالحق. فهل يعقل أن يحدث ذلك إلا أن يكون الله قد أوحى إلى ذلك الأمي؟!!

س : وما علاقة هذا المثال بمحمد ﷺ ؟

ج : إن محمداً ﷺ هو ذلك الرجل النبي الأمي الذي يعيش في ذلك التاريخ الحجري حين لا صحافة ولا كتب، ولا مجلات، ولا مطابع، ولا إذاعات، ولا ندوات، ولا مدارس. والتأريخ المتنازع عليه هو تاريخ الأمم السابقة والمرسلين إليها، والدين الذي جاؤوا به، والعلماء المختلفون هم أحبار اليهود وقسس النصارى، وهم الذين كانوا يحتكرون العلم الديني. فبعث الله سيدنا محمداً ﷺ في أمة جاهلية بدوية بدائية لا علم لها ولا حضارة، واختاره رسولاً أمياً لم يقرأ ولم يكتب طوال حياته، وأوحى إليه بما حدث في الأمم السابقة، وبما كان من أمر المرسلين بما جاؤوا به من هدى حتى ما كان يدور في خفايا الصدور، وقال للأحبار والرهبان على السواء :

قد أرسلني الله بالعلم الحق الذي اختلفتم فيه، وجئتكم بالدين الصحيح، الذي بدلتموه وحرفتموه. فسمع المنصفون من علماء أهل الكتاب، يهوداً ونصارى، فشهدوا شهادة الحق، وقالوا: نشهد إنك يا محمد قد جئت بالقول الحق ورفعت الخلاف، وأزلت الغموض، ونشهد إنك رسول الله. فآمنوا وأسلموا، ولقد أنزل الله في هؤلاء المنصفين قرآناً يتلى:

قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٢، ٥٣)

وقد احتج القرآن على العرب بإسلام أهل الكتاب، فقال تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (الشعراء: ١٩٧)

القرآن يشير إلى هذه الآية:

س: وهل أشار القرآن الكريم إلى أن أخباره بنبإ الأولين يعتبر بينة شاهدة على أن القرآن وحي من عند الله؟

ج: نعم.. لقد أخبر القرآن من عند الله الذي يعلم ما دار في الماضي بدقائقه وتفاصيله. قال بعد أن ذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود: ٤٩)

أي يا محمد... هذه القصة التاريخية، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك، فما أعلمك بها إلا الله، وقال تعالى ـ قبل ذكر قصة سيدنا يوسف عليه السلام:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ (يوسف: ٣)

أي يقص الله عليك يا محمد، أحسن القصص، صدقاً، وتحقيقاً، وعبرة، وأسلوباً في هذا القرآن، لأنه وحي الله، أما أنت فلا تقدر على المجيء بهذه العلوم الغيبية التاريخية، والقصص العظيم، فأنت قد كنت غافلاً لا تعرف شيئاً من هذا قبل نزول القرآن عليك، وقومك يعرفون منك ذلك جيداً.

قال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ (يوسف: ١٠٢)

وقال تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٤٤، ٤٦)

أي إنك يا محمد قد جئت بقصص الأولين كأنك حاضر بينهم وذلك أمر يعرفه المنصفون من علماء أهل الكتاب، ولم تكن حاضراً معهم، لكنه الوحي من عند من كان شاهداً لكل ما دار.

الخلاصة

* اختلف أحبار اليهود وقسس النصارى فيما بينهم حول تاريخ الرسل عليهم السلام، وما جاؤوا به من هدى ودين، وزعم كل فريق أنه على الحق، واستمر الخلاف حتى بعث الله محمداً ﷺ النبي الأمي في الأمة

الجاهلة الغافلة فرفع الخلاف وجاء بالأمر المبين، ووضح دقائق ما دار كأنه حاضر يشاهد.

* سمع جماعة من الأحبار، والقسس المنصفين، ما قاله محمد ﷺ فاعترفوا أنه الحق، وقالوا: إن هذا العلم لا يعرفه أمي، وإنه دليل وبينة على أن محمداً رسول الله فآمنوا وأسلموا.

* ذكر القرآن ذلك، واعتبره بيِّنة لكل من له عقل بأن محمداً ﷺ رسول الله.

الفصل الثاني عشر

يَعلَمُ سِرَّهم ونجواهم

العلم بما في الصدور:

س: هل كان محمد ﷺ يخبر ببعض ما كان يدور في صدور الناس؟

ج: نعم لقد كان الله يطلعه على ما كان يخفيه بعض الناس في صدورهم، فيكاشفهم عليه الصلاة والسلام بها فيعلمون أن محمداً رسول الله، وأن الله سبحانه هو الذي علَّمه، وأخبره بما أسروا وتناجوا به.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ (التوبة: ٧٨)

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ (التغابن: ٤)

س: وهل إخبار محمد ﷺ للناس بحقيقة ما أخفوا في صدورهم يعتبر من آيات، وبينات، ومعجزات رسالته ﷺ؟

ج: نعم.. فلا يعلم ما في الصدور إلا الله، فإذا أخبر محمد ﷺ به دل ذلك كل عاقل بأن محمداً رسول الله.

أمثلة:

س: وما هي الأمثلة على ذلك؟

ج: الأمثلة كثيرة جداً، تزخر بها كتب الحديث والسيرة، وتحدث القرآن عن بعضها، وقد كانت هذه سبباً في إسلام كثير من المشركين.

حادثة طعمة :

س : وما هو المثل من القرآن الكريم؟

ج : (طعمة) رجل من ضعاف المسلمين، كان يعيش على عهد رسول الله ﷺ في المدينة، سرق درعاً من جاره، وخبأها عند يهودي، واستحفظه عليها، فأخذ أصحاب الدرع يبحثون عن درعهم فوجدوها عند اليهودي، فشهد ناس من اليهود ببراءة صاحبهم اليهودي، وأدانوا طعمة، فحرك ذلك الحمية والعصبية القبلية في قوم طعمة، الذين أخذوا القضية قضية عار يجب أن يدفعوه عن أنفسهم بأي وسيلة، وحلف طعمة أنه ما أخذها وما له بها من علم، وتناجى قوم طعمة في تبرئته، وإلصاق التهمة باليهودي، فذهبوا إلى رسول الله ﷺ يقولون له: إن هذه المحاولة اليهودية لإلصاق التهمة بطعمة ليست إلا من كيد اليهودية للإسلام، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يجادل عنه، وشهدوا ببراءة صاحبهم وسرقة اليهودي، فنزل الوحي يكشف طعمة، وقومه، ويبرىء اليهودي، فما أنكر أحد الحادث بعد نزول الوحي:

قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا [1] وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ [2] ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ [3] ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى

(١) أي لا تدافع عن طعمة وقومه.

(٢) قوم طعمة وأمثالهم.

(٣) في اتفاقهم على أن يبرئوا صاحبهم بلون دليل ويتهموا اليهودي بلون بينة ومحاولتهم ستدراج الرسول ﷺ إلى صفهم.

ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ
وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾
وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً(١) أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا(٢) فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ
إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖ(٣) وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ
وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾

(النساء: ١٠٥، ١١٣)

قصة حاطب:

س: وهل هناك مثل آخر؟

ج: نعم؛ المثل الثاني هو لمسلم أدركه الضعف فوقع في أمر كبير، ذلك هو حاطب بن أبي بلتعة: لما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة بعد نقضها لعهد الحديبية، دعا الناس أن يستعدوا لفتح مكة فأخذ المسلمون يعدون أنفسهم لذلك فخشي حاطب أن يفشل أمر المسلمين، فتعود قريش لقتل أهالي المسلمين الذين لا يزالون بمكة، فقرر أن يتقرب إلى قريش، ويتودد إليهم باطلاعهم مسبقاً على استعداد المسلمين؛ حتى إذا فشل الفتح سلم أهله بمكة، فكتب حاطب إلى قريش يخبرها ببعض أمر النبي ﷺ، وأرسل الرسالة مع امرأة فأخبر الله نبيه، ولنترك علي بن أبي طالب يكمل لنا القصة: قال علي كرم الله وجهه: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد،

(١) طعمة، وأمثاله.

(٢) اليهودي.

(٣) الحقيقة في هذه القصة وفي كل علم آخر.

فقال: انطلقوا حتى تأتوا (روض خاخ)[1] فإن بها ظعينة (امرأة) معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي[2] بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة فقلنا أخرجي الكتاب.

فقالت: ما معي.

فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب!!

فأخرجته من عقاصها[3] فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله. فقال: يا حاطب ما هذا؟.

فقال يا رسول الله: لا تعجل عليَّ إني كنت امرأ ملصقاً[4] في قريش كنت حليفاً لها ولم أكن من صميمها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم!

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً. فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» - وسجل الله هذا الحادث في كتابه فقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ

(١) اسم مكان.

(٢) تسرع.

(٣) ضفائر رأسها.

(٤) أي لست من أصل قريش.

جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ
وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ (الممتحنة : ١)

هذان مثالان وهناك أمثلة كثيرة في كتب التفسير والحديث والسيرة.

الخلاصة

* كان الله يطلع رسوله عليه الصلاة والسلام على ما كان يدور في نفوس بعض الناس، فيخبرهم الرسول بذلك فيؤمن بعض الكافرين، ويزداد المؤمنون إيماناً.

* من الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم:

١ ـ قصة طعمة التي تناجي قومه في تبرئته وإدانة اليهودي، فنزل الوحي يبرىء اليهودي ويدين المسلم.

٢ ـ قصة حاطب الذي أسرَّ إلى قريش برسالة لينال مودتهم، فأخبر الله رسوله ﷺ بالأمر، وبالمرأة حاملة الرسالة، وبمكانها الذي سيجدونها فيه فأرسل رسول الله ﷺ: علياً، والزبير، والمقداد، فوجدوا المرأة حيث أخبرهم ﷺ كما وجدوا الكتاب أيضاً.

* إن إخبار الرسول ﷺ بما غاب في الصدور كثير معروف في كتب التفسير، والحديث، والسيرة. وهو علامة وآية وبينة مصدقة لرسول الله بالرسالة.

الفصل الثالث عشر

وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

الإخبار بما سيكون :

س : وهل أخبر الله رسوله ﷺ بأمور ستكون في المستقبل فتحققت كما أخبر بها الرسول ﷺ ؟

ج : نعم . . هذا النوع من إخبار الله رسوله ﷺ بما سيكون في المستقبل كثير وكثير جداً .

ومنها ما لم يُعرف إلا في زماننا ، ومنها ما لم يعرف إلى الآن ، وسيعرف بمرور الأيام .

س : وهل الإخبار بما سيكون وتحققه على ما أخبر به الرسول ﷺ دليل على صدق الرسول؟

ج : نعم . . إنه دليل واضح ! وآية بينة لكل صاحب عقل ، فإذا كان يرى في الدنيا تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ وعدم تخلفه ، فإنه يعلم أن ما أخبر الرسول ﷺ إلا عالم الغيب والشهادة : الله سبحانه . . ونعلم أيضاً أن ما أخبر الرسول ﷺ به من أحوال اليوم الآخر وما هو كائن بعد الموت لا شك فيه ، لأنه سيتحقق كما شاهدنا تحقق ما أخبر الرسول به في الدنيا .

أمثلة :

س : وما هي أمثلة ذلك؟

ج : الأمثلة على ذلك كثيرة جداً ، قد امتلأت بها كتب التفسير والحديث نذكر منها مثالاً لما أخبر الرسول ﷺ به وشاهده أصحابه ، ومثالاً لما تحقق بعد موت الرسول ﷺ ، ومثالاً لما تحقق في هذا الزمان .

غُلِبَتِ الرومُ :

س : وما هو مثال الخبر الغيبي الذي تحقق في زمن الرسول ﷺ ؟

ج : مثال ذلك : ما أخبر القرآن النازل على رسول الله ﷺ من أن الروم ، التي هزمتها فارس ، سوف تعاود الكرة في حرب جديدة ، يكون النصر فيها للروم ، وذلك في مدة لا تتجاوز عشر سنوات .

وسبب نزول هذا الخبر الغيبي في القرآن هو أن الكفار فرحوا بظهور الفرس ، عبدة الأوثان على الروم أهل الكتاب ، وكان المسلمون يريدون عكس ذلك لأنهم يرون أن أهل الكتاب : أقرب إليهم من المشركين فأنزل الله قوله تعالى :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الروم : ١ ، ٦)

وسميت السورة التي نزل فيها هذا الخبر الغيبي بسورة الروم ، فلما نزلت هذه الآيات ضحك المشركون منها وسخروا وجرت بينهم محادثة مع أبي بكر .

قالوا : يا أبا بكر إن صاحبك يقول : إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين قال : صدق .

قالوا : هل لك أن نقامرك ؟ !

فقبل أبو بكر الرهان ـ قبل أن يحرم ـ وكان الرهان على عدد من القلائص[1] . فلم تمر تسع سنوات ، حتى انتصرت الروم على الفرس

(١) وهن النوق الشواب .

وطردتها من بيت المقدس كما أخبر القرآن قبل تسع سنوات . وإذا تأملت في هذا الحادث المسجل في حينه في كتاب الله رأيت منه :

الثقة الكاملة من سيدنا محمد ﷺ وأصحابه بما جاءهم من خبر عن الغيب في كتاب الله ، فكأن الرسول ﷺ يقول : «أيها الناس إن كنتم تكذبونني فإن ربي قد وضعني أمام امتحان ، تظهر نتيجته في أقل من عشر سنوات . إنني أقول لكم : بأن الله قد وعدني وعد الحق بأن الروم ستهزم الفرس في أقل من عشر سنوات ، وأنا على ثقة مما أخبرني ربي ، وستعلمون قريباً إن كنت كاذباً أو كنت رسولاً أبلِّغ ما يوحي إليَّ ربي ، وذلك في مدة لا تزيد على عشر سنوات .

إسلام شعب اليمن برسالة من الرسول ﷺ

س : سمع أن شعب اليمن آمن برسالة فكيف كان ذلك؟

ج : إنها معجزة ، وليست رسالة عادية : فقد مزق كسرى رسالة محمد ﷺ حين وصلت إليه ، وأمر عامله على اليمن «بأذان» أن يرسل إليه بهذا الذي تجرأ وكتب الرسالة أي محمد ﷺ . وقال كسرى ذلك اعتزازاً بقوة الدولة الفارسية واستهتاراً بالعرب . أرسل باذان حاكم اليمن الفارسي رسولين من صنعاء إلى المدينة ، ليأتيا له بمحمد ﷺ فلما وصل الرسولان ، ودار بينهما نقاش مع رسول الله ﷺ لاحظ أنهما قد أطالا شاربيهما ، وحلقا لحيتيهما فسألهما : من أمَرَكما بهذا؟

فقالا : ربنا (وقد كان الناس يسمون ملوكهم أرباباً ، وخاصة ملوك فارس) .

فقال ﷺ : «أخبرا الذي أرسلكما : إن ربي قتل ربه الليلة» . أي لا حاجة لمجيئي معكم ، فإن ربي قد انتقم لي وقتل الذي أمر (باذان) بإيصالي إليه وأوحى إلي بهذا ، فمن طلبني فقد قتله ربي .

فعاد رسولا باذان، ومعهما هذه الرسالة القصيرة: «إن ربي قتل ربه الليلة» فأخبرا (باذان) بالخبر فقال: إن الأمر بيِّن فما علينا إلا أن ننتظر ما يأتي من فارس لتظهر الحقيقة سافرة عن محمد.

* فإن جاءت مؤكدة بقتل الملك في تلك الليلة المحددة فمحمد حقاً رسول من عند الله. وإن جاءت مكذبة لما قال فلنا معه شأن آخر.

وأصبحت الرسالة حديث اليمنيين: من نصارى، ومجوس، ويهود، فإذا بالأخبار من فارس تأتي مؤكدة بصدق ما أخبر الرسول ﷺ فماذا كانت النتيجة؟!!

١ ـ أسلم باذان وجنده، وطلب من الرسول ﷺ أن يكون عاملاً له على اليمن فأمَّره.

٢ ـ أسلم أغلب الشعب اليمني ما عدا اليهود.

٣ ـ ذهب وفد من اليمنيين يطلب من رسول الله ﷺ معلمين لهم في دينهم، فأرسل عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل ـ الذي بنى مسجد معاذ ـ في الجند، وأرسل وبر بن يخنس الأنصاري الذي بنى أساس الجامع الكبير في صنعاء المحدد فيما بين علامتين: (المسمورة والمنقورة)[1] في بستان باذان آنذاك، وأرسل غيرهما من الصحابة لتعليم أهل اليمن دين الإسلام. قيل: إن منهم علياً كرم الله وجهه.

النصر الموعود للقلة المطاردة واستخلافهم:

س: وما هو مثال خبر الغيب الذي تحقق بعد موت رسول الله ﷺ؟

ج: مثال ذلك ما أخبر به القرآن الكريم المسلمين ـ وهم مطاردون ـ أن حروباً ستقوم بينهم وبين الكفار، وأن الله سينصرهم، وأنه سيمكنهم في

---

(١) دعامتان موجودتان الآن في مؤخر الجامع الكبير بصنعاء.

الأرض، وأنهم عندئذٍ سيكونون من المؤمنين.

قال تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ[1] وَبِيَعٌ[2] وَصَلَوَٰتٌ[3] وَمَسَٰجِدُ[4] يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (الحج: ٣٩، ٤١)

وفي هذه الآية أخبر الله تعالى:

١ - بالحرب بين المسلمين والكفار. قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لما نزلت: عرفت أنه سيكون قتال.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

٢ - وأن النصر سيكون للمسلمين، وقد كان الأمر كما أخبر القرآن قبل أن يكون.

٣ - وأن الله سيمكن المسلمين المطاردين المخرجين من ديارهم في الأرض؛ وقد مكنهم الله شرقاً وشمالاً وجنوباً، فدانت لهم معظم أقطار الأرض.

---

(١) صوامع للرهبان.

(٢) بيع: كنائس للنصارى.

(٣) صلوات: كنائس لليهود.

(٤) مساجد: للمسلمين.

٤ ـ أنهم عند نصرهم وتمكينهم سيقيمون الصلاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقد كان هذا شأنهم.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: فينا نزلت:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾

فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلى أن قلنا: ربنا الله، ثم مكنا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف. ونهينا عن المنكر ولله عاقبة الأمور فهي لي ولأصحابي.

عذاب عند الانحراف:

ـ وما هو مثال خبر الغيب الذي عرف في هذا الزمان؟

قال تعالى:

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾
(الأنعام: ٦٥)

قال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن تحقيق هذه الآية قال: «أما إنها كائنة لم يأت تأويلها بعد» أي إنها كائنة ولكن تفسيرها، ووقوعها ليسا الآن وإنما في المستقبل ليس على الصالحين من المسلمين، وإنما يرسل العذاب على من كثر منهم الانحراف.

وفي زماننا هذا نجد طرفاً من هذا العذاب، فطائرات الاستعمار، وغواصاته وألغامه وقنابله، كلها عذاب حلَّ بالأمة الإسلامية من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم، ولا يزال الزمن بتقدمه يكشف بوضوح صدق

هذا الخبر الغيبي، فها هي الأمة المسلمة مقسمة شيعاً، وأحزاباً، ودولاً، وجماعات، يذيق بعضهم بأس بعض وصدق الله العظيم القائل:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾

ولن يدفع العذاب إلا بتوبة صادقة.

والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً، كلها تشهد لسيدنا محمد ﷺ بأنه حقاً الرسول الذي يبلغ ما أوحي إليه من ربه.

الخلاصة:

* من آيات، وبينات، ومعجزات سيدنا محمد ﷺ أنه أخبر بغيوب كثيرة، وعدنا أنها ستكون في المستقبل فجاءت الأيام مصدقة لما أخبر الرسول ﷺ.

* منها ما تحقق في حياة الرسول ﷺ: كانتصار الروم، وقتل ملك الفرس، الذي كان سبباً في إسلام أهل اليمن.

* ومنها ما تحقق بعد موت رسول الله ﷺ كتمكين المسلمين في الأرض، وإقامتهم للصلاة، وإيتائهم للزكاة.

* ومنها ما تحقق هذا الزمان، كالإخبار بالعذاب الذي يحل بالمسلمين إذا انحرفوا: من فوقهم، ومن تحت أرجلهم، واختلافهم شيعاً، وأحزاباً يذيق بعضهم بأس بعض.

الفصل الرابع عشر
من عجائب القرآن في هذا الزمان

لا تنقضي عجائبه :

س : هل لعجائب القرآن ومعجزاته حد؟

ج : لقد وصف الرسول ﷺ هذا القرآن «بأنه لا تنقضي عجائبه» فالقرآن جديد في كل زمان، له عجائب في كل زمان. ذلك لأنه كلام الخالق، العظيم، الحكيم المحيط علماً بكل شيء.

القرآن يتحدث عن محاولة غزو الفضاء :

س : وما مثال ذلك؟

ج : مثال ذلك ما كشفه العلم الحديث بوسائله، وأجهزته، وإمكانياته. وكان القرآن قد تعرض للحديث عنه قبل مئات السنين من معرفة الناس لذلك.

فلقد كان من المستحيل قبل مائتي عام أن يطير إنسان في الجو. أو يصدق أن الإنسان سيحاول الصعود إلى السماء، وسيحاول النفاذ من نطاق الأرض، لكن القرآن من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، أخبر بأن هذه المحاولة من الإنسان ستكون، وستتم عندما تكون معه وسيلة تمكنه، ولكن المحاولة ستفشل في مرحلة معينة عندما يرسل الله شواظاً من نار، ونحاساً على هؤلاء الجادين في الوصول إلى السماء فيهزمون. ويردون على أعقابهم. وذلك كما حدث للجن عندما بلغت بهم محاولاتهم إلى منطقة استراق السمع من الملأ الأعلى، وهناك أعلنت عليهم الحرب، فالحد المسموح به لا يدخل فيه منطقة استراق السمع من الملأ الأعلى.

قال تعالى :

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ (الرحمن : ٣٣ ، ٣٥)

وقال تعالى مخبراً بلسان الجن :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ (الجن : ٨ ، ٩)

في الآيات السابقة :

١ ـ إخبار بأن الإنس ، والجن ، سيحاولون غزو الفضاء ، والنفاذ من نطاق الأرض والسموات .

٢ ـ سينجحون عندما تكون لهم الوسيلة .

٣ ـ ستعلن عليهم حرب إلٰهية بشواظ من نار ، ونحاس ، تهزمهم عندما يحاولون ، أن يسترقوا السمع من الملأ الأعلى .

٤ ـ قد سبق الجن الإنس في هذا الميدان ، ووصلوا إلى منطقة استراق السمع فوجدوا : **﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾** .

٥ ـ ما بقي إلا أن نرى محاولات الإنس .

وها قد جاءت محاولات الإنس اليوم مصدقة لما أخبر به القرآن . بعد أربعة عشر قرناً من الزمان ، وكل المحاولات اليوم هي محاولة لغزو الفضاء بين الأرض والسماء ، لا غزو للسماء نفسها .

٦ ـ وهذه الأيام يعكف الباحثون على استماع أصوات عقلاء تنبعث من

أعماق السماء ويقول بعض الباحثين : إنهم لن يتمكنوا من معرفة معاني هذه الأصوات إلا إذا خرج الإنسان من نطاق المجموعة الشمسية ، وربما كان هذا هو الخيط الذي يجر الإنسان إلى محاولات استراق السمع ثم يرجم كما رجم الجن من قبله .

أصل الوقود : الشجر الأخضر :

س : هل هناك مثال آخر؟

ج : الأمثلة كثيرة . فلقد تحقق وعد الله القائل :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣)

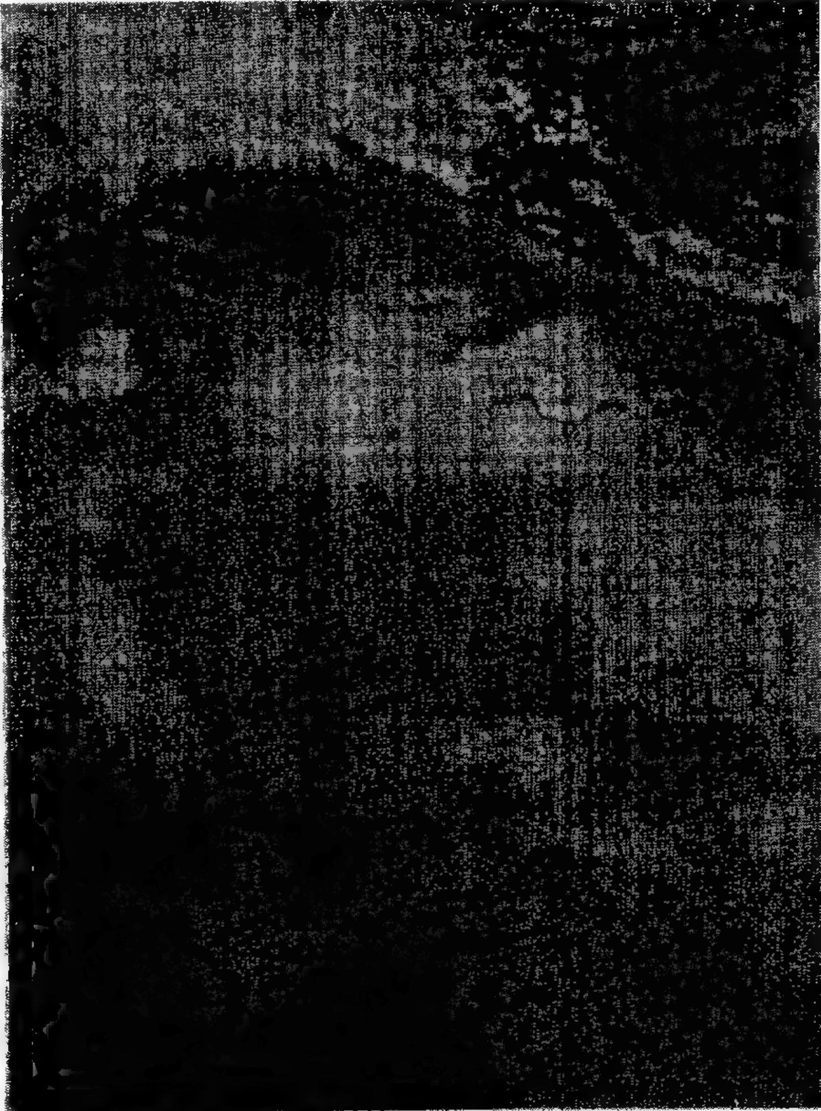


فلقد اكتشف العلماء الكيماويون أن مصادر الوقود جميعاً أصلها تلك النقطة الخضراء ، الموجودة في النبات .

فالنقط الخضراء تلك تخزن من وقود الشمس ، في أجزاء النبات ، وتحوله إلى مواد نباتية ، يسهل أكلها أو حرقها ، وإخراج الوقود الكامن في تلك الأجزاء .

كما اكتشف العلماء في طبقات الأرض أن أصل البترول وجميع مشتقاته : (بنزين ، كيروسين) ، وغيرهما جميعاً مواد متحولة من نبات . مطمور بالتراب والصخور ، أو حيوانات تغذت على نباتات وأخذت من النبات الوقود . وبهذا نعرف أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها من

الشجر الأخضر، ويقرر القرآن هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان. .



الأمواج الداخلية في باطن مياه المحيط (بحر لجي) التي صورتها رحلة أبولو - سيوز في صيف عام ١٩٧٥ شرق شاطىء تايلاند.

(مهداة من الدكتور فاروق الباز)

قال تعالى :

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾
(يسۤ : ٨٠)

أمواج البحر الداخلية :

وهناك مثال آخر؟ ففي أوائل عام ١٩٠٠ م لفت الأنظار كثير من مساحي البحار الإسكندنافيين إلى وجود أمواج تحت سطح الماء، وهي تقذف بالغواصات، كما تقذف زميلاتها السطحية بالسفن، ويكون هذا في المحيطات وعلى أبعاد عميقة، ونجد أن القرآن يحدثنا عن وجود نوعين من الموج في البحار العميقة لا كما كان يظن الناس جميعاً إلى ما قبل سنة ١٩٠٠ م.

قال تعالى :

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (النور: ٤٠)

وسائل جديدة للمواصلات :

س : وهل صحيح أن القرآن قد أخبر عن وسائل جديدة للمواصلات؟!

ج : نعم.. فعندما عدَّد الله علينا نعمه فيما خلق لنا من وسائل للمواصلات من خيل، وبغال، وحمير، وفلك مشحون، تسهل علينا أسفارنا، أخبر أن نعمه علينا ليست محصورة في هذه الوسائل، بل إن هناك وسائل جديدة، يخلقها الله لكم ويسخرها لمنفعتكم.

قال تعالى :

﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
(النحل : ٨)

وهكذا عبر القرآن عن ازدياد وسائل المواصلات، وتجددها باستمرار إذ إن كل مسلم يرى: أي نوع من أنواع المواصلات، ويذكر قول الله: ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾.

يشعر أن هناك وسائل جديدة، وسوف يسخرها الله سبحانه.

وتجد الأمر واضحاً في قوله تعالى:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴾ (يس: ٤١، ٤٢)

فما هو المثيل للفلك المشحون؟

ليس إلا وسيلة، أو وسائل أخرى للمواصلات يشابه ذلك الفلك المشحون، وما أشبه القطارات، والبواخر، والسيارات الكبيرة، بذلك الفلك المشحون.

ولنا أن ننتظر المزيد. وكان الأولون لا يعرفون إلا ما كان معروفاً في زمن رسول الله ﷺ إلى أن جاء وقت إنجاز وعد الله فجاء عصر البخار والاحتراق الداخلي، والكهرباء، والذرة، بكل جديد، وجديد، مما أشار إليه القرآن الكريم قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان. أوَ ليس الإخبار عما سيكون من وسائل جديدة للمواصلات، في القرن الأول للهجرة لا يكون إلا بعلم الخالق المحيط علماً بكل شيء؟!.

بلى: وأنا على ذلك من الشاهدين.

س: وهل مصنوعات الإنسان جزء من خلق الله؟

ج: إن تحرك السيارة، وانتقالها من مكان إلى آخر، إنما يكون بقوة (الآلة المحركة) فهل نخطىء إذا قلنا: إن ذلك من صنع الإنسان، بمعنى أنه الذي صنع تلك الآلة وهيأها بالتركيب، والوقود، لأداء تلك الوظيفة؟

والأمر واضح إذاً فالله الذي خلق الإنسان، وأعطاه القدرة العقلية والعلمية، وسخر له المعادن، ومكنه من الأرض، فصنع ـ بما أودع الله فيه من قوة وسخر له من إمكانيات ـ وهذه المصنوعات العجيبة التي خلقها الله، لأنه خلق الإنسان وخلق القدرة فيه على صنعها.

قال تعالى:

﴿خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصافات: ٩٦)

القمر كان مشتعلاً ثم انطفأ:

س: وهل أخبر القرآن بما كشفه العلم أخيراً من أن القمر كان مشتعلاً؟

ج: لقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾

(الإسراء: ١٢)

س: وأين الشاهد في الآية؟

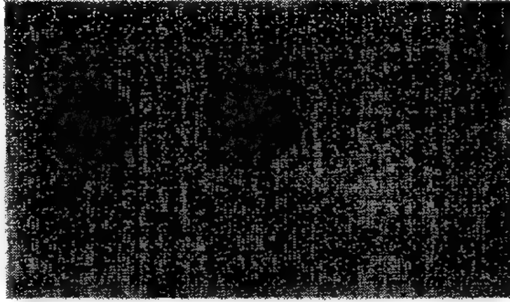
ج: الشاهد في قوله تعالى: ﴿**فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ فآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحونا آية الليل أي طمسناها وأزلنا ضوءها، والمحو والطمس لا يكون إلا بعد الإنارة. فمن هنا عرفنا أن القمر كان مشتعلاً ثم محي ضوؤه، وهذا السر لم يعرف إلا قريباً وبعد أن تيسرت الآلات للباحثين، وهذا يشهد أن محمداً ـ ﷺ ـ قد جاءه الوحي بهذا من عند الله القائل في كتابه:

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الفرقان: ٦)

س: وهل قال المفسرون السابقون هذا الكلام؟

ج: نعم لقد قال المفسرون الأولون: القمر آية الليل والشمس آية

النهار، وقال شيخ المفسرين عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «كان القمر يضيء كما تضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار» وقال الشوكاني في تفسيره: فمحونا آية الليل أي: طمسنا نورها وقد كان القمر كالشمس في الإنارة والضوء.



الذباب يعجزنا:

س: وهل هناك مثال آخر؟

ج: نعم، لقد اكتشف الباحثون في علم الحشرات أن الذباب مزود بغدد لعابية طويلة وغنية جداً باللعاب. وبمجرد أن يأخذ الذباب شيئاً من الطعام سرعان ما يفرز عليه كمية كبيرة من اللعاب تحوله من فوره إلى مادة أخرى.

فإذا أخذ الذباب منا شيئاً وأردنا أن نسترد منه ذلك الشيء الذي سلبنا فإنا لا نقدر.

س: ولماذا لا نقدر على استرداد ما أخذه الذباب؟

ج: لأنه يسكب عليه لعاباً بمجرد أن يأخذه ويحوله إلى مادة أخرى فإذا قتلنا الذباب وأمسكناه وبحثنا عن المادة التي أخذها منا فلن نجد ما أخذ؛ لأنه قد حول ما أخذ إلى شيء آخر!

س: وهل ذكر القرآن هذه الحقيقة؟

ج : لقد ذكرها القرآن وضرب بها مثلاً على عجز الإنسان فقال تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ ﴾

(الحج : ٧٣، ٧٤)

إن هذا السر في خلق الذباب لم يُعرف إلا حديثاً، وما كان لبشر أن يعلمه قبل تقدم أجهزة البحث العلمي لولا أن محمداً ﷺ رسول من عند الله .

النمل يسمع ويتكلم :

س : وهل هناك مثال آخر من الأسرار التي سبق القرآن العلوم الحديثة في الحديث عنها؟

ج : نعم فلقد كان القرآن الكريم أول كتاب ذكر أن النمل مزود بأجهزة السمع والتخاطب . ولما تقدم علم التشريح ، ووجدت الأجهزة الدقيقة ، وتقدم علم الحشرات اكتشف الباحثون أن النمل مزود بأجهزة للسمع ، ومزود بأجهزة تمكنه من التخاطب بعضه مع بعض .

س : وما هي الآية التي ذكرت هذه الحقيقة؟

ج : قال تعالى في سورة النمل :

﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (النمل . ١٨)

الخلاصة

* إن للقرآن معجزات تظهر في كل زمان ، وهي من خواص هذا القرآن وعجائبه الشاهدة بأنه من عند الله .

* ومنها إخبار القرآن بإمكانية غزو الإنسان للفضاء في زمن لم يكن أحد يتخيل أن بإمكان الإنسان البقاء دقيقة في الهواء.

* كما أخبر القرآن، أن النار في الوقود المستخدم، تخرج من الشجر الأخضر في وقت كان يعتقد فيه أن الشجر الأخضر لا يصلح وقوداً.

* وأخبر القرآن، أن الله قد حول النبات إلى مواد صلبة خضراء مسودة، وذلك ينطبق على صفات الفحم الحجري تماماً في وقت كان يجهل فيه ذلك.

* وأخبر القرآن أن في البحر العميق نوعين من الموج لا نوع واحد ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا سنة ١٩٠٠ م.

* وأخبر سبحانه أنه سيخلق للناس وسائل غير ما عرفوا من الخيل والبغال والحمير، والفلك في البحر، فجاء التقدم العلمي يكشف عما أخبر الله به.

* وأخبر سبحانه بأن القمر كان مشتعلاً بالضوء فمحي ضوؤه فجاء التقدم العلمي كاشفاً لهذه الحقيقة.

* وأخبر القرآن أن الإنسان يعجز عن استرداد ما أخذ الذباب منه، وعرف الإنسان في هذا الزمان قدرة الذباب الفائقة على تحويل أي مادة يأخذها بصورة سريعة إلى مادة أخرى.

* وكان القرآن أول من أخبرنا أن النمل يسمع ويتكلم فجاء تقدم العلم كاشفاً لما ذكر القرآن من قبل.

الفصل الخامس عشر

المـوْت

الموت والحياة :

س : ما هو الفرق بين الموت والحياة؟

ج : الميت لا يأكل ، ولا يشرب ، ولا يسمع ، ولا يدري ، ولا يعقل ، ولا يحس بشيء في نظرنا ، ولا ينمو ، ولا يتنفس ، ولا يتزوج ، ولا ينجب الأطفال وبعكسه الحي .

فتأمل كيف تحول طعام الأم الميت الجامد إلى جسم حي ، بل إن ذلك يحدث في أجسامنا كل يوم ، فانظر إلى يدك قد كانت يوماً صغيرة ، ثم زادت بالطعام الميت ، فأصبحت يداً تنبعث فيها الحياة ، ثم انظر إلى يد الميت قد كانت يوماً تنبض بالحياة فأصبحت اليوم ميتة .

فمن بعث الحياة في الأموات؟ ومن قضى بالموت على الأحياء؟!!

* أوثان ميتة!! لا تملك موتاً ولا حياة!!

* طبيعة ميتة!! لا تملك موتاً ، ولا حياة ، ولا عقلاً ، ولا تدبيراً!!.

* إن كل كائن حي يكره الموت ، ولكنه يموت لأن الموت والحياة ليست بيده إنما هي بيد الله ، مالك كل شيء ، المتصرف كيفما يشاء .

قال تعالى :

﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(الحديد : ٢)

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
(المؤمنون : ٨٠)

موت بعد حياة :

س : لماذا نموت؟

ج : إن الله الذي أحيانا، ويميتنا، قد أخبرنا أن الحكمة من الموت هو الانتقال من دار العمل إلى دار الجزاء، حيث توفى كل نفس ما عملت

قال تعالى :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾
(آل عمران : ١٨٥)

لا مفر منه :

س : هل من الموت مفر؟

ج : عجبت لمن لا يوقن بالموت وهو يرى الموتى؟!! إن الموت لا ينكره أحد على وجه الأرض، ولكن كثيراً من الناس يمنعون أنفسهم من ذكره، والاستعداد لما بعده، فهم يفرون من ذكره وهم ملاقوه، ويتعامون عنه وهو آتيهم.

قال تعالى :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ ﴾ (النساء : ٧٨)

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الجمعة : ٨)

كتاب مؤجل :

س : وهل الموت بيد الإنسان؟

ج : هل الحياة بيد الإنسان؟! الجواب واضح إن الحياة ليست بيد الإنسان، وإلا كان كل ميت أحيا نفسه، فالموت ليس بيد الإنسان ولو كان بيد الإنسان ما مات شخص على وجه الأرض.

س : فبيد مَنْ إذاً؟

ج : إنه بيد الذي أحيا الإنسان وأوجده.. إنه بيد الله سبحانه، فها أنت ترى خطة عامة تسير عليها سُنَّتا الموت والحياة، ففي مدة لا تتجاوز مائة عام نكون قد متنا جميعاً كما أننا قبل مائة عام، لم يكن لنا وجود وبالمثل من كانوا قبلنا مع اختلاف عدد السنين..

قال تعالى :

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

(الأعراف : ٣٤)

وحياة كل منا محدودة، معلومة، مقدرة بعلم الله سبحانه، ودور كل منا على هذه الأرض معلوم حسب الخطة العامة.

ولكل منا أجل معلوم، فإذا جاء فلا تأخير. فكم من الناس في صحة وعافية ينتقلون فجأة إلى جوار ربهم! ويعرض لهم أدنى سبب فيكون به موتهم.

قال تعالى :

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ **(نوح : ٤)**

وعلى العكس فكم من قوم يصابون بأخطر الأمراض، أو يتعرضون للجروح الشديدة والكسر، أو التمزيق الذي تحدثه آلات الحرب، أو غيرها

من الأجسام الثقيلة، وكم من قوم يتعرضون لمؤامرات محكمة قاتلة، أو لظروف مهلكة، ولكنهم يعيشون رغم ذلك كله ولا يموتون. ذلك لأن الأجل لم ينته.

قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾

(آل عمران: ١٤٥)

حال المؤمن والكافر عند الموت:

س: وكيف يكون حال المؤمن والكافر عند الموت؟!

ج: قال عليه الصلاة والسلام: (ولكن المؤمن إذا حضر - أي الموت - جاءه البشير من الله فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله فأحب الله لقاءه وإن الفاجر[1] أو الكافر إذا حضر جاءه ما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه).

فعند الاحتضار تنزل على المؤمن ملائكة الرحمة تطمئنه، وتبشره بالرضوان، ويفتح الله له أبواب الجنة، فينظر إلى نعيمها وزهرتها فينشرح صدره ويحب لقاء ربه.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾

(فصلت: ٣٠، ٣١)

(١) الفاجر: العاصي.

وأما الذين كفروا، فإنهم يعذبون بموتهم، ويكرهون لقاء ربهم.

قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ (الأنفال: ٥٠)

يأتيكم بغتة:

س: من الناس من يقول سأتوب في المستقبل فما حكم الإسلام فيه؟

ج: وما حكم الموت فيه؟ هل عقد اتفاقية مع الموت لا يموت إلا بعد أن يتوب؟

وهل يستطيع أحد على وجه الأرض أن يعتقد جازماً أنه سيعيش إلى غد؟! أم إن هذا القائل قد اتخذ عند الله عهداً بذلك؟!!

قال تعالى:

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ (لقمان: ٣٤)

وهكذا فالموت بيد الله سبحانه ولا يدري أحد متى يأتيه؛ فعلى العاقل أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل أن يبادره الموت.

الخلاصة

* الموت والحياة بيد الله، خالق الموت، والحياة، وليست بيد وثن، أو طبيعة لا تملك لنفسها موتاً ولا حياة.

* الموت انتقال من دار العمل إلى دار الجزاء.

* الموت محتم على كل إنسان، ولا مفر منه، ويجب الاستعداد لما بعده.

الفصل السادس عشر
حياة البرزخ

البرزخ:

س: ما هو البرزخ؟

ج: البرزخ هو الحالة التي يكون فيها الإنسان بعد الموت إلى القيامة. ومعنى البرزخ لغة: هو الحاجز، والحد بين الشيئين.

قال تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾

(المؤمنون: ٩٩، ١٠٠)

القبر وعذابه:

س: وهل يعتبر القبر جزءاً من حياة البرزخ؟

ج: نعم..

س: وماذا يحدث للإنسان في القبر؟

ج: يتعرض الإنسان للحساب على أعماله من بعد موته مباشرة، إلا أن الحساب الكامل يكون يوم القيامة.

س: وكيف يكون حال من لم يقبر في لحد من اللحود؟

ج: ينطبق عليه بقدرة الله ما ينطبق على من هم داخل القبور، ولو كان أجزاء مشتتة، أو في جزء حيوان، أو كان رماداً، أو كيفما كان، والله هو الذي يتولى الإقبار كما تولى الخلق ـ سبحانه ـ من العدم.

قال تعالى:

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ (عبس: ١٧، ٢٢)

س: وماذا يلاقي المرء في قبره؟

ج: قال عليه الصلاة والسلام: إن الميت إذا وضع في قبره، يسمع خفق نعالهم حين يولون مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله. وكان فعل الخيرات: من الصدقات، والصلاة، والمعروف، والإحسان إلى الناس، عند رجليه فيؤتى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل، ثم يؤتى من قِبَل رجليه فيقول، فعل الخيرات: من الصدقة، والمعروف، والإحسان إلى الناس: ما قِبَلي مدخل. فيقال له: أرأيتك هذا الذي قِبَلكم ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل أخبرنا عما نسألك عنه أرأيتك هذا الرجل الذي كان قِبَلكم ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ قال فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله ﷺ وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من أبواب الجنة فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له: باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً[1] وينور له فيه ويعاد الجسد كما بدأ منه[2] فتجعل نسمته في النسيم الطيب[3] وهو طير تعلق في شجر الجنة.

(١) الحياة في القبر تختلف عن الحياة في الدنيا ومقاييسها.

(٢) أي يعود الجسم تراباً.

(٣) أي تكون روحه مع الأرواح الطيبة.

فذلك قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾

(إبراهيم: ٢٧)

وإن الكافر إذا أتي من قِبَل رأسه لم يوجد شيء، ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم أتي عن شماله فلا يوجد شيء ثم أتي من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اجلس فيجلس مرعوباً خائفاً، فيقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان قِبَلكم: ماذا تقول فيه وماذا تشهد عليه؟ فيقول أي رجل؟ ولا يهتدي لاسمه. فيقال له: محمد، فيقول: لا أدري لا أدري. وفي رواية فيقال له لا دريت ولا سمعت. سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما قال الناس. فيقال له: على ذلك حييت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب النار فيقال له: هذا مقعدك من النار، وما أعد الله لك فيها فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يفتح له باب من الجنة. قال فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله فيها لو أطعته. فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه فتلك المعيشة الضنك التي قال الله:

﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه: ١٢٤)

الشهداء:

س: وما هو حال الشهداء بعد موتهم؟

قال تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠)

فالشهداء أحياء في الجنة يرزقون، فهم وإن كانت أجسادهم في

الفنـاء، فإن أرواحهـم حية كأرواح سائـر المـؤمنين، فحياتهـم متصلـة، وتزودت برزق الله الطيب على ما قدموا من جهاد في سبيله.

مستقر الأرواح:

س: وأين مستقر الأرواح بعد الحساب في القبر؟

ج: منها أرواح في أعلى عليين، وهي أرواح الأنبياء، ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسـرح في الجنـة حيث شاءت، وهـي أرواح بعض الشهداء، ومنها أرواح محبوسة على باب الجنة، كأرواح الشهداء الـذين عليهم دين لم يقض، ومن الأرواح ما يكون مقرها باب الجنة كأرواح بعض الشهداء، ومـن الأرواح ما تكون محبوسـة في الأرض، ومـن الأرواح ما يكون مع النسيم الطيب في عليين كأرواح الصالحين، ومنهـا ما يكون في تنور الزناة والزواني، ومنها أرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة.

الحياة البرزخية:

س: وهل تختلف الحياه البرزخية عن الحياة الأولى؟

ج: إنها تختلف اختلافاً كثيراً وهي أشـد اختلافـاً من الاختـلاف بين الحياة في بطن الأم، والحياة على وجه الأرض، ولـو وُصفت الحياة علـى الأرض لطفل في بطن أمه لعجب منها كثيراً، وربما كذب بها. ولكننا نصدق بكل ما أخبرنا به الصادق المصدوق محمد ﷺ وأما العذاب في القبر، فنحن لا ندركه لأننا في عالم، ومن في القبور في عالم آخر، وبيننا وبينهم حاجز لا نعبره إلا بالموت كما هو حال الطفل في بطن أمه. وهو وإن كان معنا على الدنيا، ولكن بيننا وبينه حاجز لا يعبره إلا بالولادة ولكننا آمنا بعذاب القبر لأن المخبر لنا هو الصادق المصدوق محمد ﷺ المبلغ عن ربه.

الخلاصة

* الحياة البرزخية هي الحياة بين الموت ويوم القيامة.

* من مات قبره الله وبدأ الحساب له، ولو كان في بطـن وحش، أو أجزاء صغيرة، أو رماداً مشتتاً، ويرى المؤمن مقعده الذي أعد له فيستبشر. ويرى الكافر مقعده الذي أعد له فيتحسر.

* الشهداء أحياء منعَّمون في الجنة، ولكن منهم من تحبس روحه على باب الجنة لدين لم يقض، أو تحبس في القبر كمن سرق من الغنائم، ومن أرواح الشهداء ما يكون مقرها باب الجنة.

* يختلف ما في الحياة البرزخية عما في حياتنا، ولا نقدر على إدراك حقيقته: لأن بيننا وبينها حاجزاً، كما هو الحاجز بين حياة الطفل في بطـن أمه، وحياة الناس على الأرض.

* نؤمن بكل ما أخبرنا به الصادق المصدوق محمد ﷺ لأن الله عرفه ما لم نعرف، وعلمه ما غاب عنا، ولقد عرفنا صدق نبوته ورسالته فصدقناه.

الفصل السابع عشر
أحوال البعث

البعث:

س: ما هو البعث؟

ج: هو بداية اليوم الآخر، حيث يعاد الإنسان روحاً وجسداً، كما كان في الدنيا.

أدلة البعث:

س: وما هي أدلة البعث؟

ج - أولاً: إخبار خالقنا الذي أحيانا، ثم أماتنا بأنه سيبعثنا بعد موتنا، وذلك بواسطة رسل وأنبياء صدقنا رسالتهم وآمنا بنبوتهم، بما قدموا من أدلة شاهدة على صدقهم، وقد بلغ عددهم أن امتلأ بهم التاريخ البشري، وكلهم جميعاً يخبرون الناس عن ربهم بأن الله سيبعث الناس ليوم الحساب.

قال تعالى:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾

(النساء: ١٦٥)

ثانياً: إذا تأملت في خلق الإنسان، وجدت أن لكل جزء من أجزاء جسمه حكمة خلق من أجلها.

ومنها نعرف أن الإنسان ما خلق عبثاً، وإنما خلق لحكمة ولكن الحكمة لحياة الإنسان على هذه الدنيا لا تظهر إلا إذا آمنا بالبعث، واليوم الآخر.

قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: ١١٥ - ١١٦)

ثالثاً: إذا عرفنا أن الخالق أكمل، وأعظم، وأجل، مما يخلق، وعرفنا أن عدل الإنسان يأبى التسوية بين الظالم والمظلوم، والمطيع والعاصي، وإذا عرفنا أنه لا إنصاف كاملاً في هذه الدنيا، ولا مجازاة عادلة على ما يعملون، عرفنا أن العدل الإلهي لا يرضى بالمساواة بين البر والفاجر، والمطيع والعاصي، وأوجبت عقولنا ضرورة وقوع الحساب بعد الموت:

قال تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

(الجاثية: ٢١، ٢٢)

شبهة المنكرين:

س: يقول الكافرون: إنه من المستحيل إعادة الإنسان إلى الحياة وقد أصبح تراباً وعظاماً نخرة فما هو الرد عليهم؟

ج: لقد سئل محمد ﷺ هذا السؤال. فتولى الله الرد عليهم.

قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا

أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يسٓ : ٧٨، ٨٣)

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم : ٢٧)

فناء شامل ويقظة تامة :

س : وكيف يبدأ البعث؟

ج : هذه جملة آيات تدلنا على ما يحدث من فناء في هذا اليوم «يوم القيامة» :

وقال تعالى :

﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات : ٧ ، ١٥)

قال تعالى :

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ
ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (النبإ: ١٧، ٢٠)

وقال تعالى :

﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ (الواقعة : ١، ٦)

وقال تعالى :

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

(إبراهيم: ٤٨)

النفخ في الصور:

س: ما معنى النفخ في الصور؟

ج: الصور معناه: القرن الذي ينفخ فيه، وإذا نفخ فيه خرج منه صوت قوي، قال تعالى:

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨)

س: كم مرة ينفخ في الصور وماذا يحدث في كل مرة؟

ج: في النفخة الأولى يحدث الفناء الشامل كما قال تعالى:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾

(الحاقة: ١٣، ١٦)

س: وكيف يكون حال الناس عند حدوث هذا الزلزال الكوني عند النفخة الأولى في الصور؟

ج: حال الناس يومئذٍ كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

(الحج: ١، ٢)

س : وما الذي يحدث عند النفخة الثانية في الصور؟

ج : يقوم الناس من قبورهم كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر : ٦٨)

وكما قال تعالى :

﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾

(طه : ١٠٨، ١٠٩)

وكما قال تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يس : ٥١، ٥٤)

س : وماذا يحدث بعد قيام الناس من قبورهم؟

ج : يساق الناس بعد أن يبعثهم الله إلى أرض المحشر كما قال تعالى :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

(ق : ٢٠، ٢٢)

كيف يتم البعث :

س : وكيف يتم بعث الناس؟

ج : إذا عرفنا كيف خلق الله الناس أول مرة عرفنا كيف يكون البعث في المرة الثانية قال تعالى :

﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء : ١٠٤)

س : وكيف بدأ خلقنا أول مرة؟

ج : لقد خلقنا الله من ثلاثة أجزاء رئيسية.



فإذا جاء الموت انفصل كل جزء وعاد إلى أصله.



س : إذا كانت الروح تذهب إلى بارئها فإننا نرى أن الجسد يعود إلى التراب فأين يذهب الجزء الذي تناسل من أبينا آدم عليه السلام؟

ج : يبقى في عجب الذنب وهو عظم في أسفل العمود الفقري.

س : وفي أي حجم هذا الجزء الذي انتقل إلينا من أبينا آدم عليه السلام؟

ج : إنه صغير جداً لدرجة أن الجنس البشري كله قد كان جميعاً في صلب آدم ـ عليه السلام ـ ويقول الأطباء : لو جمعنا الأجزاء المادية التي تحمل خصائص الوراثة في الجنس البشري لجمعت في حبة الكستبان (وهو القمع المعدني الصغير الذي يضعه الخياط في رأس إصبعه لكي لا تغرزه الإبرة).

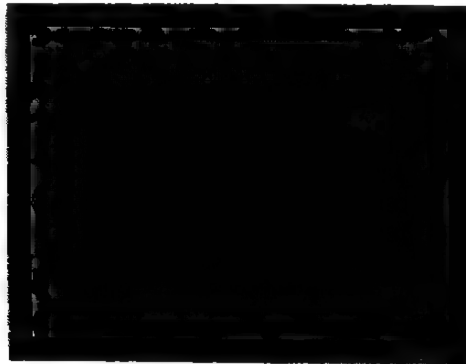
س : وهل هناك دليل شرعي على أننا نبعث من هذا الجزء الذي خلقنا منه أول مرة؟

ج : الدليل قد وردت الإشارة إليه في كتاب الله : ﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده . .**﴾ وقد بينه الرسول ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كل بني آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب» قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه تنشأون».

س : وكيف لا تأكل الأرض هذا الجزء الذي نخلق منه؟

ج : إن سنّة الله في البذور التي تخزن الأشجار بداخلها هي الحفظ من الفساد فترى الحبة الصغيرة الصفراء التي بداخل ثمرة (التين) تدخل إلى معدتك وأمعائك وتخرج سليمة لا يضرها شيء.

وكذلك إذا نظرت إلى أي أرض كانت مزدهرة بالأشجار والنباتات فأصابها الجفاف الطويل فتحطمت أشجارها وتفتّتت أجزاء تلك الأشجار، ولكن إذا نزل المطر بالسماء أنبتت الأرض مرة ثانية ودبت فيها الحياة.



وكذلك يحفظ الله عجب الذنب الذي خلقنا منه ونعود منه، فلا يضره شيء ولا يبلى، فإذا كان يوم القيامة أنزل الله ماء من السماء فتنبت أجسامنا

من عجب الذنب كما تنبت الأشجار من بذورها. قال تعالى:

﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ (الروم: ١٩)

وقال ﷺ: «... ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس من الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب منه يركب الخلق يوم القيامة» أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داود والنسائي. وكما يحفظ الله بذور النباتات لتنبت مرة ثانية فهو سبحانه ـ يحفظ (بذور الإنسان) الأجزاء الأصلية منه ليركبه منها مرة ثانية ـ فإذا نبت الجسد يوم القيامة عادت الروح إليه.

﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (الزمر: ٦٨)

ولقد سأل أبو رزين العقيلي رسول الله ﷺ فقال: قلت يا رسول الله: كيف يعيد الله الخلق، وما آية ذلك في خلقه؟

قال: «أما مررت بوادي قومك جدباً، ثم مررت به يهتز خضراً»؟

قلت: نعم.

قال: «فتلك آية الله في خلقه كذلك يحيي الله الموتى»

مصير الناس بعد البعث:

س: وما هو مصير الناس بعد أن يبعثهم الله؟

ج: قال تعالى مبيناً ذلك المصير:

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا
وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ
اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ
تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ
لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ
إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (المؤمنون : ١٠١، ١١٤)

الخلاصة

* البعث هو إعادة الإنسان روحاً وجسداً يوم القيامة، ليلاقي جزاء عمله.

* وقد أخبرنا به رسل ربنا، وعرفنا أنه مقتضى العدل الإلهي. وأن الحكمة من خلق الإنسان لا تعرف إلا بالإيمان به.

* ومن ذكر نشأته الأولى لا يشك أبداً في النشأة الأخرى.

* ويصحبه تغيير شامل في الأرض والسماء.

* الصور هو قرن ينفخ فيه الملك الموكل به فيصعق من في السموات والأرض إلا الشهداء، ويقع عندئذٍ زلزال كوني، وفناء شامل، وينزل الهول الشديد بالناس عند سماعهم صوت الصور ويصعقون منه.

* عندما ينفخ إسرافيل في الصور مرة ثانية يبعث الله الموتى فيجمع الله الأولين والآخرين ويسوقهم صامتين خاشعين إلى أرض المحشر لحسابهم، ويبعث الله الخلق كما بدأهم أول مرة.

* ركب الله الإنسان أول مرة من (بذرة) نطفة تناسلت من آدم ـ عليه السلام ـ وأضيف إليها التراب بواسطة الطعام، ونفخ فيها الروح.

* وإذا مات الإنسان عاد كل جزء إلى أصله. فالبذرة (النطفة) التي ركب منها الإنسان وهي كحبة الخردل تكون في عجب الذنب، والجسد الذي جاء من التراب يعود إليه وتصعد الروح إلى بارئها.

* يبلى الجسد كله وعجب الذنب لا يبلى، وكما أن الله يحفظ البذور لتخرج منها النباتات مرة أخرى فكذلك عجب الذنب يحفظه الله ليبعث الناس منه مرة أخرى.

* إذا نبت الجسد عند البعث، عادت الأرواح إلى الأجساد وسكن كل روح في الجسد الذي كان فيه.

* يسوق الله الناس بعد بعثهم إلى أرض المحشر، خاشعة أبصارهم لا تنفعهم أنسابهم، ولا أموالهم، فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة كان من أهل الجنة ونعيمها، ومن خفت موازينه كان من أهل النار الأشقياء الذين يعترفون بذنوبهم فيندمون على كفرهم، وإيذائهم للمؤمنين واغترارهم بالدنيا ولكن لا ينفعهم الندم.

الجُزءُ الثَّالِث

الفصل الأول

أخطار الكفر

الكفر لغة:

هو التغطية، أو الجحود.

الكفر شرعاً:

هو عدم التصديق بالله أو ملائكته، أو كتبه، أو رسله، أو اليوم الآخر أو أي حكم من أحكام الله، أو أي تقرير ديني يعلم أنه بالضرورة من الدين؛ فالكافر يغطي آيات الله الواضحة البينة.

آثار الكفر في حياة الإنسان:

للكفر آثاره السيئة في حياة الإنسان المتعلقة بحياته الأخرى التي سيجازى فيها؛ وحياته الدنيا التي يعيشها.

الكفر والحياة الأخرى:

س: ما هي الأضرار التي تصيب الكافر في حياته الأخرى؟

ج: إن الحياة الأخرى، هي الحياة الأبدية، وبها الجزاء الأوفى، والذي لا يؤمن بالله أو باليوم الآخر؛ سيلاقي جزاءه على كفره وتذهب كل أعماله في حياته الأولى سراباً. كما في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾

(النور: ٣٩)

والكافر مصيره إلى النار، بل يصبح هو وقوداً لها:

﴿ وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٤)

والكفار يحاجُّهم خزنة النار عندما يساقون إليها :

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ
لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ
ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

(الزمر : ٧١، ٧٢)

وهكذا يكون مصيرهم . وعندما يعذبون يتمنون لو أطاعوا الله والرسول :

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾

(الأحزاب : ٦٦)

هؤلاء الذين كفروا أو خرجوا عن طاعة الخالق إلى طاعة العباد يقولون في جهنم :

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ
ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٦٧، ٦٨)

ولكن الله قد أعطى لكل إنسان عقلاً يفكر به، ويتدبر، لكي لا يكون عبداً لغير خالقه، وإلا فهو الخسران .

قال تعالى :

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ
ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٣، ١٠٤)

ويحاجُّهم الله :

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٥)

والكفار يتمنون لو أنهم يردون إلى الحياة الأولى فلا يكذبون بآيات الله :

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: ٢٧)

تلك صور واضحة لمصير كل كافر؛ كفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. فنعوذ بالله أن نكون من الكافرين.

الكفر والحياة الدنيا :

س : ما هي أخطار الكفر وأضراره في حياة الإنسان الأولى؟

ج : هناك أضرار شخصية وأضرار اجتماعية :

أما بالنسبة للأضرار الشخصية فهي : -

١ - الشعور بالضياع في حياته، وأثر ذلك على معيشته؛ فقد يقر أن وراء كل مخلوق أو مصنوع حكمة خلق من أجلها، بل إنه حين يتعلم ويتفكر يعرف أن كل جزء من أجزاء جسمه ما خلق إلا لحكمة ولم يخلق عبثاً؛ ولكن بكفره بالخالق الحكيم الذي خلق كل شيء لحكمة، كفره هذا : يؤدي به إلى الشعور بأن حياته كلها عبث وضياع، وأنه لا معنى للحياة التي يعيشها ولا نتيجة لوجوده.

فهو مخلوق ضائع لا يدري لماذا خلق؟ ولماذا يعيش؟ بل إنه يرى نهاية الرحلة التي قام بها عبر هذه الدنيا ما هي إلا عبث، والموت أيضاً عبث.

وأثر هذا الشعور بالضياع في معيشة الإنسان واضحة جلية : إذ إنه

يعيش في قلق دائم، وهو دائماً ساخط على الوجود، وكل من يعيش في الوجود، لأنه لا معنى لهذا الوجود وهذا العيش. وينظر إلى العالم كله نظرة سوداء.

وهذا الاضطراب النفسي سبب مشكلة كبيرة يواجهها اليوم العلماء النفسانيون.

فكثرة الانتحارات والإدمان على المخدرات، والصداع الدائم وغيرها من المشاكل التي يواجهها العلماء بالعلاج الوحيد: وهو الإيمان، لا الكفر الذي هو داء وبيل.

فالباحث يجد أن حياة المؤمن هي الحياة الراضية المطمئنة[1]. ولا يعني هذا التكاسل. بل المؤمن مطالب بأن يعمل، ويعمِّر، ويبني.

وإنما الاطمئنان والرضا هنا ينطبقان على أن الإنسان، يعلم بخالقه ويؤمن به، كما يؤمن بالحكمة من خلقه والحكمة من الحياة الأولى والأخرى فيطمئن إلى أعماله:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ (الفجر: ٢٧، ٣٠)

السلوك الضار: ـ

س: وما هو أثر الكفر في السلوك؟

ج: الكافر لا يؤمن بحياة أخرى فيها جزاء على كل عمل: خيراً أو شراً، فهو لا يتورع أن يرتكب كل الآثام في سبيل تحقيق مصالحه. ولما كان لا يؤمن بالجزاء في اليوم الآخر؛ فهو يرى أن مصلحته يجب أن تحقق في

(١) الرضا لا يعني التكاسل عن العمل، والرضا بما هو عليه الإنسان، بل يجب عليه أن يسعى دائماً لرفع مستواه.

الحياة الدنيا، حتى ولو كان في ذلك إفساد في الأرض، وتدمير لحياة الناس، ومهما كلف الأمر من ضحايا لأعماله السيئة فهو لا يتراجع عنها. فما الذي يخافه؟!... لا شيء؛ لأنه لا يؤمن بالعقاب؛ لذلك نجد سلوكه مع غيره يقوم على المصلحة الشخصية فقط، فإذا وجد أن مصلحته الشخصية تتعارض مع الوفاء لأصدقائه ـ مثلاً ـ فسيفضل المصلحة الشخصية عن الوفاء.

لذلك تجد الكافر يغير مواقفه مع الناس حسب ما تقتضيه المصلحة الشخصية؛ وهو بهذا يسلك سلوكاً ضاراً كما يتبين لك.

س: فكيف يكون سلوك المؤمن؟

ج: لا شك أن المؤمن يؤمن بالجزاء في الحياة الأخرى، فلا يسلك إلا طريق الخير، ولا يفضل مصلحته الشخصية إذا تعارضت مع هذا الطريق، لأنه يعلم علم اليقين أنه محاسب على ذلك.

بل إن المؤمن يتنازل عن مصلحته في الحياة الدنيا، رغبة في الجزاء الأوفى في حياته الأخرى.

الأضرار الاجتماعية:

س: ما هي الأضرار الاجتماعية التي تنتج عن الكفر؟

ج: كما أن للكفر آثاره المضرة بالنسبة لشخص الكافر، فله أضراره الاجتماعية أيضاً، وهي: ـ

١ ـ الصراع بين الفرد والمجتمع: ـ

فالمجتمع الكافر يتسابق أفراده إلى تحقيق رغباتهم وشهواتهم، فلا يمنعهم ضمير، ولا يوقفهم شيء.

ومن هذا ينشأ في المجتمع صراع مرير بين أفراده وجماعاته، وطبقاته، حتى لقد أصبح هذا الصراع فلسفة: لها أتباعها وأنصارها.

وأما نتيجة ذلك:

فهو الدمار، والخراب لكيان المجتمع الذي سريعاً ما ينهار عندما يتعرض لأية هزة من الهزات.

٢ ـ فساد المجتمع وتفرقه: ـ

من المعروف أن عقول الناس تختلف في حل المشكلات، كما أن علومهم وإدراكهم لها يختلفان من فرد إلى آخر، وتجاربهم متنوعة مختلفة فأي منهج يسيرون تحت لوائه؟ وأي عقل من عقولهم يخضعون لحكمه؟ سنجد أن كل فرد في المجتمع، وكل فئة ترى منهجها مخالفاً لغيرها، وترى دائماً أن منهجها هو الحق، وما عداه فهو الباطل. وينتج عن ذلك اختلاف نلمسه في المجتمعات الإنسانية، كما نجد حياة فاسدة تحياها تلك المجتمعات.

ولك أن تقوم بتجربة عملية:

افتح المذياع ـ الراديو ـ وحرك مؤشراته على محطات عالمية مختلفة؛ ستجد أن كل مجتمع يشكّل أهدافاً، ويضع مبادىء، ويرى نفسه على حق، وغيره على باطل.

وإذا استطعت أن تدرس حالة أي مجتمع على حدة، لوجدت هذا الاختلاف داخل المجتمع نفسه أيضاً... !! **﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾**. فما هو الحل؟

تعال معي.. لترى كيف وجد المجتمع المؤمن حل هذا الإشكال؟! فالمجتمع المؤمن يرى أفراده أن الذي خلق الإنسان هو أعلم به، وأدرى بما يسعد حياته ويفسدها.

لأنه بالتجربة لا يعلم أي إنسان علاج الخلل الذي يصيب الساعة، أو

المذياع إلا من أوجدها، أو من تعلم منه. لذلك فالمؤمن يسير على منهج خالقه؛ المنهج الإلهي وبهذا نجد مجتمعه، مجتمعاً سعيداً متماسكاً، لأن جميع أفراد هذا المجتمع يخضعون لمنهج الله الواحد، لا لمناهج البشر المختلفة، العاجزة عن إسعاد الناس. قال تعالى:

﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠)

وقال تعالى:

﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (النحل: ٦٤)

س: ولكن... كيف أصبحت مجتمعات الكفر بهذا التقدم. ومجتمع الإيمان بهذا التخلف؟

ج: تقدم المجتمع الكافر يرجع إلى أخذهم بالعلم والتصنيع، والاستفادة بما أودع الله في الأرض من خيرات، ولكن بالرغم من تقدمهم هذا؛ نجد أن الأمراض الاجتماعية: كالانتحار، والإدمان على المخدرات، والسرقات، واليأس من الحياة، والزنا تتفشى فيهم بشكل مخيف.

أما بعض المجتمعات المؤمنة، فتخلفها يعود إلى الجهل الذي منعهم من الأخذ بأسباب التقدم لاستثمار خيرات الأرض، وترجع أهم الأسباب، إلى مخالفتهم لأحكام دينهم الذي يأمرهم بالوحدة، وإعداد القوة، وطلب العلم، والتعاون، والعدل، والشورى وغيرها من الأصول الإسلامية.

بعض صفات الكافرين:

س: ما هي الصفات التي تعم الكافرين؟

ج : بالرغم من أن أسباب الكفر ودوافعه مختلفة إلا أن هناك صفات تكاد تعم الكافرين من أهمها :

١ ـ تعطيل الأسماع والأبصار والأفئدة عن معرفة الله وبينات الرسالة وأحكام دين الله . قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٩)

٢ ـ حقدهم وحنقهم على رسل الله وأتباعهم المؤمنين . قال تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (الحج : ٧٢)

٣ ـ فرارهم من الدعوة إلى دين الله كما فعل قوم نوح ـ عليه السلام ـ قال تعالى :

﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح : ٧)

٤ ـ جدالهم بالباطل وقتالهم في سبيل الشيطان . قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

(الحج : ٣، ٤)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ

﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٧٦)

تكفير المسلم :

س : هل يجوز تكفير المسلم؟

ج : لا يجوز تكفير المسلم ما لم يأت بأمر ينقض إيمانه وإسلامه. روي عن رسول الله ﷺ قوله: «ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل...» رواه أبو داود.

فمن أدى الشهادتين فقد دخل الإسلام، وإن وقع في أمر من أمور الكفر أو الشرك ـ بجهل ـ كحديث العهد بالإسلام، أو من يعيش في البوادي فيجب على المسلم العالم أن يبين له الأمر، ويسوق له الدليل كما كان يفعل رسول الله ﷺ، وكما بيّن الله لنا ذلك في قوله:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ١١٥)

وقد رفع الله عن هذه الأمة الخطأ. قال تعالى:

﴿ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥)

س : وما هي الأشياء التي تنقض الإيمان والإسلام؟

ج : كل ما يؤدي إلى نقض ما تقتضيه الشهادتان على جهة القطع فهو ناقض للإيمان والإسلام ومن أمثلة ذلك:

- اتخاذ مبدأ إلحادي يقوم على إنكار وجود الله وتكذيب رسوله ﷺ.
- اتخاذ ندّ لله يعظمه كتعظيم الله، أو يصرف له شيئاً من العبادة التي لا تكون إلا لله.

● التكذيب بالقرآن أو بآية منه .

● الإيمان ببعض القرآن والكفر ببعض . قال تعالى :

﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾ (البقرة : ٨٥)

● الحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أن الحكم الذي جاء به خير من حكم الله أو مساوٍ له .

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(المائدة : ١٤٧)

● الاستهزاء برسول الله أو بالمؤمنين لإيمانهم . قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ (المطففين : ٢٩، ٣٠)

وقال تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾

(التوبة : ٦٥، ٦٦)

● موالاة النصارى واليهود . قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة : ٥١)

الخلاصة

● الكفر لغة: هو التغطية. وشرعاً: هو عدم التصديق بالحق الذي جاء من عند الله.

● أعمال الكافر تكون عند الله كالسراب، ويصلى الكافر نار جهنم ويتمنى العودة ليعمل صالحاً؛ ولكن الحجة قد قامت عليه في الحياة الدنيا ولا مفر من العذاب.

● حياة الكافر في نظره غير ذات معنى، وشعور الضياع يملأ جسمه، والقلق والحيرة يسيطران عليه. والانتحار والإدمان على المخدرات، والصراع الدائم من علامات المجتمعات الكافرة.

● لا يهم الكافر إلا مصالحه الشخصية فتجده ساعياً لتحقيقها ولو دمر حياة المجتمع في سبيل تحقيقها. فسلوك الكافر هو السلوك الأناني الضار.

● يسوق الكفر إلى الصراع بين أبناء المجتمع الواحد والصراع يسوق إلى التفرق والاختلاف.

● إن النهضة الصناعية التي نجدها في بعض البلدان الكافرة سببها: أخذ هذه البلدان بوسائل البحث العلمي والاستفادة بما أودع الله من خيرات ولكن ذلك لا يعني أنهم لا يغرقون في بحار من الرذائل، والجرائم، والشذوذ والانحراف عن الفطرة.

● تأخر المسلمين يرجع إلى مخالفة أحكام دينهم.

● من صفات الكافرين العامة: تعطيل أدوات العلم عن معرفة دين الله، وحقدهم وحنقهم على الرسل وأتباعهم المؤمنين، وفرارهم من الدين ودعاته، وجدالهم بالباطل، وقتالهم في سبيله.

● لا يجوز تكفير المسلم بالمعاصي، وإذا جهل بأمر دينه فيجب على

المسلمين تعليمه، ولا يخرج من الإسلام إلا إذا جاء بما ينقض إسلامه.

● ينقض الإسلام بكل ما يقتضي نقض الشهادتين مثل: الإلحاد، والشرك، والتكذيب بالقرآن أو بآية منه، والاستهزاء برسول الله وبالمؤمنين بسبب إيمانهم، والاعتراض على أحكام الله وشريعته، وموالاة أعداء المسلمين.

الفصل الثاني

عَلَّمَ الإنسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

امتياز البشر:

س: بماذا يمتاز البشر على بقية الحيوانات؟

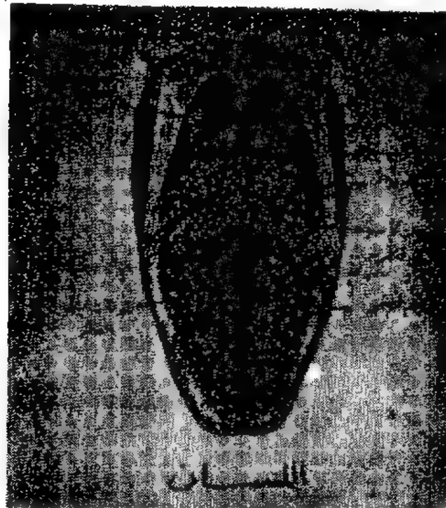
ج: يمتاز البشر بأمور كثيرة على سائر الحيوانات، لعل أهمها: هو العلم.

س: وكيف يصل الإنسان إلى العلم؟

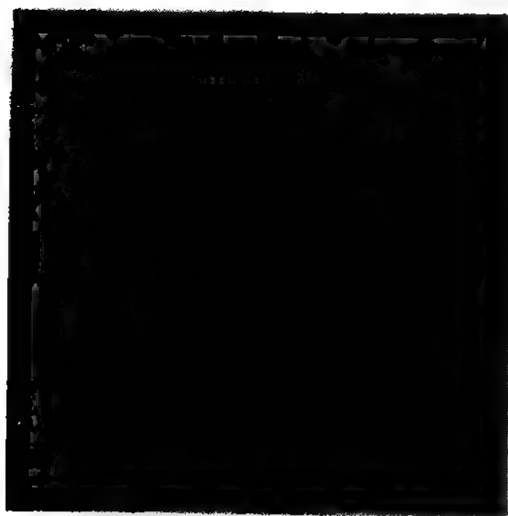
ج: إن الذي أراد أن يميز هذا الإنسان بالعلم، خلق له أجهزة محكمة عظيمة الصنع، والإبداع تمكنه من التقاط العلوم، كما أمده بوسائل العلم المختلفة.

س: وما هي هذه الأجهزة؟

ج: **١ - العلم بالأذواق والطعوم المختلفة:**



فلقد خلق الله للإنسان جهازاً دقيقاً في صنعه، هو ذلك اللسان الذي من وظائفه أنه يميز بين الحلو والمر والحامض والمالح ومختلف درجات تركيزها. وأمده سبحانـه (بجسيمات الذوق) وهي أجزاء صغيرة من الجسم يخلق الخالق فيها مقدرة على إدراك الذوق وتمييز درجاته. ولولا إرادة الخالق في خلق هذه الجسيمات لمـا تمتعنـا بأي طعـم لذيذ، ولمـا أدركنـا معنـى للطعم.



ومجال هذه الوسيلة للمعرفة محدود بما يصل إلى ألسنتنا، ويذوب في لعابنا فندرك له طعماً.

٢ ـ العلم بثقل الأشياء وكيفية أسطحها:

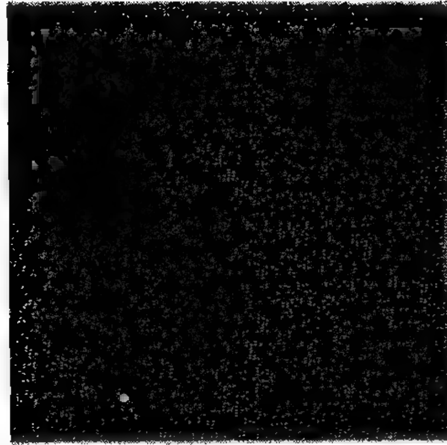
ولكي ينعم الإنسان بهذه النعمة خلق له ربه جهازاً دقيقاً محكم الصنع دقيق التركيب. ذلك هو الجلد الذي تنتشر فيه جسيمات حية يدرك الإنسان بواسطتها ثقل الجسم على الجلد، وشكل سطحه إن كان حاداً أو أملس أو خشناً أو صلباً أو ليناً أو سائلاً. وقد قدر الخالق لهذه الجسيمـات أن تدرك ذلك، كما قدر لجسيمات الذوق أن تدرك الطعوم المختلفة.



مع أن الجميع قد خلق من أصل واحد، وطعام واحد.

ولولا إرادة الخالق في خلق هذه الجسيمات لاحترقنا، ولتقطعت أوصالنا أو احترقت دون أن نشعر.

ومجال هذه الوسيلة للمعرفة محدود بما يلامس الجلد، ويكون بثقل كاف للإحساس به.



٣ ـ العلم بالروائح:

ونعلم بروائح المواد المختلفة بواسطة جهاز دقيق محكم في صنعه، دقيق في تركيبه، هو جهاز إدراك الشم المنتشر على جدار الأنف من

الداخل، والذي تنتشر فيه شبكة كبيرة من خلايا الشم، التي تدرك الروائح الجميلة والروائح الكريهة.

ولولا إرادة الخالق في خلق هذه الخلايا الشمية ما علمنا قط أن هناك روائح طيبة، وروائح كريهة، نعرف بها مختلف المواد، وأنواعها، ولما تمتّعنا بلذة روائح الطعام المفتحة للشهية.

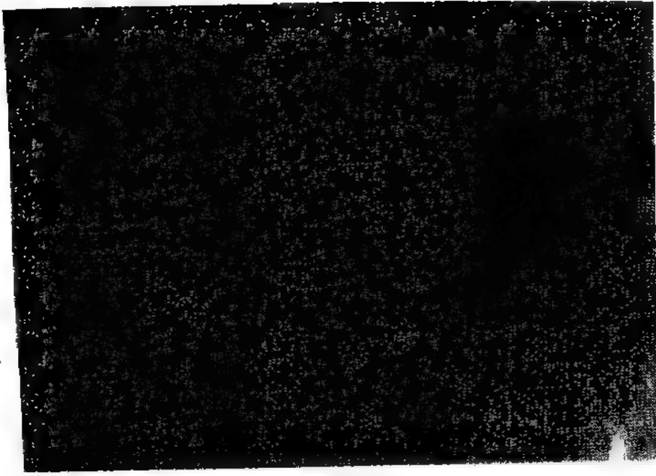
ومجال عمل هذه الوسيلة محدود بعشرات الأمتار، كما أنه مخصوص بالمواد التي لها روائح.



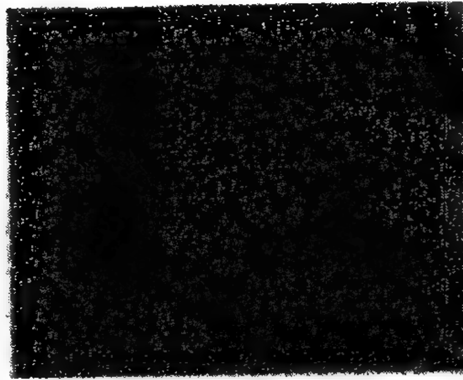
٤ ـ العلم بالأشكال والألوان والصور المختلفة:

ونعلم بالأشكال والألوان، والصور المختلفة بواسطة جهاز بالغ الإحكام، عظيم الإتقان، دقيق التركيب. ذلك هو الجهاز البصري الذي أهم أعضائه: العين، التي تتكون من عدة أجزاء محكمة الربط دقيقة الصنع، من أهمها الشبكية التي تتكوّن إحدى طبقاتها من ثلاثين مليون عود بصري (عصا بصرية) وثلاثة ملايين مخروط بصري، تنطبع عليها الصور المختلفة.

ولولا إرادة الخالق سبحانه في خلق هذه الأعواد والمخاريط لكنا عمياً، لا نرى شيئاً.



وبالرغم من أن عيوننا صغيرة، إلا أن مجال عملها يصل إلى مئات الأمتار، ويصل إلى نجوم السماء بصورة مجملة غير دقيقة.



ومجال الرؤية محدود أيضاً بنوع خاص من الأشعة، فنحن لا نرى أمواج «المذياع» مثلاً، رغم أن الإنسان قد استخدم عقله لتقوية بصره باختراع أجهزة مكبرة فلا يزال مجال البصر محدوداً بحدود تلك الأجهزة. فلن تستطيع أن ترى من بالمكان المجاور بأي جهاز من الأجهزة، إلا أن تصنع فيه محطة إرسال تلفزيوني ترسل لك الصورة من هناك.



٥ ـ معرفة ما غاب عن إحساسنا وإدراك الأصوات :

ونعرف الأصوات ودرجاتها، وشدتها وقوتها، ونعرف بالأصوات ما غاب عن مشاهدة أبصارنا، وإدارك حواسنا.

كل ذلك بواسطة جهاز أتقن ربه تصويره، وتكوينه، وتنظيمه. ذلك هو عضو الأذن. ولولا إرادة الخالق في خلق هذه الآذان ما كلم إنسان إنساناً آخر، ولا قامت بين الناس أية صورة من صور التعاون، ولما وجدت الدول، والمجتمعات.

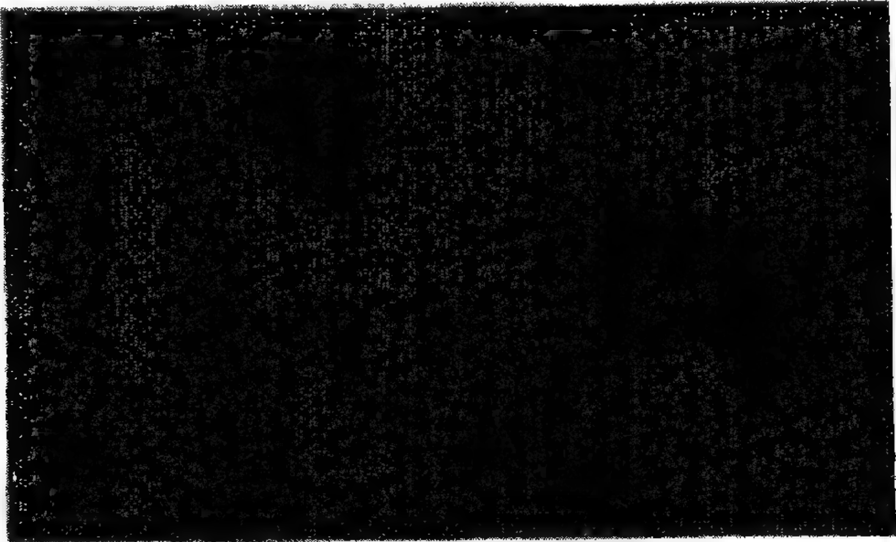


وإن كانت الأذن لا تسمع الأصوات إلا لمسافات قريبة فإنها نافذة المعرفة البشرية إلى شتى الميادين الغائبة عن مشاهدة البصر، وإدراك الحواس الأخرى.

فبها نعرف ما يدور في البلاد الأخرى، وما يصل إليه العلماء، ونتعلم العلوم المختلفة التي نجهلها. ونطلع على عالم الغيب في السموات العلى، وعلى أحوال أهل الجنة والنار، وعلى كثير من الأمور التي تقع في نطاق عالم الغيب.

٦ ـ قوة الفهم والتعقل:

والعقل هو الذي يفرق بين الحق والباطل، ويميز بين الضار والنافع. وهو الذي يفرق بين الإنسان والحيوان. وإذا كانت الحيوانات تشاركنا في الحواس الخمس. بل ربما يوجد في الحيوانات ما هو أقوى منا في إحساسه كالكلب في حاسة الشم، والصقر في حاسة البصر والرؤية.



فإن الإنسان امتاز بعقل استثمر به ما في الأرض من خيرات، وطار به في الفضاء، وغاص به في أعماق الماء، وتعلم به الكثير من العلوم والمعارف، عن طريق ما يأتيه من الحواس، من إشارات، وعلامات ومشاهدات، ومسموعات.

س: وهل للعقل حدود؟

ج : إن الغقل محدود بالحواس ، وقوة التخيل ، فلا يفكر إلا فيما يأتي عن طريقها .

فإذا تخيّلنا شخصاً لا يملك سمعاً ولا بصراً ، ولا يحس شماً أو طعماً أو لمساً ، ولا يتخيل شيئاً ، هل يمكن له أن يعرف شيئاً عما حوله أو يكتسب علماً واحداً من العلوم ، أو معرفة واحدة من المعارف؟!

إنه عندئذٍ يكون هو والجماد سواء ، وإن كان له عقل يدبر ويفكر لكنه عاجز عن العمل ، معطل بإغلاق أبواب المعرفة ونوافذها : الحواس الخمس .

وإذا عرفنا أن الحواس الخمس محدودة في عملها ، عرفنا أن العقل أيضاً محدود في عمله .

فالعقل لا يعرف ما هي بداية وجوده ، ولماذا خلق على هذه الدنيا ، ولا يعرف ما الذي يرضي خالق الإنسان ، ولا ما الذي يغضبه ، ولا يدري لماذا يموت الناس؟ وإلى أين يذهبون؟ كما أن العقل لا يدرك إدراكاً صحيحاً لطريق الهدى الذي يحقق للناس الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ، لأن ما سبق كله يقع خارج نطاق عمل الحواس .

٨ ـ الوحي :

وإذا كان العقل يعجز عن كل ذلك ؛ فإن الخالق أراد أن يتمم علم الإنسان بما يهمه في أمر حياته ووجوده .

فأنزل إليه وحياً وبعث للعالمين الرسل يهدونهم إلى طريق ربهم .

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ[1] قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك : ٢٣)

(١) يستخدم القرآن تعبيري الفؤاد والقلب للدلالة على القوة الواعية . وذكر القرآن السمع والبصر والفؤاد لأنها أهم وسائل المعرفة .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم[1] مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ (الأنعام: ٤٦)

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ١٥١)

﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة: ٢٣٩)

الخلاصة

● لقد ميز الله بني آدم على غيرهم من الحيوانات بنعم كثيرة أهمها: العلم.

● فخلق لهم الله تعالى أدوات العلم وأجهزة تحصيله مصنوعة أدق الصنع، مشتملة على الحواس الخمس. والعقل المميز بين الحق والباطل. والضار والنافع، والوحي المكمل لما خرج عن حدود عمل هذه الأدوات.

ولولا إرادة الله التي خلقت لهم تلك الأدوات، ما علم إنسان شيئاً.

● تشهد هذه الأدوات والأجهزة العلمية كما يشهد المسلم أنها من خلق الحكيم، العليم، الخبير. لا من صنع وثن لا يعلم، أو طبيعة لا تعقل.

مناقشة

● فهل هذه الأجهزة الدقيقة المحكمة المقدرة لتعليم الإنسان من صنع صنم أو وثن لا يعلم شيئاً؟!

---

(١) انظر الهامش السابق.

- أم أنها من خلق طبيعة لا تملك سمعاً ولا بصراً ولا عقلاً ولا حساً ولا شعوراً؟!

- أم أن هذه الأدوات والأجهزة العلمية تشهد، كما يشهد المسلم أن ربها هو الحكيم العليم الخبير..

الفصل الثالث
هل الرؤية شرط للإيمان

البصر يعجز عن رؤية كل شيء :

س : هل يستطيع البصر أن يرى كل شيء؟

ج : لا . . فالبصر محدود في قدرته على الرؤية والمشاهدة .

إن البصر يعجز أن يشاهد ما يدور في المكان المجاور، والبصر لا يقدر على رؤية الهواء الذي يحيط بنا من كل مكان ، ولا ندرك الهواء إلا بأثره في الأغصان والملابس والأشجار، وما يحدثه من ضغط على أجسامنا (قوة الرياح) .

أما الهواء فلا نعرف لونه ولا طوله أو عرضه بأعيننا ، ونحن نؤمن بالجاذبية الأرضية رغم أننا لم نشاهدها ، ولم ندر ما طولها أو لونها أو حجمها أو عرضها .

وكذلك نؤمن بأن لنا عقولاً هي الفارق بيننا وبين والمجانين، وبيننا وبين الحيوانات ، ولكننا لم نشاهد طولها أو عرضها ، ولا نفهم ما لون العقل أو هيئته؟!

ونؤمن بالذرة رغم أننا لم نشاهدها ونؤمن بأمريكا وروسيا ، وبالحرب التي قامت بيننا وبين اليهود رغم أننا لم نشاهدها بل ولا أحسسنا شيئاً عن تلك الأمور بطعم أو شم أو لمس أو رؤية ، إنما سمعنا عنها فقط.

الإيمان بغير المشاهد :

س : وكيف نصدِّق ونؤمن بما وقع خارج حدود بصرنا؟

ج : هناك طريقان :

١ ـ إدراك الأثر يدل على المؤثر :

س : وما معنى ذلك؟

ج : معنى ذلك : أننا نؤمن بالجاذبية لأننا شاهدنا آثارها، وإن كنا لم نشاهدها، وآمنا بأن لنا عقولاً لأننا أدركنا آثار العقول مشاهدة، كما أدركنا آثار الجنون واضحة بينة، وآمنا بالهواء لأننا أدركنا آثاره ضغطاً على أجسامنا وتحريكاً لأغصان الشجر(١)، وهكذا دل الأثر على المؤثر دلالة عقلية بالتصديق.

٢ ـ السماع من مصدر موثوق :

س : وما معنى ذلك؟

ج : معنى ذلك : أن نطاق مشاهداتك ضيق جداً.

وإن كثيراً من الحقائق الموجودة لا يحيط بصرك بها علماً. فأستاذ الجغرافيا يحدثك عن أمريكا وروسيا والهند وأستراليا وغيرها وهو لم يشاهدها في الغالب؛ وأنت كذلك، فهل تكذبه؟ الجواب لا . . . لأنك على ثقة أن مصدر هذا العلم قد جاء من مصادر موثوق بها. وذلك مما اطلعوا بأنفسهم على هذه البلدان.

والطبيب يحدثك عن علاج مرضك فتصدقه رغم أنك ربما لم تشاهد الداء كما أنك لم تشاهد الدواء وقت وصف الطبيب له، ولم تشاهد أن ذلك الدواء عالج ذلك المرض؛ لكنك تصدق أن ما وصف الطبيب من دواء، هو علاج ذلك المرض، لأنك تثق أن الطبيب قد علم ما جهلت، فأخبرك . فصدقت.

---

(١) وكما آمن اليتيم أنّ له أباً ولو أنه لم يشاهده. لكن وجود اليتيم أثر يدل على والده في عالم الغيب وكما تدل المصنوعات التي تشاهدها في الأسواق بأن لها صانعاً ولو لم نره.

وهكذا؛ كل الخبراء والمتخصصين يخبروننا بما عرفوه وغاب عن مشاهدتنا فنصدقهم على قدر ثقتنا بالمصدر الذي جاءنا منه الخبر.

الإيمان بالله:

س: وكيف آمن المؤمن بربه؟

ج: الإيمان بالله يتحقق بكلا الطريقين السابقين.

١ - فآثار الله ومخلوقاته التي هي كالمرآة لقدرة الله سبحانه قد ملأت الأرض والسماء.

٢ - بواسطة رسالات الله التي ملأت التاريخ البشري عبر القرون، والتي حملها إلينا رسل الله، الذين خصهم الله بالوحي والرسالة وجاء فيهم قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١)

وبهذا يتم الإيمان بالله بواسطة مصادر موثوق بها هي مصادر المرسلين الذين أيدهم الله بالآيات والبينات والمعجزات الدالة على صدق رسالتهم.

اقتراح قديم:

س: وهل اشترط قوم لإيمانهم أن يروا الله؟

ج: نعم... فبالرغم من أن مجال الرؤية محدود، وبالرغم من وجود الملايين من الحقائق خارج نطاق البصر. وبالرغم من أن ما يقارب ٩٠٪ من معلوماتنا اليومية والعلمية لا نشترط في قبولها المشاهدة، وبالرغم من أننا نصدّق كل يوم بالكثير من الأخبار، والعلوم بواسطة السماع فقط وبثقتنا في مصدر السمع، وبالرغم من ذلك كله فقد اشترط الكفار السابقون لإيمانهم أن يريهم الرسول ربهم. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (البقرة : ٥٥)

بل لقد جاء هذا الطلب من سيدنا موسى عليه السلام إلى الله عز وجل.

وعجباً!! لعين لا تستطيع أن تحتمل رؤية الشمس دقيقة واحدة كيف تقدر على احتمال نور الله لو تجلى لها؟!!

س : وماذا كان جواب ربنا على سيدنا موسى؟

ج : قال تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٣)

إن الجبل الثابت الأشم لا يحتمل تجلي الله له، وموسى الرسول لا يحتمل آثار تجلي الله للجبل ويخر صعقاً.

فكيف لو تجلى الله علينا ونحن بهذا التركيب الضعيف الذي لا تحتمل فيه أبصارنا قوة الشمس، إن محاولة رؤية الله الذي **﴿ وسع كرسيه السمٰوات والأرض ﴾** الذي هو **﴿ نور السموات والأرض ﴾** بعين صغيرة لا تتمكن من الرؤية إلا على مسافات قريبة، هي محاولة من يريد أن يرى الأرض كاملة التفاصيل من ثقب في باب بيته، ولله المثل الأعلى.

الخلاصة

● هناك حقائق تقع خارج نطاق أبصارنا ونعلم عنها بطريقين :

١ - بآثارها المشاهدة.

٢ - بالسماع عنها من مصدر موثوق.

● وإيماننا بالله يقوم على:

١ ـ مشاهدة آياته وآثار قدرته وحكمته في مخلوقاته التي تملأ الأرض والسماء.

٢ ـ السماع لحديثه سبحانه الذي حمله إلينا المرسلون، وقامت البينات على صدقهم وعلى أن ما جاؤوا به هو كلام رب العالمين.

● إن عدم رؤيتنا لله سبحانه ترجع إلى عجز في أبصارنا وضيق في حدود عملها، وما مثل من أراد رؤية الله الذي ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ بعينه الضيقة الصغيرة ـ إلا كمثل من أراد مشاهدة الأرض بأجمعها من ثقب باب بيته ولله المثل الأعلى.

الفصـل الرابع

جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مهادًا

أرض ممهدة:

س: ما معنى أن الله جعل الأرض مهاداً؟

ج: معنى ذلك: إن الله الـذي خلـق الأرض قد فرشهـا، وأعدهـا، وهيأها لحياة الإنسان عليها، كما تعد منزلك بما يلزمه من الأثاث والأدوات والوسائل. قال تعالى:

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ (الذاريات: ٤٨)

الماء:

س: وما هي الأدوات والوسائل التي أعدت بها الأرض؟

ج: ١ ـ الماء الذي يخلقه ربه أو يحوله من البحر ماء عذباً أو يسوقه إلينا، أو ينزله نطفاً دقيقة أو يخزنه قريباً من سطـح الأرض ولـولاه ما كان للإنسان حياة على وجه الأرض. قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ (إبراهيم: ٣٢)

الطعام:

٢ ـ وإذا كانت الأرض بغير مصدر للماء لا تصلح لوجودنا، فإنها بغير مصدر للطعام لا تصلح أيضاً.

وقد أمدنا خالقنا ـ الذي خلق لنا بطوناً تجوع ـ بما يشبعنا ويسد حاجتنا من ألوان الطعام المختلفة.

فأمر التراب الصالح والبذور النابتة والرياح والمطر، والبحار والليل والنهار والهواء وغيرها: أن تتعاون جميعاً في نظام منسق لإعداد طعام الإنسان في هذا المطعم الأساسي الذي كونه ربه لتوفير طعام ساكني الأرض.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر: ٣)

الهواء:

٣ ـ أما الهواء فلا نستغني عنه لحظة: لذلك فقد وفره ربه وأحكم له نظاماً لا ينقصه تنفسنا واستهلاكنا منه؛ وجعله درعاً لنا يحرق الشهب والنيازك قبل أن تصل إلى الأرض، كما يسره سبحانه لكثير من حاجاتنا.

قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦)

البناء الثابت:

٤ ـ كل ما سبق وغيره إن لم يكن موجوداً على بناء ثابت مستقر فلا قيمة له ولا أهمية، لذلك؛ فقد أحكم خالق الإنسان بناء هذه الأرض، كما أحكم تمهيدها لتكون صالحة لحياته.

كما أن خالق هذه الأرض منع اضطراب هذه الأرض بالجبال الرواسي التي تمنع وتقاوم الخلل والاضطراب.

قال تعالى:

﴿ أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل : ٦١)

الفرش والأثاث :

٥ ـ وأمد الخالق سبحانه هذا الإنسان على هذه الأرض : بالنبات والحيوان ، وسخَّر الجميع لهذا الإنسان ليأخذ فراشه وأثاثه ، وملابسه مما تنبت الأرض ومن جلود الأنعام وأصوافها .

قال تعالى :

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (النحل : ٨٠)

الموقع :

٦ ـ وهذه الأرض واحدة من الكواكب السيارة حول الشمس (كعطارد ، والمشتري ، والمريخ ، والزهرة . . .) وقد كان موقع أرضنا من الشمس في المكان المناسب لو قربت نصف المسافة بينها وبين الشمس لأحرقتنا الشمس وأماتت كل حي ؛ ولو بعدت نصف المسافة بينها وبين الشمس لتجمدنا برداً وتجمد كل كائن حي .

ولو تغير موقع أرضنا لتغيرت أيامنا وليالينا وسنواتنا وأمطارنا ، ولتغير الكثير من الأشياء ، والأرض تسير حول الشمس وهي مائلة بزاوية ٢٣° ولميلها حكمة ؛ فقد قدر الله بهذا الميل المحافظة على نظام الفصول الأربعة : (الصيف ، الخريف ، الشتاء ، الربيع) ومنع تحول وسط الأرض إلى صحراء تحترق في صيف دائم ومنع دفن شمالها وجنوبها تحت ركام من الثلج .



قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦)

إمكانيات العمل:

٧ ـ ولقد أمد الله الإنسان بوسائل العلم وإمكانيات العمل وسخر له ما أودع في هذه الأرض من كنوز ومعادن وخيرات.

قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ[1] إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج: ٦٥)

(١) يوم تقوم القيامة وتندثر الكواكب وتتكدر النجوم وتجمع الشمس والقمر وتختل الجاذبية. والله أعلم.

التوقيت :

٨ ـ ومن تمام التنظيم والتمهيد لحياة الإنسان في هذه الأرض تعاقب الليل والنهار؛ فليس الوقت ليلاً دائماً يعجز الناس فيه عن السعي والعمل، ولا نهاراً دائماً يحرق الحياة والأحياء.

ولو شاء الله لجعله كذلك؛ فها هو ذا . . . وجه من أوجهه: نهار دائم محرق، والوجه الآخر ليل شديد البرد.

وانظر إلى هذه الساعة الأرضية التي يصنعها تعاقب الليل والنهار لا تختل ولا تتوقف أو تتغير.

ثم انظر إلى مناسبة طول الليل والنهار لنومنا وسعينا فلو كان طول الليل كطول عشر ليال لنمنا ليلة وانتظرنا طلوع الفجر تسع ليال.

ولو كان طول النهار كطول عشرة أيام لأحرقت الشمس زرعنا ونباتات الأرض. وها هو ذا يوم الزهرة يبلغ قدر طول يومنا ثلاثين مرة. أما عطارد فإن ليله دائم ونهاره دائم. فتأمل إلى رحمة ربك وتدبر.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (القصص: ٧١، ٧٢)

مناقشة

لقد أعدت الأرض لحياة الإنسان وما عليها من كائنات حية أخرى فهيئت بالماء المناسب، وبالهواء الكافي الذي لا ينفد رغم الاستهلاك،

وبالطعام الذي يسد جوع الإنسان وجوع كل كائن حي؛ كما أعدت بجبال تمنع عنها الاضطراب، وجاذبية تمسك ما عليها من أن يلقى خارجها، وأعدت بالنباتات والحيوانات المختلفة التي انتفع منها الإنسان في ملابسه وفراشه وأثاثه وطعامه، كما أعدت بالرياح والأمطار والبحار وبالدفء المناسب للحياة، ووضعت في موقعها المناسب بحجمها المناسب بميلها المناسب، وجرت بسرعتها الصحيحة. وبهذا أصبحت صالحة للحياة في حين لا يصلح غيرها من الكواكب السيارة للحياة.

فهل صنم عاجز، هو الذي خلق التدبير المحكم والتنظيم البديع؟!

أم أنها الطبيعة المسلوبة الارادة والتدبير هي خالقة ذلك التدبير والتقدير؟!

أم أن ذلك التدبير الحكيم، والتنظيم السديد، والصنع البديع، والخلق الهائل، والتكوين العظيم يشهد كما يشهد المسلم: أنه من صنع الحكيم، المريد، العليم، القادر، المهيمن، الرحيم، العظيم سبحانه؟ نعم... إنه بذلك يشهد وأنا على ذلك من الشاهدين.

الخلاصة

* هيأ الله الأرض وأعدها لحياة الإنسان بالماء، والهواء، والطعام، والجبال، والجاذبية، والأمطار، والرياح، والسحب، والبحار، والشمس، والدفء والنباتات، والحيوانات.

* جعل الله الأرض تجري في مدار محكم دقيق على بعد من الشمس صالح لحياة الناس، بسرعة مناسبة وحجم مناسب، وكثافة مناسبة وميل محكم، وحدد توقيتاً دقيقاً في ليل ونهار، يتعاقبان في غاية النظام والإحكام.

* كل ذلك يشهد أنه من صنع الحكيم، المريد، العليم، القادر، المهيمن، الرحيم، العظيم سبحانه.

الفصل الخامس

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ ؟ ﴾

المجموعة الشمسية :

س : ما هي المجموعة الشمسية؟

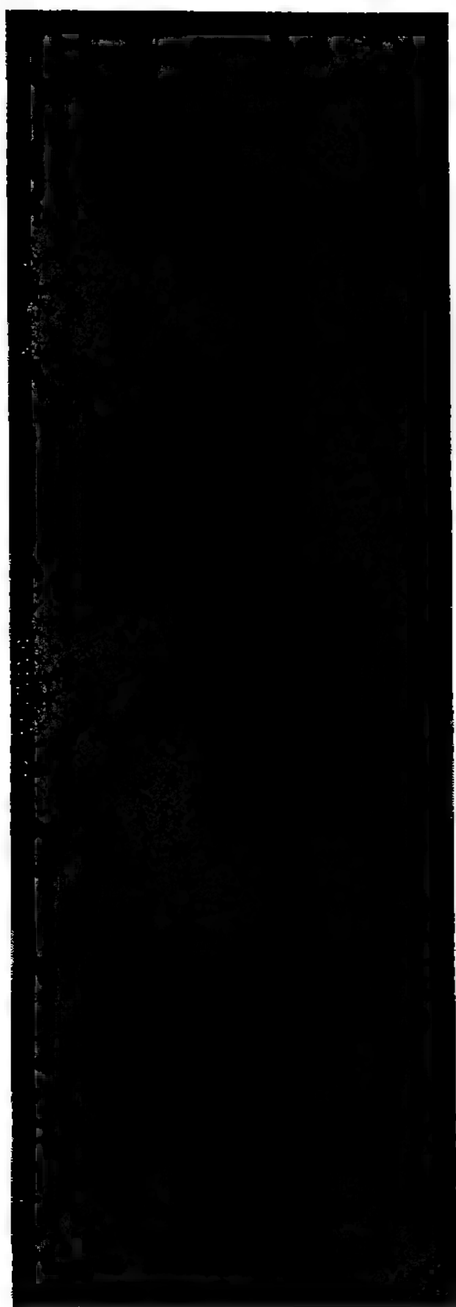
ج : هي الشمس ، وما يدور حولها من كواكب : كعطارد والزهراء والأرض والمريخ ، وغيرها؛ وكل منها يدور في فلك محدود وطريق مرسوم لا يميل عنه ولا ينحرف ، ويسير فيه بسرعة مقدرة منظمة لا تزيد ثانية ولا تنقص ثانية .

ميزان دقيق :

س : كيف لا تتصادم هذه الكواكب مع أنها جميعاً في حركة مستمرة؟

ج : إن الذي خلق هذه الكواكب حكيم عليم خبير ، فهو قد وضع ميزاناً دقيقاً محكماً لبقاء هذا النظام فهو سبحانه عندما خلق كل كوكب ، لم يخلقه بغير تدبير أو إحكام أو تنظيم سبحانه . وإنما خلقه بحجم خاص ووزن معلوم ، ومواد محددة ووضعه في فلكه الصحيح ومداره اللائق بذلك الوزن والحجم . كما أجراه سبحانه بسرعة محددة تتناسب مع مداره وبُعْده عن الشمس ، وبقية الكواكب . وتتناسب أيضاً مع حجمه ، ووزنه ، فلم يكن الخلق إذاً خبطاً؛ إنما كان خلقاً مقدراً محكماً متقناً قام على ميزان دقيق . وباستخدام هذا الميزان تمكن الفلكيون من معرفة الكوكب المسمى «بلوتو» قبل مشاهدته بالمراصد الكبيرة وحددوا مكانه ، وسرعته ووجهته وكثافته ، فإذا بالنتيجة تأتي كما حددها الفلكيون قبل رؤيته وذلك بالحساب من الميزان الدقيق الذي وضعت عليه هذه المجموعة .





ومن هنا يجب أن نعلم أن تكوين مجموعتنا الشمسية لم يكن خبطاً أعمى، وإنما كان بناءً على خطة مرسومة، وميزان محكم، وتدبير دقيق. جعل كل كوكب في مكانه المناسب، وعلى البعد المناسب من الشمس، ومن غيرها من الكواكب.

وكونه بحجمه الصحيح، وكثافته الصحيحة. ورسم له المدار المناسب وأجراه بالسرعة المناسبة، ولو تغير شيء من هذا الميزان الدقيق لاختل نظام مجموعتنا وتصادمت الكواكب واندثرت. قال تعالى:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن: ٧)

﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ (الأعراف: ١٨٥)

المجرّة:

س: وما هي المجرة؟

ج: المجرة هي مجموعة كبيرة جداً من النجوم.

س: وما هي النجوم؟

ج: هي هذه الأجسام الملتهبة المضيئة التي نراها بالليل تملأ السماء.

س: وأيهما أكبر: النجم أم الشمس؟

ج: أولاً: يجب أن تعلم أن الشمس أكبر من الأرض بمقدار (١٣٠,٥٠٠) مرة. وعلى هذا فهناك من النجوم ما هو أصغر من الشمس ومنها ما هو أعظم من حجم شمسنا (بمائة مليون مرة)، كما هو الحال في النجم المسمى (منكب الجوزاء).

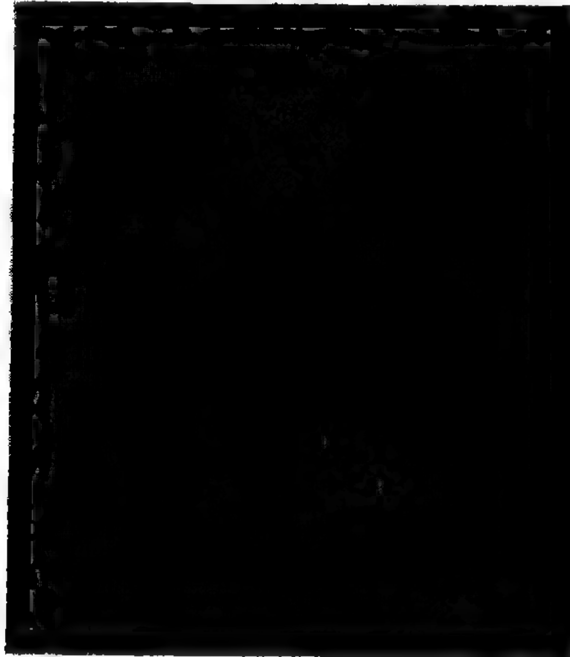
وشمسنا عبارة عن نجم واحد في مدينة نجوم هائلة تشبه كثيراً المجرة

اللولبية الكبيرة في المرآة المسلسلة. ويعتقد علماء الفلك أن في مجرتنا (المجرة اللولبية ذات القضبان) حوالي مائة ألف مليون نجم في مدينتنا النجمية (المجرة) ولكي نعد هذه النجوم في كل دقيقة مائة نجم نحتاج أن نستمر ألفي سنة ليلاً ونهاراً حتى نتم العد.



س: وهل هناك مجرات أخرى؟

ج: نعم. هناك مجرات كثيرة جداً غير مجراتنا. فقد يكون هناك بليون من المجرات الأخرى. ولا تزال تظهر للفلكيين مجرات جديدة كلما مرت الأيام وتقدم العلم البشري، ومنها جديد لا يزال يخلق.



قال تعالى:

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق: ٦)

دوران وميزان:

ومن النجوم ما هو مزدوج أي كل اثنين معاً، يدور كل منهما حول الآخر؛ وقد تكون النقطة التي تراها متلألئة في السماء أربع نجوم أو ستٌ يدور كل منها حول الآخر.

وقد اكتشف الفلكيون أكثر من ١٧,٠٠٠ نجم مزدوج وكل هذه النجوم تجري في أفلاكها. ولكنها مع ذلك لا يصدم بعضها بعضاً، ولا ينحرف أحدها عن طريقه أو مساره، وكل منها قد جرى في فلكه الصحيح، وبهذا اتزنت النجوم وسارت في أفلاكها. قال تعالى:

﴿ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٤٠)

مسافات خيالية:

س: كم من المسافات بيننا وبين الشمس وبيننا وبين النجوم؟

ج: إن المسافات هائلة لا يمكن قياسها بالأميال، فإن فعلنا ذلك كنا كمن يريد أن يعيش ما بين صعدة وعدن بالمليمتر؛ إنهم يقيسون المسافات بالسنة الضوئية وتساوي:

مسافة السنة الضوئية = ستة بلايين مليون من الأميال.

أي إن الضوء الذي يقطع في الثانية الواحدة مسافة:

(١٨٦ ألف ميل) يقطع في السنة ستة بلايين مليون من الأميال. والمسافة بيننا وبين الشمس (٩٣) مليون ميل يقطعها الضوء في ثمان دقائق،

وأقرب نجم إلى مجموعتنا الشمسية (رجل قنطورس)؛ يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في ($4\frac{1}{4}$ سنة ضوئية)، وأما الشعرى اليمانية فهي ألمع نجم في السماء: فيبعد عنا مسافة (٩ سنوات) وأما نجم (ذنب الجدي) فيبعد مسافة يقطعها الضوء في (٤٦٥ سنة ضوئية)، وتبعد عنا المجرة اللولبية الكبيرة من كوكبة المرآة المسلسلة مسافة يقطعها الضوء في بليون سنة، وأقصى ضوء رصده العلماء وصل إلينا من مسافة تبعد عنا ستة بلايين سنة ضوئية.

وكل تلك النجوم لا تزال في الفراغ بيننا وبين السماء الدنيا.

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ (الملك: ٥)

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

(الواقعة: ٧٥، ٧٦)

مناقشة

* هل إذا قلتَ: إن ألف قمر صناعي صغير، أو مائة، أو عشرة، أو قمراً واحداً؛ قد خرج من الأرض وأخذ يسير في مدار مرسوم متزن حول أرضنا نتيجة لتفاعلات كيماوية بين الأسلاك والحديد وبقية المواد المختلفة؟

وإن مثل هذا العمل لا يحتاج إلى حكمة حكماء، أو علم علماء، أو قدرة فنيين، هل إذا قلت ذلك ستجد من يصدقك؟!

إن روسيا وأمريكا عندئذٍ قد تقدّمان طلباً بمحاكمتك أو تعلنان سخريتهما بقولك إن كان لقولك أهمية، لأنك بهذا قد أنكرت علم علمائهما وحكمة حكمائهما ومهارتهما الفنية وقلت دعوى كاذبة.

* فعجباً إذاً لأولئك الكفار الجاحدين الذين لا يزال لهم وجود في زمن التقدم الذي زادهم معرفة بآيات الله وعظيم خلقه وحكمته وتدبيره وتقديره.

* إذا كان قمر صناعي صغير لا يمكن أن يطلقه إلا من له الحكمة والعلم، والخبرة والقدرة.

* أفلا تشهد إذاً هذه الملايين الملايين من الكواكب والنجوم والمجرات السابحة في مداراتها المنتظمة، المقدرة المحكمة في سرعتها أو أحجامها وأوزانها؛ ألا تشهد هذه المخلوقات في السماء، كما يشهد المسلم: إنها من خلق القوي القادر العزيز. العليم الخبير، المهيمن سبحانه؟! وتشهد أنها ليست من خلق وثن عاجز أو طبيعة عمياء، لا تدبير لها ولا إرادة!! بل تشهد وأنا على ذلك من الشاهدين.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر: ٦٧)

الخلاصة

* لم تتكون مجموعتنا الشمسية بخبط أعمى، إنما كان تكوينها وفق خطة محكمة قدرت أبعادها وأوزانها وأحجامها وسرعتها ومداراتها بميزان دقيق.

* المجرات: مجموعات كبيرة هائلة من النجوم محكمة التكوين والخلق تجري نجومها في أفلاكها المحددة المقدرة.

* إن هذه السماء وما فيها من آيات عظيمة يعجز الخيال عن تصورها لتزيدنا معرفة بخالقنا، وتشهد مع كل صاحب عقل: أن ربها هو الحكيم القوي، القادر، العزيز، الخبير، المهيمن، سبحانه!.

الفصل السادس
الواحد الأحد

خالق واحد، ومريد واحد :

س : ما هو الدليل على أن خالق هذه المخلوقات واحد؟

ج : إذا تأملت في هذا الكون ونظرت إليه نظرة شاملة، وجدت أنه قد خلق بإرادة واحدة، لا بإرادتين، وربطت أجزاءه حكمة حكيم واحد، وأن هناك تصميماً شاملاً موحداً لكل مخلوق ضمن هذا التصميم والصنع الواحد. فتأمل :

إن فتحة البواب في معدتك مرتبطة بالمعدة، والمعدة مرتبطة بالجهاز الهضمي، والجهاز الهضمي مرتبط بالجهاز الدموي (الدوري) والجهاز الدوري مرتبط بالجهاز التنفسي، والجهاز التنفسي مرتبط بالجهاز العصبي، والجهاز العصبي مرتبط بالجهاز العضلي، والعضلات مرتبطة بالعظام، والعظام مرتبطة بالجسم بأكمله. وهكذا لا قيمة لأي جزء في الإنسان إلا بارتباطه بباقي الأجزاء.

فإرادة واحدة هي التي خلقت الإنسان، لا إرادتان.

ولكن هذا الإنسان مرتبط بالأرض وما فيها من تراب يزرع ونبات ينمو، وأمطار تمد الإنسان وزرعه وأنعامه بالماء اللازم للحياة، ورياح تحرك وتسوق السحب، وبحار يتكون منها المطر، وهواء يتنفس منه الإنسان، وشمس تعمل على تكوين الطعام وإنضاج الثمر، وتيسير كثير من شؤون الإنسان. وجاذبية أرضية تمسكه من أن يلقي به في الفراغ وغيرها. وغيرها.

فلا قيمة لوجود الإنسان بغير هذه المخلوقات.

ومن هذا الترابط بين الأرض وما عليها نعرف أن هذه الأرض قد صممت بإرادة واحدة، لا بإرادتين متعارضتين.

ولكن هذه الأرض لا قيمه لها بغير أن تكون مرتبطة بالشمس والقمر، وسائر أفراد مجموعتنا الشمسية لأن نظام سيرها واتزانها في مدارها متوقف على علاقتها المقدرة المحكمة ببقية أفراد المجموعة وإلا فستصطدم بأي نجم أو كوكب يدمرها وما عليها.

وإذاً فخالق الأرض وما عليها هو خالق هذه المجموعة الشمسية، ومجموعتنا الشمسية مرتبطة بباقي النجوم في مجرتنا، وإلا فإن أي اختلال في الارتباط يسوقها إلى الاحتراق في نجم عملاق، ويقضي عليها وعلى كل ما فيها. فبإرادة واحدة خلقت مجموعتنا الشمسية وارتبطت مع باقي النجوم في مجرتنا، وبالمثل ارتبطت واتزنت مجرتنا مع باقي المجرات.

ومن هذا الارتباط المحكم الدقيق بين أجزاء هذا الكون، بين فم المعدة والمجرة، نعرف أن إرادة واحدة هي التي خلقت ونظمت ونسّقت وأوجدت. قال تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾
(الأنبياء: ٢٢)

حاكم واحد:

س: وهل هناك دليل آخر؟

ج: نعم... الأدلة كثيرة، فإذا نظرنا إلى الأحكام والقوانين والسنن الإلٓهية التي يخضع لها كل ما في الكون وجدنا كثيراً منها قوانين واحدة.

فمثلاً نجد قانون الجاذبية يحكم الخالق به أجزاء الذرة، كما نجد نفس القانون يحكم أجزاء المجرة، وبالمثل القوانين الحرارية، والإشعاعية وغيرها.

فيشهد هذا النظام الموحد والقوانين الواحدة أنها قد صدرت بأمر حاكم واحد.

وحتى تلك القوانين المختلفة المتعددة فإنها جميعاً قد كمل بعضها بعضاً؛ لإيجاد نظام شامل وقانون موحد، سار الكون كله به في نظام محكم الأجزاء بتوازن دقيق.

فيشهد ذلك كما يشهد المسلم: أن هذه القوانين المحكمة المتوازنة المتعاونة قد صدرت بأمر حاكم واحد.

ولو كان مع الله آلهة أخرى لعملوا على سلب الحكم من يد الحاكم الواحد رب العرش، ولحاولوا أن يستأثروا بشيء من هذه المخلوقات، وعندئذٍ يحدث الفساد ويتسرب الخلل إلى نظام هذا الكون بتلك المحاولات. قال تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾

(الإسراء: ٤٢)

رب واحد:

س: وهل هناك دليل ثابت؟

ج: إن قاعدة البناء في هذا الكون واحدة. إنها الذرة ذات النظام والترتيب والتركيب الواحد على اختلاف في الأجزاء وأعدادها.

إن هذه الذرة إذا جزئت انطلقت إشعاعاً: ومن الإشعاع تتكون الأجساد الحية والجبال الراسية والأمطار النازلة والكواكب السابحة... أصل واحد لكل هذه المخلوقات وهي تشهد أنها من خلق صاحب ذلك الأصل الواحد الذي لا شريك له في ملكه.

ولو كان لأحد مشاركة في ملكه لاستحوذ على ما يملك وأخذ ما صنع؛

وعندئذٍ يحدث الفساد في الكون فكيف يكون الحال: . . . إذا ذهب رب الشمس بشمسه، ورب الهواء بهوائه، ورب المطر بمطره. ورب كل مخلوق بخلقه؛ وهم جميعاً لا شك فاعلون؛ ما لم يسر كل منهم بما صنعه تحت حكمة وإرادته[1] فكيف والكون يسير بإرادة واحدة ونظام واحد ونشأ من أصل واحد. قال تعالى:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (المؤمنون: ٩١)

إله واحد:

س: من الذي يستحق العبادة؟

ج: ومن غير الخالق الواحد، المالك الواحد، الرب المسيطر على هذا الملكوت؛ فكيف يشرك مع الله في العبادة، والله ربه ورب كل شيء في هذا الوجود. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

(النحل: ٢٠)

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩١)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: ٤٠)

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ

---

(١) أو يخضع ما صنع غيره تحت حكمه وعندئذٍ تثور المنازعات، والحروب ويفسد ما في الأرض والسماء.

بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن
زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (فاطر: ٤٠، ٤١)

وقال تعالى آمراً عباده بعبادته وحده وعدم إشراك غيره في عبادته: -

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ[1] ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ[2]
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾
قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ (الزمر: ٦٢، ٦٤)

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً
إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾
(يس: ٢٢، ٢٣)

﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ
﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾
فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[3] (الزمر: ١١، ١٥)

الخلاصة

* نعلم من الارتباط المحكم بين أجزاء الكون، وتكميل بعضه لبعض؛ أن هذا الكون وحدة واحدة صدرت عن إرادة واحدة لا إرادتين، هي إرادة الخالق سبحانه.

---

(١) وكيل: متصرف فيه كيف يشاء.

(٢) مقاليد: أي مفاتيح وزمام الأمور.

(٣) وخسرانهم لأنفسهم وأهليهم: بتخليد الأنفس في النار وبعدم الوصول إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا.

* ونعلم من النظام الواحد المتزن والقوانين المتكاملة، المتعاونة، المتناسقة، التي خضع لها ما في الكون، فانتظم سيره وقام بناؤه، وثبت كيانه واستقرت أحواله؛ نعلم أن تلك القوانين صدرت من حاكم واحد خضع كل ما في الكون لسلطانه ولو كان معه آلهة لتصارعوا وتنازعوا وفسدت السموات والأرض.

* نعلم من الأصل الذري والإشعاعي للكون أن هذا الكون صدر من خالق واحد ومالك واحد ورب واحد؛ ولو كان معه شركاء **﴿لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾**.

* فيجب على العباد أن لا يشركوا مع خالقهم الواحد الأحد أحداً في عبادتهم؛ لأن غيره مخلوق له سبحانه لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، ومن أشرك بربه وخالقه غيره فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

الفصل السابع
إخلاص العبادة

معنى العبادة :

س : ما معنى العبادة؟

ج : معنى العبادة لغةً : الخضوع والتذلل : أي استسلام المرء وانقياده لغيره انقياداً لا مقاومة معه ولا عدول عنه ولا عصيان له ؛ حتى يستخدمه هو حسب ما يرضى وكيف يشاء . أو هو : كل خضوع ليس فوقه خضوع .

وأما شرعاً : فقد وردت العبادة في القرآن بثلاثة معان :

أولاً : بمعنى العبودية :

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ **(المؤمنون : ٤٥، ٤٧)**

قال الطبري في تفسير هذه الآية :

لنا عابدون : يعنون لهم مطيعون متذللون يأتمرون بأمرهم ويدينون لهم . والعرب تسمي كل من دان لملك عابداً له . وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾
(الزمر : ١٧)

والمراد بالعبادة للطاغوت في هذه الآية هو : العبودية والطاعة له .

ومعنى الطاغوت في اصطلاح القرآن : هو كل دولة أو سلطة ، وكل إمامة أو قيادة ، أو شخصية تبغي على الله وتتمرد على أحكامه سبحانه ، ثم

تنفذ حكمها في أرضه، وتحمل عباده على طاعتها بالإكراه أو الإغـراء أو بالتعليم الفاسد.

فاستسلام المرء لمثل تلك السلطة أو الإمامة أو الزعامة أو الشخصية وتعبده لها ثم طاعته إياها، كل ذلك منه عبادة ـ ولا شك ـ للطاغوت.

ثانياً: العبادة بمعنى الطاعة:

قال تعالى:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ **(يس: ٦٠)**

والمعروف أن الناس جميعاً يلعنون الشيطان في هذه الدنيا، ولكن العبادة للشيطان هنا بمعنى الطاعة لأمره واتباع حكمه. قال تعالى:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ **(التوبة: ٣١)**

والمراد باتخاذ العلماء والأحبار أرباباً من دون الله ثم عبادتهم في هذه الآية: هو الإيمان بكونهم مالكي الأمر والنهي، والاتباع لأحكامهم بدون سند من عند الله أو الرسول، وقد صرح بهذا المعنى رسول الله ﷺ نفسه في الأحاديث الصحيحة، فلما قيل له: إننا لم نعبد علماءنا وأحبارنا، قال: «ألم تحلوا ما أحلوه، وتحرموا ما حرموه»؟ أي بدون هدى من الله. قال تعالى:

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ **(المائدة: ٤٤)**

ثالثاً: العبادة بمعنى التأله:

قال تعالى:

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ

عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ (الفرقان : ١٧، ١٨)

ويتجلى من بيان هذه الآية أن المقصود بالمعبودين فيها هم الأولياء والأنبياء والصلحاء. والمراد بعبادتهم هو الاعتقاد بكونهم أجل وأرفع من خصائص البشر، والظن بكونهم متصفين بصفات الألوهية، وقادرين على الإعانة الغيبية وكشف الضر والإغاثة، ثم القيام بين يديهم بشعائر التكريم والتعظيم مما يكاد يكون تألهاً وقنوتاً!.

استحقاق الله للعبادة وحده :

س : لماذا استحق الله العبادة وحده؟

ج : لأن الله سبحانه هو الخالق وحده لكل ما في الكون، المالك لكل مخلوق، الموجد لكل شيء من العدم.

فكيف يستحق العبادة غيره؟! وهو عبد مملوك لخالقه ومالكه سبحانه!.. ولا يملك شيئاً في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى :

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾

(سبأ: ٢٢)

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟

مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾
(فاطر: ١٣، ١٤)

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩١)

الدعاء مخُّ العبادة:

س: وهل الدعاء عبادة؟

ج: الدعاء مخ العبادة كما جاء في حديث رسول الله ﷺ والدعاء بالغيب لمن تعتقد أنه يجيبك أينما كنت معناه: أنك تعتقد بحضور من تدعوه أينما كنت وقدرته على التصرف في الملكوت بقوة أنت لا تعرفها، وهذا الدعاء خلاصة الإيمان ومخ العبادة.

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠)

س: وهل يجوز دعاء غير الله؟

ج: لا يجوز دعاء غير الله، لأنه لا تجوز العبادة إلا لله. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يونس: ١٠٦، ١٠٧)

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (النحل: ٢٠، ٢١)

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء: ٥٦، ٥٧)

الحكم بما أنزل الله عبادة:

س: وهل الحكم بما أنزل الله عبادة؟

ج: الحكم بما أنزل الله عبادة، لأنه طاعة لله. قال تعالى:

﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: ٤٠)

وقال تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥)

لماذا نعبد الله؟

١ - نحن نعبد الله لأنه خالقنا الذي أوجدنا من العدم، وخلق هذه الأرض، واستخلفنا فيها، وأكرمنا بالنعم ظاهرة وباطنة، وهو الذي يملك كل شيء من أنفسنا ومما نتمتع به.

فتأمل: هل تملك من نفسك ذرة؟

هل تملك يديك؟ أو رجليك؟ أو عينيك؟ أو أي جزء من أجزاء جسمك؟ هل خلقت من نفسك شيئاً أو من هذه السماء؟ إنك لم تخلق شيئاً! فكل ما تتمتع به وتعمل أعمالك به ليس ملكك؛ إنما هو ملك لخالقه وربه.

فالمالك لنا ولكل شيء في الوجود هو الذي تجب علينا طاعته وعبادته دون سواه، لذلك نحن نعبد الله.

٢ - ونحن نعبد الله تقديساً له وحباً لكماله وجلاله وعظمته.

٣ ـ ونحن نعبد الله طمعاً في جنته ونجاة من عذاب النار.

الخلاصة

* العبادة لها ثلاثة معان في القرآن هي: العبودية، والطاعة، والتأليه.

* الطاغوت: هو كل طاغية يتجاوز حده ويرفع نفسه إلى درجة الألوهية ويطلب من الناس عبادته بنوع من أنواع العبادة.

* لا يستحق أحد العبادة إلا الله سبحانه لأنه الخالق المالك لكل شيء في الأرض والسماء.

* الدعاء عبادة ولا يكون إلا لله وكذلك الحكم عبادة من العبادات.

* نحن نعبد الله لأنه خالقنا ومالكنا ومالك كل شيء في الوجود، ونعبده سبحانه طمعاً في جنته وخوفاً من عذابه.

الفصل الثامن
الأسمَاء الحُسْنى

وسيلة أخرى لمعرفة الله :

س : هل هناك وسيلة نعرف بها ربنا غير وسيلة مشاهدة آياته في الكون؟

ج : نعم : الوسيلة الثانية هي : وسيلة الوحي، ولقد عرفنا الوحي بما غاب عن علمنا من صفات الله وأسمائه الحسنى فمثلاً ـ ولله المثل الأعلى : ـ

نحن نشاهد من صنع السيارة أن الذي صنعها مهندس حكيم في صنعه عالم في فنه، خبير في صناعته ولكن لا نستطيع أن نعرف من مشاهدة السيارة إذا كان ذلك الصانع صادقاً أم كاذباً؟ . . . جميلاً أم قبيحاً؟! رجلاً أم امرأة؟! يجيد علوماً وصناعات أخرى أم لا؟ ولكنا إذا أردنا أن نعرف ذلك وهو هام بالنسبة لكمال معرفتنا بذلك الصانع، فليس لنا من طريق إلا أن نعرف ذلك بواسطة الصانع نفسه أو رسول من عنده، وعلى قدر ثقتنا بالصانع ورسوله يكون تصديقنا أو تكذيبنا.

فإذا كان المتحدث عن نفسه هو الله الحق والمبلغ محمداً ﷺ وباقي المرسلين الذين أقاموا الحجة على صدق رسالتهم ونبوءتهم كان تصديقنا قوياً. ولقد تعرَّف الله إلى خلقه بأسمائه الحسنى التي جاء بها الكتاب والسنّة، والتي هي النوافذ التي يطل منها القلب على الله مباشرة.

أسماء متعلقة بذاته تعالى :

س : ما هي الأسماء المتعلقة بذاته سبحانه؟

ج : هي : الواحد. الأحد. القدوس[1]. الصمد[2]. الغني. الأول. القيوم[3].

أسماء متعلقة بالتكوين :

س : وما هي الأسماء المتعلقة بالتكوين؟

ج : هي : الخالق. البارىء[4]. المصور. البديع[5].

أسماء متعلقة بصفتي الحب والرحمة :

س : وما هي الأسماء المتعلقة بصفتي الحب والرحمة؟

ج : هي : الرب. الرحمن. الرحيم. الرؤوف. الودود : اللطيف. الحليم. العفو[6]. الشكور[7]. المؤمن[8]. البر[9]. الرزاق. الوهاب. الواسع[10].

أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله :

س : وما هي الأسماء المتعلقة بعظمة الله وجلاله؟

ج : هي : العظيم. العزيز. العلي[11]. المتعالي[12]. القوي. القهار.

(١) القدوس : المطهر من العيوب والنقائص.
(٢) الصمد : الغني الذي يقصد في الحوائج ولا يحتاج إلى أحد.
(٣) القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره.
(٤) البارىء : الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل.
(٥) البديع : الذي لا نظير له.
(٦) العفو : الماحي لسيئات من أناب إليه.
(٧) الشكور : الذي يعطي الكثير على العمل القليل.
(٨) المؤمن : المؤمن خلقه من العذاب والمصدّق وعده لهم.
(٩) البر : كثير البر عظيم الإحسان.
(١٠) الواسع : الذي عمت رحمته ووسع علمه كل شيء.
(١١) العلي : الذي يبلغ أعلى المراتب التي يعجز التصور عن إدراكها والإحاطة بها.
(١٢) المتعالي : المنزه عن النقائص.

الجبار. المتكبر[1]. الكبير. الكريم. الحميد. المجيد. المتين[2]. الظاهر. ذو الجلال والإكرام رفيع الدرجات.

أسماء متعلقة بعلمه تعالى:

س: وما هي الأسماء المتعلقة بعلمه تعالى؟

ج: هي: الحكيم. السميع. الخبير. البصير. الشهيد[3] الرقيب. الباطن[4]. المهيمن[5].

أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور:

س: ما هي الأسماء المتعلقة بقدرته تعالى وتدبيره الأمور!؟

ج: هي: القادر. الوكيل[6]. الولي[7]. الحافظ. الملك. المالك. الفتاح[8]. الحسيب[9]. المنتقم[10]. المقيت.

أسماء مستمدة من صفاته وأفعاله:

س: ما هي الأسماء المستمدة من صفات الله وأفعاله الواردة في القرآن؟

ج: هي: القابض[11]. الباسط. الرافع. المعز. المذل. المجيب.

---

(١) المتكبر: المنفرد بصفات العظمة.

(٢) المتين: الذي بلغ النهاية في الشدة.

(٣) الشهيد: العالم بكل مخلوق.

(٤) الباطن: المخفي بذاته فلا يعلم ذاته أحد.

(٥) المهيمن: المسيطر.

(٦) الوكيل: القائم بأمور عباده وسائر ما يحتاجون إليه.

(٧) الولي: المتولي أمر خلقه لحبه لهم ونصره إياهم.

(٨) الفتاح: الذي يفتح خزائن رحمته لعباده.

(٩) الحسيب: الذي يكفي عباده أو: الذي يحاسبهم يوم القيامة.

(١٠) المنتقم: المعاقب لمن يستحق العقوبة.

(١١) القابض: قابض الأرواح أو: مضيق الرزق على من يشاء من عباده.

الباعث. المحصي. المبدىء. المعيد[1]. المحيي. المميت. مالك الملك. الجامع. المغني. المعطي. المانع. الهادي. الباقي[2]. الوارث[3].

أسماء أخرى:

س: وهل هناك أسماء أخرى؟

ج: نعم: هناك أسماء حسنى لله تعالى مستمدة من المعاني الواردة في القرآن وهي: النور[4]. الصبور[5]. الرشيد[6]. المقسط. الوالي. الجليل. العدل. الخافض. الواجد[7]. المقدم[8]. المؤخر. الضار[9]. النافع[10].

ويتصل بذلك صفتا التكلم والإرادة.

عدد أسماء الله:

س: كم عدد أسماء الله؟

ج: لله تسعة وتسعون اسماً. قال عليه الصلاة والسلام: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، من حفظها دخل الجنة؛ وإن الله وتر يحب الوتر». ولله أسماء أخرى.

---

(١) المعيد: المعيد للأشياء بعد عدمها.

(٢) الباقي: الدائم الوجود.

(٣) الوارث: الباقي بعد فناء الموجودات.

(٤) النور: الظاهر في آياته ومخلوقاته والمظهر لغيره.

(٥) الصبور: الذي لا يتعجل بالعقوبة ولا يتعجل بشيء قبل أوانه.

(٦) الرشيد: المرشد لعباده والذي تجري تصاريفه لغايتها بمنتهى الحكمة والسداد.

(٧) الواجد: الذي يجد كل ما أراده، فلا يحتاج إلى شيء لغناه المطلق.

(٨) المقدم: الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود، في الشرف، أو في الزمان، أو المكان.

(٩) الضار: الذي ينزل عقابه بأعدائه.

(١٠) النافع: الذي عم خيره البلاد والعباد.

س : هل يجوز تسمية الله بغير أسمائه الحسنى؟

ج : لا يجوز ذلك . قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ (الأعراف : ١٨٠)

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾

(الإسراء : ١١٠)

الأسماء توقيفية :

س : ما معنى أن أسماء الله توقيفية؟

ج : معنى ذلك : أن أسماء الله متوقفة على ما سمى به نفسه سبحانه ، وبيَّن ذلك رسوله ﷺ .

فإذا أردت أن تقول : إن الله «مهندس» لا يجوز ذلك ؛ وإنما عليك أن تقول إن الله «حكيم» . وإذا أردت أن تقول : إن الله «قوة مسيطرة على الكون» لا يجوز ذلك ، وإنما عليك أن تقول : إن الله «قوي مسيطر على الكون» وإلا كنت من الذين يلحدون في أسماء الله . قال تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ(١) فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٨٠)

الخلاصة

* تكتمل معرفتنا بالله لأسمائه . وتعتبر المعرفة بأسماء الله وسيلة للمعرفة بالله .

* وأسماء الله منها ما يتعلق بذاته سبحانه ، ومنها أسماء متعلقة

(١) يلحدون : يميلون عن الحق في أسمائه حيث اشتقوا منها أسماء أو يبتدعون أسماء ، ما أنزل الله بها من سلطان .

بالتكوين وأسماء متعلقة بصفتي الحب، والرحمة، وأسماء متعلقة بعظمته سبحانه وجلاله، ومنها أسماء متعلقة بعلمه؛ وأسماء متعلقة بقدرته وتدبيره للأمور.

وأسماء أخرى مستمدة من صفاته وأفعاله. وأسماء أخرى؛ وأسماء الله الحسنى تسعة وتسعون اسماً: وهناك أسماء غيرها.

* لا يصح لمسلم أن يسمي الله بغير ما سمى به نفسه وإلا كان من الملحدين في أسماء الله.

الفصل التاسع

شهادة علماء الكون في القرن العشرين

العلم الحديث يدعو للإيمان :

س : ما هي العلاقة بين الإيمان والعلوم الحديثة؟

ج : لقد كان الناس يرون في مخلوقات الله حكمة ، وتدبيراً ، وتقديراً ، وتنظيماً ، وكذلك العلماء المنصفون .

س : وكيف ذلك؟

ج : لقد كان الناس يرون في مخلوقات الله حكمة ، وتدبيراً ، وتقديراً وتنظيماً ، وتنسيقاً ، وإتقاناً ، وعظمة ؛ تشهد لكل صاحب عقل أنها من صنع الحكيم العليم المريد القادر البديع سبحانه ؛ فلما جاء التقدم العلمي الحديث زاد الناس معرفة بعظيم الحكمة المشاهدة في المخلوقات ، وجليل التدبير في هذه المخلوقات ، وعظيم الإبداع في الصنع ؛ فزاد الإنسان بذلك معرفة بآيات الله سبحانه في شتى الآفاق .

ثم جاءت بعض هذه الاكتشافات الحديثة ، كاشفة لوجه جديد من أوجه الإعجاز القرآني الذي تضمن علوماً ومعارف كشف عن حقيقتها التقدم العلمي الحديث بعد مرور أربعة عشر قرناً من نزول القرآن .

قال تعالى :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (فصلت : ٥٣)

سبب اقتران الإلحاد بالعلوم الحديثة :

س : ولماذا نجد أن الذين قادوا النهضة العلمية في أوروبا قد قرنوها بالإلحاد؟

ج: يرجع ذلك إلى الظروف الخاصة التي مرت بها أوروبا، فلقد كانت الكنيسة تدين بدين محرَّف وينسبونه إلى الله باطلاً، وكان القسس والبابوات في منزلة الله يحرمون على الناس ما يشاءون، ويحلون لهم ما يشاءون ويفرضون عليهم من الآراء ما يريدون، ولا يقدر أحدهم على معارضتهم فأرسل الله محمداً ﷺ لتصحيح ما حرفوا وبدلوا وناداهم القرآن قبل أن يصطدموا بألوهية الرهبان والأحبار والقسس والبابوات فقال تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٦٤)

ولكن أغلبيتهم لم يستجيبوا لنداء الله وأصروا على تأليه (البابوات) والقسس وقدسوا كل ما كان يتحدث به الأحبار والرهبان (والبابوات) حتى بدأت النهضة العلمية فاصطدم الباحثون في العلوم الحديثة بكلام (البابوات) المقدس وأصر (البابوات) والكنيسة على باطلهم، وتكفير من خالفهم وأن البابا لا يخطىء. وحرضوا على التنكيل بمن خالفهم من رواد العلوم الحديثة، غير أن الباطل لا يلبث أن يزول فأصر رواد العلوم الحديثة على الصدام مع القسس وكشف زيفهم، ونشبت معركة حامية اندفع فيها رواد العلوم الحديثة إلى درجة إنكار وجود الله عناداً للقسس (والبابوات). وهكذا نشروا الإلحاد في مدارسهم وجامعاتهم.

ولما قضي على خصمهم: (الكنيسة والبابوات والقسس) عادوا يستدلون بعلومهم على إيمانهم بالله ويشهدون بصدق الإيمان بالله بل والوحدانية.

شهادة رواد العلم الحديث:

س: ومن هم رواد العلم الحديث الذين تحدثوا عن الإيمان وماذا قالوا؟

ج : هم كثير. . . ونذكر منهم البعض كمثال فقط:

«إدوارد لوتركيل»:

وهو إخصائي في علم الحيوان والحشرات، حاصل على دكتوراه من جامعة كاليفورنيا ـ أستاذ علم الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسيسكو ـ ومتخصص في دراسة أجنحة الحشرات والسلامندو «نوع من الحيوان» والحشرات ذوات الجناحين.

قال بعد أن سرد عدداً من الأدلة على إيمانه:

«. . . ولا يتسع المقام لسرد أدلة أخرى لبيان الحكمة والتصميم والإبداع في هذا الكون، ولكني وصلت إلى كثير من هذه الأدلة فيما قمت به من البحوث المحددة حول أجنحة الحشرات وتطورها، وكلما استرسلت في دراستي للطبيعة والكون ازداد اقتناعي وقوي إيماني بهذه الأدلة».

فالعمليات، والظواهر التي تهتم العلوم بدراستها، ليست إلا مظاهر وآيات بينات على وجود الخالق المبدع لهذا الكون. قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ **(الجاثية: ٣، ٦)**

«فرانك أللن»:

وهو عالم في الطبيعة البيولوجية ـ حصل على ماجستير ودكتوراه من جامعة كورنل ـ أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة «ماتيتوبا» بكندا من سنة ١٩٠٤ ـ ١٩٤٢ م، وإخصائي أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء

السائل، وحائز على وسام «توري الذهبي» للجمعية الملكية بكندا.

قال بعد أن فنّد مزاعم الكفر:

«.. ولكن قوانين (الديناميكا الحرارية)»[1] تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجياً وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت درجة من الحرارة بالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ويومئذٍ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة.. ، أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة، والأرض الغنية بأنواع الحياة، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ في لحظة معينة. فهو إذاً حدث من الأحداث، ومعنى ذلك أنه لا بد لأصل الكون من خالق أزلي ليس له بداية. عليم محيط بكل شيء، قوي ليس لقدرته حدود، ولا بد أن يكون هذا الكون من صنع يديه».

قال تعالى ذاكراً لهذه الحقيقة التي تحدَّث هذا العالم عن شيء منها:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ **(سورة الإخلاص)**

«جون كليفلاند كونران»:

وهو من علماء الكيمياء والرياضة، حاصل على دكتوراه من جامعة كورنل، ورئيس قسم العلوم الطبيعية بجامعة دولث، إخصائي في تحضير الترازديل وفي تنقية التنجستن.

قال في آخر مقال كتبه تحت عنوان «النتيجة الحتمية»: -

«... فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن أن يخلق نفسه، أو يحدد القوانين التي يخضع لها؛ فلا بد أن الخلق قد تم بقدرة كائن غير

(١) الحرارة المتحركة.

مادي، وتدل الشواهد جميعاً على أن هذا الخالق لا بد أن يكون متصفاً بالعقل والحكمة، إلا أن العقل لا يستطيع أن يعمل في العالم المادي كما في ممارسة الطب والعلاج السيكلوجي دون أن يكون هناك إرادة، ولا بد لمن يتصف بالإرادة أن يكون موجوداً وجوداً ذاتياً. وعلى ذلك فإن النتيجة المنطقية الحتمية التي يفرضها علينا العقل ليست مقصورة على أن لهذا الكون خالقاً فحسب بل لا بد أن يكون هذا الخالق دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان وعلى ذلك فإنه لا مفر من التسليم بوجود الله خالق هذا الكون وموجهه كما أشرنا إلى ذلك في بداية هذا المقال...».

«ماريت ستانلي كونجدن»:

هو عالم طبيعي وفيلسوف حاصل على دكتوراه من جامعة بورتون، أستاذ سابق بكلية ترينيتي بفلوريدا، وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية وإخصائي الفيزياء، وعلم النفس وفلسفة العلوم، قال:

«إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم نحن العلماء: بتحليل ظواهر الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية؛ فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته، ذلك هو الله الذي لا نستطيع الوصول إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته».

قال تعالى منبهاً وممتناً علينا بما سيكشفه لنا من آياته على يد أمثال هذا العالم:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ (النمل آية: ٩٣)

* **أما «هرشل»**: العالم الفلكي الإنجليزي فيقول: «كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حدّ لقدرته

ولا نهـاية، فالجيولـوجيون، والـرياضيون، والفلـكيون، والـطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده».

* **ويقول الدكتور «روتر» الكيميائي الفرنسي**: «إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله قد تزعزعت وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها».

وغيرهم وغيرهم آلاف. قال تعالى:

﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾

(سبأ: ٦)

إيمان توحيد لا إيمان شرك:

وإذا تأملت إيمان هؤلاء العلماء وجدته قريباً جداً من إيمان المسلـم بربه، كما أنه بعيد جداً عن إيمان المشركين الـذين يجعلـون مع الله آلهـة أخرى، أو يظنون أن الله أو ابنه قد نزل إلى الأرض وعـاش كأحـد أفـراد الناس، فما أقرب هؤلاء العلماء إلى إيمان المسلمين، ولـو عرض عليهـم الإسلام واضحاً بيناً لآمن به أكثرهـم، كما قد سمعنا عن دخول بعضهم إلى دين الإسلام.

أمثلة:

ومن أمثلة العلماء والباحثين الذين أسلموا بعد دراستهم للإسلام:

الدكتور علي سليمان بنوا:

وهو طبيب فرنسي قال: «وإني مدين بالشيء الكثير للكتـاب العـظيم الذي ألفه مستر مالك بن نبي واسمه (الظاهرة القرآنية) فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحي منزل من عند الله.

إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحي به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً

ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية».

البروفوسور هارون مصطفى ليون :

مؤلف وعالم لغوي وجيولوجي حصل على الدكتوراه وعلى درجات علمية كبيرة وكان زميلاً وعضو شرف في كثير من الهيئات العلمية في أوروبا وهو من (إنجلترا) قال: «من مفاخر الإسلام أنه مبني على العقل ولا يطالب معتنقيه أبداً بتجميد طاقاتهم الفكرية».

الدكتور عمر ولف بارون أهر نظير :

أستاذ علم الأجناس البشرية وهو من النمسا قال بعد أن لخص كثيراً من أسباب إسلامه: «محمد رسول الله ﷺ هو الرسول الذي جاء بالإسلام وبذلك يكون الحلقة الأخيرة في سلسلة الرسل الذين حملوا الرسالة الكبرى».

كولونيل دونالداس . روكويل :

وهو شاعر وناقد ومؤلف من الولايات المتحدة الأمريكية قال أثناء شرحه لأسباب إسلامه: «والتعاليم الأصيلة التي جاء بها محمد ﷺ لم يغيرها المشرعون بتعديلات أو إضافات فها هو القرآن على حاله التي أنزل بها على محمد ﷺ لهداية مشركي ذلك الزمان يبقى ثابتاً راسخاً رسوخ روح الإسلام ذاته».

والاعتدال والتوسط في كل شيء هما دعامتان أساسيتان في الإسلام استحوذتا على كل إعجابي وتقديري».

الدكتور ر. ل. ملما :

وهو عالم في تاريخ الأجناس البشرية وكاتب وأديب من هولندا قال في سرده لأسباب إسلامه إن سبب إسلامه: «بساطة الإيمان في الإسلام، وعدم

وجود كهنوت فيه، وحث الإسلام على التسامح، وإن المسلم مطالب بالبحث عن الحق حيثما وجده، ومبدأ الأخوة في الإسلام والمساواة بين الناس، وتقدير الإسلام للعقل والمادة ولقيمة كل منهما وتحريم الإسلام للخمور والمواد المخدرة».

عمر ميتا عالم اقتصادي من اليابان:

وهو من رجال الاقتصاد وباحث اجتماعي قال في شرحه لأسباب إسلامه: «والرجل العادي يستطيع أن يفهم تعاليم الإسلام لبساطتها وسهولة تطبيقها؛ ولذلك لا نجدها حكراً على طائفة من رجال الدين أو القساوسة كما ترى ذلك في الأديان الأخرى.

وإني لأتوقع أن يكون للإسلام في اليابان شأن عظيم في المستقبل وربما صادفته بعض العقبات والصعوبات إلا أن التغلب عليها غير عسير».

أيها القارىء إن هذه الاستجابة لدين الله من قادة الفكر والعلماء في العالم لتحمل المسلمين مسؤولية أكبر أمام ربهم في وجوب العمل المتواصل على تبليغ دين الله للناس في كل أنحاء الأرض.

الدكتور شوقي نوتاكي وثلاث مئة ياباني:

وهو طبيب ياباني مشهور تعلق بدراسة الإسلام مدة عشر سنوات. دخل الإسلام عام ١٩٧٥ وفي خلال أشهر دخل الإسلام على يديه ٣٠٠ ياباني تقريباً قال: «لقد اكتشفت بعد تركي البوذية عالماً واسعاً فيه سمو للروح، وشعرت لأول مرة بمعنى الحياة وحلاوتها». وهو ينوي إصدار نشرة باللغة اليابانية تشرح أهم جوانب الإسلام وينوي العمل على إيصال هذه النشرة إلى كل عائلة يابانية.

المستقبل للإسلام إن شاء الله :

س : وما هو المستقبل الذي يتوقعه المراقبون لأحوال انتشار الإسلام في الدول الكافرة؟

ج : يقول الخبير الأمريكي في الجامعة الكويتية الأستاذ مارك ماينـي والذي أعلن إسلامه عام ١٩٧٣ وأصبح اسمه : مصعب عبدالله : «ليس إسلام الأمريكان أمراً نستغربه، والذي نستغربه ونستنكره أن لا يدخل النـاس في دين الله أفواجاً».

ويقـول المطلعـون علـى أحـوال المســلمين في أمـريكا : إن عدد الأمريكان الذين يدخلون في الإسلام كل يوم بنسبة ١٧ شخصاً كل يوم.

ويقول بعض الدارسين والمراقبين : إن الدين العالمي عام ٢٠٠٠ م. سيكون هو الإسلام.

الخلاصة

* إن التقدم في العلوم في شتى مجالات الحياة يثبت الإيمان ويدعمه ويقويه بما يكشف من عظيم الحكمة والصنع والتدبير والتقدير، وبما يوضح من سبق القرآن بعلومه كل العلوم البشرية، وقد حثنا القرآن على الاستزادة من علوم الكون.

* إن رواد العلوم الحديثة يقرون أنهم كلما ازداد علمهـم واتسعـت آفاقه ازداد إيمانهم بالله وقوي يقينهم.

* إيمان هؤلاء الرواد قريب جداً من إيمان المسلم الموحد وبعيد عن إيمان قومهم المشركين، ولقد أسلم منهم من وصلته دعوة الإسلام.

الفصل العاشر

القرآن يسبق العلوم الحديثة

معجزة متجددة:

س: هل جاء التقدم في ميادين العلم مؤيداً لما جاء في القرآن؟

ج: نعم. إن القرآن أثناء حديثه عما في الكون من آيات أو أثناء توجيهه وهديه، تعرض إلى حقائق لم يكن يعلمها إلا الله وحده؛ ولما شاء الله أن يتقدم العلم البشري إذا بهذه العلوم الحديثة تكشف عن صدق ما جاء في القرآن من علوم وحقائق جهلها البشر قروناً طويلة، وذكرها الله في كتابه. فكان هذا وجهاً جديداً من أوجه إعجاز القرآن لم يظهر إلا في زمن التقدم في علوم الآفاق الكونية.

س: وهل أشار القرآن إلى هذه المعجزة الجديدة؟

ج: نعم، قال تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **(فصلت: ٥٣)**

وقال عليه الصلاة والسلام في وصف القرآن: «ولا تنقضي عجائبه».

من علم الفلك:

س: ما هي أمثلة ذلك؟

ج: هناك أمثلة كثيرة نذكر منها بعض أمثلة في مجالات علم الفلك:

١ ـ كشف التقدم العلمي في علمي الفلك والجيولوجيا أن الأرض كانت جزءاً مما في السماء من شمس أو نجوم، والاختلاف بين العلماء في

تحديد أصلها: هل من الشمس أم من نجم؟ وإذا سألنا عن أصل الشمس والنجم وجدنا أصلاً واحداً يسمونه (السديم) انفصلت منه النجوم والكواكب والشمس كما انفصلت الأرض. وهذا أمر صعب التصور على الإنسان، فمن العسير أن يصدق أن هذه الجبال والوديان والأمطار كانت جزءاً من السماء، لكن هذه هي الحقيقة التي أجمع عليها علماء الفلك والجيولوجيا وأخبرنا بها القرآن.

وهناك حقيقة أخرى عرفها علماء الحياة والكيمياء هي: أنه لا حياة بدون ماء، مع أنه قد توجد حياة بدون هواء كحياة بعض البكتريا، كما وجدوا أن الماء هو المادة الوحيدة التي لها من الصفات الطبيعية والكيماوية ما يجعلها وسطاً صالحاً لاستمرار الحياة.

كما وجدوا أنه إذا سلب الماء من أي كائن حي مات، وليست هذه الحقيقة مختصة ببعض الكائنات بل تشمل كل كائنات الحياة. ولقد ذكر القرآن الحقيقة الثابتة في علم الفلك، والحقيقة الثابتة في علم الحياة في آية واحدة. قال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ **(الأنبياء: ٣٠)**

ومن العجيب أن النداء موجه للذين كفروا، ولقد جاء هذا العلم من لديهم والله أعلم.

٢ - وكشف التقدم العلمي أن انفصال النجوم والكواكب لم يكن انفصالاً فيه خبط أو خلل، إنما كان انفصالاً محكماً منظماً موزوناً مقدوراً بحيث وضع كل نجم وكوكب في مكانه الصحيح، بوزنه الصحيح، وسرعته الصحيحة، فقام اتزان بين الجميع محكم دقيق، وبواسطة الميزان الدقيق لما في السماء من نجوم وكواكب استقر النظام وامتنع الصدام وعرف علماء

الفلك موقع (نبتون) قبل أن يشاهدوه، وذلك من حساب بهذا الميزان. ولقد ذكر القرآن ذلك الميزان في الماء قبل علماء الفلك بثلاثة عشر قرناً من الزمان.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧)

فإذا عرفت - والله أعلم - أن التقدم العلمي في ميدان الفلك والجيولوجيا قد كشف عن معجزات في كتاب الله كانت مجهولة، فاعلم أن القرآن نفسه يحضنا على التفكر في هذه العلوم ويأخذ بأفكارنا إلى أبوابها. قال تعالى:

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١)

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ﴾ (العنكبوت: ١٩، ٢٠)

٣ - وقد كشف التقدم العلمي أن الكون في تمدد مستمر وذلك باستمرار تباعد المجرات عنا كما كشف أيضاً أن مدناً نجومية لا تزال تتكون من سدم في السماء... ألا نفهم بهذا معنى قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (الذاريات: ٤٧)

والله أعلم.

٤ - وكشف التقدم العلمي أن للنجوم مواقع قاصية جداً وليست كما تشاهد العين قريبة من رؤوس الجبال. بل تبعد عنا مسافات لا تحسب بالأميال وإنما تحسب بالسنين الضوئية[1] فمنها ما يبعد عنا مسافة أربع

(١) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة.

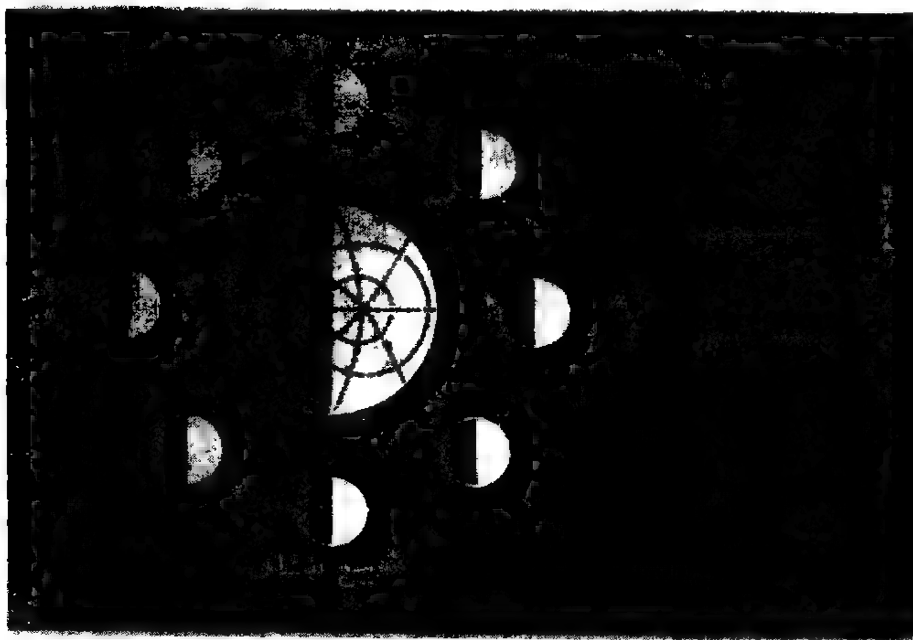
سنوات ضوئية وهو أقربها . ومن النجوم ما يبعد عنا مسافة خمسين سنة ضوئية ، ومنها ما يبعد عنا مسافة مائة سنة ضوئية ، ومنها ما يبعد عنا مسافة ألف سنة ضوئية ، وسبعين ألف سنة ضوئية ، ومليون سنة ضوئية ، ومائتين وأربعين مليون سنة ضوئية وستة بلايين سنة ضوئية . أليست هذه الحقائق جزءاً من العلم لقوله تعالى :

﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

(الواقعة : ٧٥، ٧٦)

٥ ـ وكشف التقدم العلمي أن الشمس تجري وقد كان يظن بعض الناس قبل سبعين عاماً أنها ثابتة ، وللشمس حركتان :

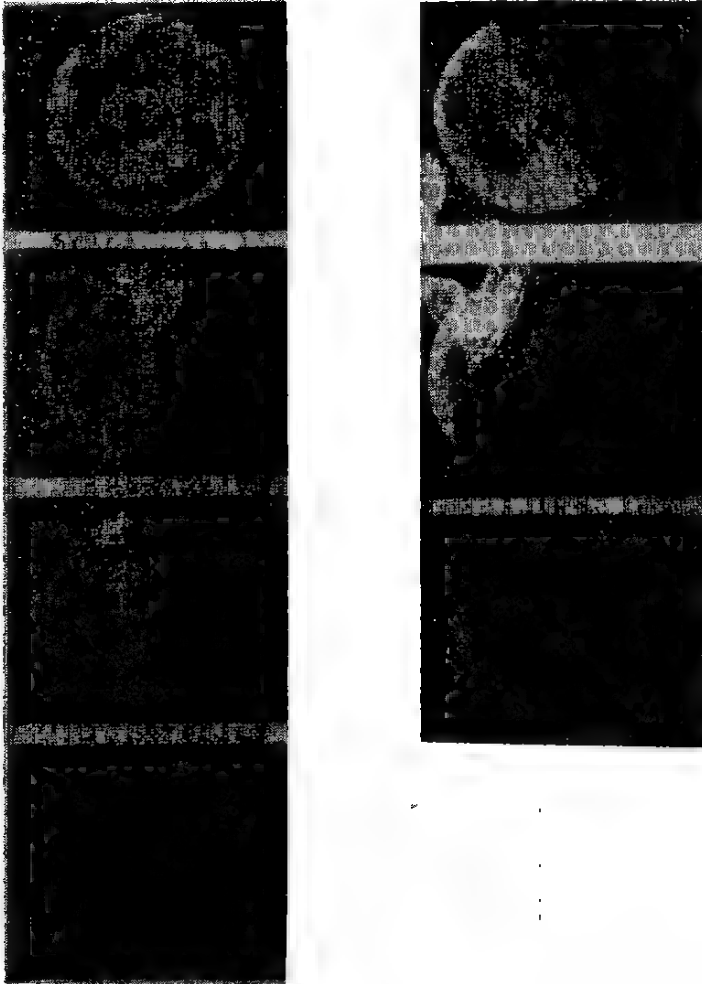
أ ـ حركة مغزلية حول نفسها.



فالشمس بذلك تجري وهي ثابتة في مكانها.

ب ـ حركة مع المجرة حول نفسها كما تدور الرحى (المطحن) حول نفسها.

فإذا الشمس تجري لمستقر لها كما تدور المطحن مع المطحن، وهي مستمرة في نفس الوقت.



وكشف التقدم العلمي أن سبب رؤيتنا للقمر هلالاً ثم بدراً هو تنقل القمر في

منازل مختلفة بالنسبة لنا على الأرض؛ وذكر القرآن هاتين الحقيقتين في قوله تعالى:

﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ
قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ
وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (يس: ٣٨، ٤٠)

من علم النبات:

٦ ـ وكشف التقدم العلمي أن أصل أجرام السماء من النجوم والكواكب مادة دخانية يسمونها سديماً، ولا تزال النجوم تتكون إلى يومنا هذا من هذه المادة الدخانية.

ويتكون هذا السديم من غازات خفيفة تتعلّق بها حبيبات صغيرة من مادة صلبة وهو معتم، وهذا الوصف هو وصف الدخان، لأن الدخان مكون من غازات خفيفة يتعلق بها حبيبات صغيرة وهو معتم.



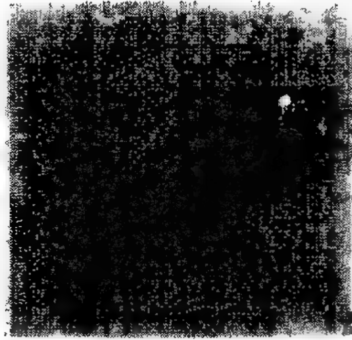
فمن كان يتصور أن أصل السماء دخان؟ ولكن القرآن ذكر هذه الحقيقة منذ قرون. قال تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت: ١١)

من علم الجيولوجيا:

س: وهل هناك مثال من علم تركيب الأرض (الجيولوجيا)؟

ج: إن الذي أنزل القرآن هو الذي يعلم السر في السموات والأرض. فإذا كنا قد ضربنا أمثلة من أسرار السماء التي سبق بها القرآن فنضرب مثلاً لبعض أسرار الأرض. فقد تأكد الباحثون عام ١٩٥٦ م، أن تحت كل جبل عرق لهذا الجبل وامتداد له قد غرس في الطبقة العجينية أو اللزجة التي تحت طبقة الصخور وقد جعل الله هذا الامتداد تحت كل جبل ماسكاً للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض فهذه الأوتاد المغروسة في الطبقة اللزجة التي تحت القارات تثبت القارات كما يثبت الوتد الخيمة إذا غرس بين التراب..



ولكن هذا السر الذي لم يتأكد منه الباحثون إلا عام ١٩٥٦ كما ذكر ذلك الدكتور فاروق الباز المختص في علم الجيولوجيا والفضاء ومدير معهد «سميس سونيان» لعلوم الأرض والفضاء؛ إن هذا السر قد ذكره القرآن قبل ألف وأربع مئة عام فقال تعالى: ﴿ **والجبال أوتادا** ﴾ أي جعلها أوتاداً في هذه الأرض وقال تعالى:

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾
(النازعات: ٣٠، ٣٢)

﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ (النحل: ١٥)

أي: لقد جعل الله هذه الجبال مثبتة للأرض حتى لا تضطرب تحت أقدامكم وتتزلزل. فمن أخبر محمداً النبي الأمي بهذا السر الغائب تحت القارات والذي لم يعرفه الإنسان إلا في هذا الزمان؟

لا شك في أن القرآن وحي من عند الذي يعلم السر في السموات والأرض:

من علم النبات:

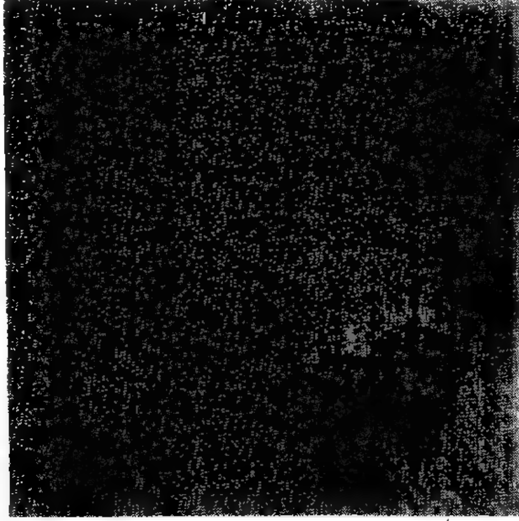
١ ـ وكشف التقدم العلمي أن في النبات تزاوجاً وأزواجاً كما هو الحال في الحيوانات، وأن الزهرة هي مكان ظهور هذه الزوجية فيوجد فيها السداة التي يكون الله منها حبوب اللقاح (الذكرية) والتي تنتقل بواسطة الرياح أو غيرها لتعلق في المتاع وتنزل إلى عنقه حتى تصل إلى البويضة حيث يتم الزواج.

ولم يكن أحد يعلم من قبل عن وجود هذا التزاوج في النبات أو أن هناك ذكراً أو أنثى، حتى إذا تقدم علم النبات كشف عن أن الزوجية ليست في نبات واحد، بل هي حقيقة في جميع النباتات: أليس ذلك هو ما قاله القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، قال تعالى:

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (يس: ٣٦)

٢ ـ وكشف التقدم العلمي أن أصل المواد التي تتكون منها جميع النباتات واحد، أهمها: الأكسجين، والأيدروجين، والكربون، النيتروجين، وقليل من

الكبريت، ولكن مع ذلك فهي مختلفة في الأشكال والأحجام، والألـوان والثمار والرائحة والطعم وسبب ذلك اختلاف أوزانها.



فالـوزن أساس التركيبات المختلفة في جميع النباتات، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة فقال تعالى:

﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾ (الحجر: ١٩)

الخلاصة

* من أوجه إعجاز القرآن الجديدة أنه اشتمل على حقائق جهلها البشر قروناً طويلة وكشف عنها أخيراً التقدم العلمي في شتى المجالات.

* فكشف التقـدم في علـم الفلك أن الأرض كانـت متصلـة بمـا في السماء، وكشف علم الحياة أن الماء أصل كل حياة، كما كشف علم الفلك أن في السماء ميزاناً محكماً يربـط النجـوم البعيدة كمـا كشف عن جريان الشمس، ومنازل القمر التي تجعـل القمـر يبـدو هلالاً ثم يكون بدراً كمـا كشـف العلم أن أصل أجرام السماء دخـان، وأن الجبـال أوتـاد لإرسـاء

الأرض وكل ذلك قد أخبرنا به القرآن من قبل .

* وكشف التقدم في علم النبات أن النباتات ذكورة وأنوثة ، وأن أصل المواد النباتية واحد ولكنها تختلف في الموازين ، وذلك قد أخبرنا به القرآن .

* كل ما سبق يشهد أن هذا القرآن من قول الحكيم العليم الخالق المحيط علماً بكل شيء ، وأن محمداً ﷺ الأمي رسول من عند ربه يبلّغ ما أوحي إليه .

الفصل الحادي عشر

من بينات الرسالة: البشارة

س : ما هي البشارات؟

ج : البشارات هي تلك البشائر التي حملها رسل الله السابقون لمحمد ﷺ ، والتي تبشر بمجيء محمد ﷺ وتتحدث عن صفاته وصفات زمانه وبلاده.

س : وهل لا تزال البشارات موجودة في كتب الرسل السابقين؟

ج : إن الكتب السابقة التي أنزلها الله قد حُرِّفت وبدِّلت ولا يوجد أصلها الصحيح، ومع ذلك فقد كتب الأتباع فيما يسمونه الآن كتباً مقدسة، كالتوراة والإنجيل، كتبوا فيها بعض المعاني التي سمعوها من الرسل أو ممن سمع الرسل مع تخليط وتحريف، ومما لا يزال موجوداً في هذه الكتب من آثار الرسالات السابقة بعض بشارات تعتبر دليلاً للمؤمنين بهذه الكتب ولغيرهم بأن محمداً ﷺ رسول الله قد بشر بمجيئه الأنبياء السابقون. قال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ﴾ **(الأنعام : ٢٠)**

١ ـ من أسفار التوراة:

أ ـ وصف الرسول الذي سيأتي في سفر التثنية بالآتي:

* (وجعل كلام الرب في فمه). وقد كان القرآن على لسان محمد ﷺ .

ب ـ ووصف في سفر أشعيا بالآتي:

* (إن البرية ترفع صوتها بذكره وهي الديار التي يسكنها قيدار) وهو

أحد أجداد النبي ﷺ ، في سلسلة النسب الذي بينه وبين إسماعيل عليهما السلام وهي بلاد العرب كما تحكي ذلك التوراة نفسها في سفر التكوين.

* ووصف في سفر أشعيا (إن علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام) وقد روى مسلم في صحيحه حديثاً يخبر عن هذه العلامة.

* كما وصف بأنه (راكب الجمل) وفي هذا إشارة إلى أنه من الصحراء وهكذا كان محمد ﷺ .

* ووصف أتباعه في نفس السفر بأنهم (هرب أعداؤهم أمام سيوفهم وقسيهم وشدة حربهم) ومعلوم أنه لم يأت نبي بهذه الصفات في زمن القسي والسيوف يحارب ويجاهد أعداءه إلا محمداً ﷺ .

ج - ووصف في المزامير بأنه:

* «ملوك اليمن تأتيه بالقرابين» وقد انتهى ملوك اليمن ولم يظهر نبي دان له ملوك اليمن إلا محمداً ﷺ .

* «وأنه يبارك عليه في كل يوم» وهكذا أمر محمد ﷺ ، فالمسلمون يباركون عليه كل يوم عدة مرات في صلاتهم.

* «وأنه متقلد سيفاً» ولم يظهر نبي متقلد سيفاً بعد موسى إلا محمداً ﷺ : وبالرغم من تحريف اليهود للتوراة واستمرار التغيير فيها إلا أنه لا يزال موجوداً فيها أمثال العلامات السابقة.

ولقد كان اليهود قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ ينتظرون ظهوره كما هو حال رهبان النصارى، وكان اليهود يعتقدون أنه سيكون يهودياً، وكانوا يتهددون أهل المدينة عند أي خلاف بالنبي القادم فيقولون للمشركين: قد آن زمان نبي يظهر نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

وأنزل قرآن يحاجّ اليهود بما كانوا يبشرون ويخبرون بمجيء نبي جديد.

قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ **(البقرة: ٨٩، ٩٠)**

ولقد كان لتبشير اليهود بقدوم محمد ﷺ الأثر الكبير في إسلام أهل المدينة قبل أهل مكة؛ ولقد كان ما قاله أول وفد أسلم من المدينة عندما شاهدوا محمداً ﷺ -: «إنه والله للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا يسبقنكم إليه».

٢ - من الأناجيل:

س: هل هناك إنجيل واحد أم أناجيل؟

ج: الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام إنجيل واحد هو: إنجيل عيسى وليس له وجود لدى النصارى، بل لديهم أناجيل أربعة معتمدة هي: إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، وإنجيل مرقس، وإنجيل متّى.

وهذه الأناجيل تشبه السِّيَر. كتبها لوقا، ويوحنا، ومرقس، ومتى. وهي مختصرة من سبعين إنجيلاً ألغيت جميعاً. وأحرقت في أحد المؤتمرات النصرانية زمن الإمبراطور قسطنطين، قبل البعثة النبوية، وقد ظهر من الأناجيل التي أحرقت إنجيل برنابا وفيه موافقة كبيرة لما جاء في القرآن من بيان وهدى.

س: وما هي البشارات الموجودة في هذه الأناجيل؟

ج : أخبر إنجيل متَّى بأن الهداية الآلهية تنزع من بني إسرائيل وتعطى لأمة أخرى، ومعلوم أن سيدنا عيسى رسول من بني إسرائيل. قال إنجيل متَّى على لسان يسوع[1] المسيح : (لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) ولقد نزعت الهداية من بني إسرائيل وأعطيت لأمة محمد ﷺ .

أخبر إنجيل يوحنا بمقدم الرسول الذي يتم رسالة يسوع :

(إن لي أموراً كثيرة. أيضاً لا أقول لكم لا تستطيعون الآن أن تحتملوا وأما متى جاء ذاك - روح الحق - فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كان ما يسمع يتكلم ويخبركم بأمور آتية) وقد انطبق هذا على سيدنا محمد؛ فهو يتمم الرسالات السابقة، وهو المتكلم بكلام الله : القرآن، وهو الذي أخبر الناس بما سيكون في المستقبل من أحداث؛ كان مرور الأيام مصدقاً لقوله.

كما أخبر إنجيل يوحنا بأنه ستحول القبلة من بيت المقدس ولا يكون ذلك إلا على يد رسول من الله، ولم تحول القبلة إلا على يد محمد ﷺ . فيذكر إنجيل يوحنا حواراً دار بين امرأة سامرية وبين عيسى عليه السلام يتبين منه أنه ستحول القبلة وقد عبر قسيس[2] هداه الله إلى الإسلام عن هذه الحقيقة في كتابه : محمد ﷺ في التوراة، والإنجيل والقرآن في ص ١٠٥ بقوله :

«يا أهل الكتاب كفاكم دوراناً حول هذا الجبل، واتجهوا إلى الصراط المستقيم، أما جاءت تلك المرأة السامرية وأخذت تحاور المسيح ابن مريم حتى قالت له : (آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في

(١) تسمي الأناجيل المبدلة عيسى عليه السلام : (يسوع).

(١) قسيس مصري اهتدى وأصبح اسمه : إبراهيم خليل أحمد.

أورشليم[1] الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة: صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لله.. الله روح والذين يسجدون له، فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا) يوحنا ٤: ٢٠ - ٢٤) ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿**ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله**﴾ وصدق الله العظيم القائل:

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ **(البقرة: ١٤٤)**

وإنجيل برنابا الذي يقول عنه القس الدكتور «تشارلس فرنسيس بوتو» في كتابه «السنون المفقودة من عيسى تكشف»: «إن إنجيلاً يُدعى إنجيل برنابا استبعدته الكنيسة في عهدها الأول والمخطوطات التي اكتشفت حديثاً في منطقة البحر الميت جاءت مؤيدة لهذا الإنجيل».

جاء في إنجيل برنابا على لسان عيسى عليه السلام ما يأتي:

(فلما كان الناس قد دعوني الله، وابن الله، على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة، وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله). (إنجيل برنابا: الباب ٢٢٠).

وأما مخطوطات البحر الميت التي يقول عنها القس «أ. باول ديفز» رئيس كنيسة كل القديسين في واشنطن في كتابه «مخطوطات البحر الميت» في الصحيفة الأولى: «إن مخطوطات البحر الميت ـ وهي من أعظم الاكتشافات منذ قرون عديدة ـ قد تغير الفهم التقليدي للإنجيل».

---

(١) بيت المقدس.

وجاء في مخطوطات البحر الميت ما يلي :

(إن عيسى كان مسيا المسيحين وأن هناك مسياً آخر) .

وكلمة مسيا أرامية وتعني : رسول .

من زبر الأولين :

س : وهل جاءت بشارات أخرى في غير التوراة والإنجيل؟

ج : نعم ، البشارات بمحمد ﷺ في كتب السابقين وتوجد في بعض الكتب التي تقدسها الديانات الأخرى ، إشارات بمقدمه عليه الصلاة والسلام ولكن كهنة السوء يحرفون الكلام عن مواضعه ، ويختلقون له تأويلات فاسدة .

س : وما هو مثال البشارات الموجودة في غير التوراة والإنجيل؟

ج : مثال ذلك ما جاء في أحد الكتب المقدسة لدى البراهمة وهو كتاب «الساما فيدا» ، فقد جاء في الفقرة السادسة والثامنة من الجزء الثاني ما نصه :

* «أحمد تلقى الشريعة من ربه ، وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست من النور كما يقبس من الشمس» .

* وجاء في أحد كتب المجوس المقدسة وهو كتاب «ندا أفستا» بشارة عن رسول يوصف بأنه «رحمة للعالمين» «سوشيانت» ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة : أبا لهب ويدعو إلى إلّه واحد لم يكن له كفواً أحد (هيج جيزباو نمار) . وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا فريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا ولد ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة : (جز أخاز وانجام وابناز ودشمن والمنند ويار ويدر ومادر وزن وفرزند وحاى سوى ومن آسيا وتنافى ورنك وبواست) . . وأغلب هذه الأوصاف هي الصفات الإلّهية التي دعا إليها محمد ﷺ وهذا الكلام لا ينطبق إلا عليه .

وأما الكتب الزرادشتية ففيها بشارات كثيرة هذا نص ما ترجمه الأستاذ عبد الحق صاحب كتاب «محمد في الأسفار العالمية» :

* «إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة إبراهيم التي تطهرت من الأصنام، ويومئذٍ يصبحون وهم أتباع لنبي رحمة للعالمين، وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم وإن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات» ص ٤٧.

* وجاء في كتاب: أدروا فيدم (ادهرو ويدم) ـ وهو كتاب مقدس عند الهندوس وصف للرسول الذي سيأتي وذكره باسمه:

«أيها الناس اسمعوا وعوا يبعث المحمد[١] بين أظهر الناس... وعظمته تحمد حتى في الجنة ويجعلها خاضعة له وهو المحامد»[٢].

(الجزء: ٢٠ ـ فصل ١٢٧ ـ فقرة ٧٠ عبارات ١ ـ ٣).

* وجاء في كتاب هندوسي من كتبهم المقدسة هو: بفوشيا برانم (بهوشي برانم) «في ذلك الحين يبعث أجنبي مع أصحابه باسم (محامد)[٣] الملقب بأستاذ العالم[٢] والملك يطهره بالخمس المطهرة...»[٤].[٥]

(الجزء: ٢ ـ فصل ٣ ـ عبارات ٣ وما بعدها).

* وجاء في نفس الكتاب السابق: بفوشيا برانم، وصف لأصحاب محمد ـ ﷺ ـ:

«هم الذين يختتنون، ولا يربون القزع، ويربون اللحى، وهم مجاهدون وينادون الناس للدعاء[٦] بصوت عال، ويأكلون أكثر الحيوانات

---

(١) المحمد: أي محمد.

(٢) المحامد: أي محمد.

(٣) محامد: أي محمد.

(٤) أستاذ العالم: أي رسول للعالمين.

(٥) الخمس المطهرة: الصلوات الخمس التي تطهر المسلم من ذنوبه.

(٦) ينادون للدعاء: أي ينادون للصلاة لأن الصلاة دعاء.

إلا الخنزير، ولا يستعملون الدرباء[1] للتطهير بل الشهداء هم المتطهرون، ويسمون «بمسلي»[2] بسبب أنهم يقاتلون من يلبس الحق بالباطل، ودينهم هذا يخرج مني وأنا الخالق».

(الجزء: ٣ ـ فصل: ٣ عبارات ٢٧ ـ ٢٨).

ولقد سن المسلمون بهم سنة أهل الكتاب عند فتح بلادهم وربما يرجع إسلام الكثير من الفرس والهنود إلى:

* حمل الرسل السابقون لمحمد ﷺ بشارات تخبر بمقدمه ﷺ أتت بصفاته وصفات زمانه وبلاده وأتباعه.

* رغم تحريف الكتب السابقة فقد بقي فيها آثار تدل على ذلك كما جاء في أسفار اليهود وأناجيل النصارى وكتب البراهمة والمجوس الزرادشتيين.

ولقد أسلم الكثير من هذه الأمم بسهولة ويسر.

الخلاصة

* لقد بشر الرسل السابقون والكتب الإلّهية السابقة بمقدم محمد ﷺ وبعثته وبينت ما يتعلق به.

* رغم أن هذه الكتب قد حرفت فلا يزال فيها قبس من النور يدل على صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ كما هو مبين في أسفار التوراة والأناجيل وخاصة إنجيل (برنابا) ومخطوطات البحر الميت وبعض الكتب المقدسة لدى الهنود والفرس الذين عاملهم المسلمون معاملة أهل الكتاب.

لقد أعانت هذه البشارات على إسلام الكثير من أهل هذه الكتب.

---

(١) الدرباء: نبات يحرج به الهنود الدم من جسم الإنسان ويعدّون هذا العمل تطهيراً من الخطايا.

(٢) «مسلي»: أي يسمون بالمسلمين دخل عليها شيء من التحريف البسيط.

الفصل الثاني عشر
التّأييد الإلهي

معنى التأييد :

س : هل في تأييد الله لرسله شهادة بأنهم حقاً مرسلون من عنده؟

ج : نعم . فمثلاً : إن الحكومة إذا أرسلت مندوباً عنها إلى منطقة من المناطق يحمل أوامرها ، ثم اعترضته بعض العقبات فاتصل بالحكومة لطلب العون فجاءته النجدة الحكومية والقوة المساندة . . . ألا يثبت ذلك أنه حقاً مرسل من طرف الحكومة . . ؟! . . . إن أي عاقل لا يشك في ذلك .

س : وما هو التأييد الذي أيد الله به رسوله ﷺ ؟

ج : تأييد الله لرسوله ﷺ كثير جداً ، نذكر منه بعض الأمثلة :

آيات في الهجرة

عزم كفار قريش على قتل رسول الله ﷺ بعد أن رأوا عدم جدوى حبسه أو نفيه فأرسلوا له شاباً من كل بطن من بطون قريش أحاطوا بمنزله ليقتلوه . قال تعالى :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (1) ﴾ **(الأنفال : ٣٠)**

فأطلع الله نبيه وأذن له بالهجرة من مكة إلى المدينة ، فعزم الرسول ﷺ على الخروج من مكة وهو يردد قول ربه :

---

(١) مكر الله : تدبير الله .

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ (الإسراء : ٨٠)

فنصره الله أولاً على أعدائه ـ فتيان قريش ـ الذين أحاطوا بمنزله يمنعونه من الفرار طوال الليل فأغشى الله أبصارهم . قال تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس : ٩)

وتوجه الرسول ﷺ ، وصاحبه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إلى غار ثور ليختبىء من مطاردة المطاردين ، وانطلق مشركو مكة في آثار المهاجرين يرصدون الطريق ، ويفتشون كل مهرب ، حتى وقف المطاردون على باب الغار الذي يختبىء فيه الرسول ﷺ وصاحبه ، فأخذ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الخوف وهمس يحدث رسول الله ﷺ «لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا» فأجابه الرسول ﷺ الواثق من ربه ونصره قائلاً : «يا أبا بكر ما ظنك باثنين ؛ الله ثالثهما» ؟

وأنزل الله جنوداً(١) صرفت الكفار من فم الغار وردتهم خائبين وما بينهم وبين رسول الله ﷺ إلا خطوات وفي ذلك نزل قوله تعالى :

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ

---

(١) ذكر أن هذه الجنود حمامتان وحشيتان باضا بفم الغار وشجرة نبتت وعنكبوت نسج خيوطه على باب الغار فقال الكفار لما وقفوا على باب الغار : لو دخل هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه .

كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
(التوبة : ٤٠)

واستأنف الرسول ﷺ رحلته وصاحبه إلى المدينة، ولكن سراقة بن مالك أحد فرسان قريش لحق بهما، ولما قرب منهما هوت به فرسه من فوقها مرتين وهو الفارس المدرب، فوقع في نفسه أنه يطارد نبياً، فقام معفراً ينادي بالأمان واعتذر إلى الرسول ﷺ وعرض عليهما الزاد والمتاع؛ فقالا: «لا حاجة لنا، ولكن عم عنا الطلب».

وهكذا أصبح سراقة أول النهار جاهداً عليهما، وأمسى آخره حارساً لهما. أليس ذلك من تأييد الله ونصره؛ الذي سجله القرآن والسنة الصحيحة في وقته وحفظه الله لنا حتى اليوم عبرة وآية؟!

آيات في غزوة بدر:

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾
(آل عمران : ١٢٣)

خرج المسلمون على سبعين بعيراً، وكان عددهم قريباً من ثلثمائة، ليأخذوا قافلة لقريش، فاستنجدت القافلة بقريش، فأخرجت قريش أفلاذ أكبادها فيما بين التسعمائة والألف في مائتي فارس، وأخذ الرسول ﷺ المشورة من أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ في قتال الجيش القادم، ففوضوا الأمر إلى رسول الله ﷺ إلا أن جماعة كرهت الحرب لأنها لم تستعد لها ولأن العدو يتفوق عليهم كثيراً بكثرة العدد والعدة، ورأوا أن الحرب ليست إلا موتاً محققاً. وفيهم نزل قوله تعالى:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾
(الأنفال : ٥، ٦)

ولكن الرسول ﷺ عزم على الحرب، وقال لأصحابه: «سيروا وابشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم...» وفي ذلك نزل قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾

(الأنفال: ٧)

وبدأت بشائر التأييد الإلهي تنزل على المسلمين: نعاس فيه أمن، ومطر يرطب الجو من حولهم ويجعل الرمل الدهس يتماسك تحت أقدامهم فلا تغور فيه فيتبعهم السير إلى العدو، وتبديل ذلك الخوف ثقة وثباتاً وقوة كل ذلك نزل على جند المسلمين في ليلة المعركة، وسجله الله تعالى في كتابه:

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾

(الأنفال: ١١)

* ألا ترى أن في إنزال النعاس يغشي الخائفين الذين يظنون أنهم يساقون إلى الموت غداً، ألا ترى أن ذلك عملاً إلهياً؟

* ألا ترى أن إبدال الخوف أمناً تأييد إلهي؟

* ألا ترى أن في نزول المطر ليثبت به الأقدام ويطهر الأبدان؛ نصراً إلهياً؟ تلك هي أول بشائر النصر وتأييد الله.

ويأتي النصر الثاني، أو التدبير الإلهي في المرحلة التالية، مرحلة التقاء الفريقين؛ ذلك هو؛ تقليل الكافرين في أعين المؤمنين، وتقليل المؤمنين في أعين الكافرين، ليتم اللقاء وتكون المعركة التي هيأ الله أسبابها.

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾

(الأنفال: ٤٤)

قال عبدالله بن مسعود: وقد رأينا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم رأينا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلاً واحداً وذلك قوله تعالى:

﴿ وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ﴾.

ومن نصر الله تكثير المسلمين في نظر المشركين أثناء المعركة، كما فسر بعض العلماء ذلك في قوله تعالى:

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ **(آل عمران: ١٣)**

ولكن الرسول ﷺ لا ينسى أن يستغيث بربه ويلح في الدعاء قائلاً: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها في الأرض».

«اللهم، انجز لي ما وعدتني، اللهم نصرك» وخفق النبي عليه الصلاة والسلام خفقة.. ثم انتبه فقال: «أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقود الملائكة على ثنايا النقع» وامتن الله بنصره هذا على المؤمنين في وقته وسجله في كتابه:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ **(الأنفال: ٩، ١٠)**

واشترك الملائكة في تسديد ضربات المسلمين إلى رقاب الكفار وفوق

بنانهم . وسجل القرآن ذلك :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

(الأنفال : ١٢ ، ١٤)

ولم تلبث قريش أن ولت هاربة من المعركة ، تاركة وراءها سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً من صناديد قريش ورؤوس الكفر بمكة ، واستشهد من المسلمين أربعة عشر شهيداً .

آية غزوة الأحزاب :

س : وهل هناك مثال آخر؟

ج : نعم . . . ، الأمثلة كثيرة منها : الرياح وجنود الله التي أرسلها الله على الأحزاب ، وسجلها الله في كتابه في سورة سميت باسم : الأحزاب ، فقد أخذ اليهود يجمعون كل أعداء الإسلام لينقضُّوا عليه مرة واحدة ، ونجح اليهود في جمع الأحزاب الذين ملأوا السهل والجبل ، وما عاق هجومهم بخيولهم إلا خندق حفره المسلمون لهذا الغرض . قال تعالى في وصف جيوش الأحزاب ، وما أصاب المسلمين من خوف وهلع منهم :

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾

(الأحزاب : ١٠ ، ١١)

أما المنافقون فقد أخرج الله ما في صدورهم فأخذوا يتندرون

بأحاديث الفتح التي كان يخبرهم بها رسول الله ﷺ وظنوها أماني المغرورين.

فقد كان عليه الصلاة والسلام يقول: «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة! وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله إلي مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله» ولكن المنافقين كانوا من هذا يسخرون، ويحاولون الفرار إلى منازلهم وسجل الله ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾

(الأحزاب: ١٢، ١٣)

ولكن الله صدق وعده وأرسل جنده لهزيمة الكفار، ونصر المؤمنين المحاط بهم من كل مكان. ولنترك حذيفة بن اليمان الذي أرسله ﷺ ليشاهد ما سيكون في القوم ليلة نزول جند الله.

قال حذيفة: «فذهبت؛ فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء؛ فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش: لينظر امرؤ من جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جانبي، فقلت من أنت قال: فلان ابن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع «الخيل» والخف وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون[١]. ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا

(١) وذلك لأنه أحس بقوى لا ترى تعبث بقدورهم ونارهم وخيامهم وتعمل على طردهم وتشريدهم.

فإني مرتحل؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم.

وهرعت جموع الأحزاب فارة مطاردة بالليل من الريح وجنود الله، وخرج الرسول ﷺ وأصحابه في الصباح ليروا نعمة الله عليهم حامدين ربهم وشاكرين: «الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شيء بعده».

ونزل قرآن يذكر المسلمين بنعمة الله عليهم، ويسجل هذه الآية في الكتاب الذي أنزله الله وحفظه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٩)

مناقشة

ألا ترى:

* أن خروج الرسول ﷺ من بيته سالماً من بين عشرات الشبان المحيطين ببيته المتربصين به لقتله آية وتأييد من الله لرسوله، شاهدة بأن الله صدق محمداً ﷺ وأيده.

* أن عودة الكفار المطاردين ـ للرسول ـ من فم الغار الذي يختبىء فيه الرسول ﷺ وصاحبه ـ خائبين بعد أن طمس الله على أعينهم ـ نصر من الله لرسوله ﷺ.

* أن رمي الفارس المدرب سراقة بن مالك، المطارد لرسول الله ﷺ تأييد من الله لرسوله، مما جعل سراقة يعود مخفياً للرسول ﷺ ومعمياً على الكفار.

* أن نزول النعاس وتغشيته للمسلمين الخائفين، وتحويله لخوفهم

أمناً، تأييد من الله ونصر وتصديق لرسوله ﷺ .

* أن نزول المطر لتثبيت أقدام المؤمنين وتطهرهم في غزوة بدر نصر من الله .

* أن تقليل الكفار في نظر المسلمين، ثم تكثير المسلمين في نظر الكافرين أثناء المعركة نصر من الله لجنده ورسوله ﷺ .

* أن نزول الملائكة لتسديد ضربات المؤمنين فوق الرقاب والبنان تأييد إلٰهي من الله للقلة المسلمة مما جعلهم يهزمون عدوهم هزيمة نكراء ويقتلون سبعين ويأسرون سبعين من كبار الكفار رغم الفرق الهائل في العدد والعدة .

* أن الرياح وجنود الله لتشتيت جموع الأحزاب وردهم خائبين رغم تكبدهم لمشقات السفر والحصار أسابيع طويلة، نصر من الله وتأييد لرسوله ﷺ وتصديق له أنه مرسل من عنده عز وجل .

القرآن سجل صادق :

س : وكيف يقتنع الذي لا يؤمن بالقرآن بهذه البينات والآيات المصدقة لمحمد ﷺ بأنه رسول من عند الله أيده الله، مع العلم بأن هذه الأحداث لم نشاهدها في هذا الزمان؟

ج : إن تسجيل هذه الأحداث في القرآن يكفي وحده دليلاً .

س : وكيف ذلك؟

ج : لأن القرآن قد حفظ ولم يبدل منه حرف واحد بإجماع المسلمين والكافرين، فما هو موجود في الآية التاسعة في سورة الأحزاب في مصحفك، هو نفس الموجود من الأحرف والكلمات في المصحف الموجود في أية مكتبة، في أمريكا أو في روسيا، أو في الصين أو في الهند أو في

أدغال أفريقيا، وهو نفس ما يذيعه «مذياع» لندن وإسرائيل أو القاهرة أو صنعاء، وكذلك كل آية من كتاب الله.

س: وإذا شك الكافر فقال: إنه لا يصدق ما سجل في القرآن من أخبار وأحداث فما هو الرد عليه؟

ج: لقد كان كفار قريش، وكفار العرب، ويهود المدينة أشد حرصاً على تكذيب محمد بأدنى شيء ليبطلوا نبوته ويظهروا كذبه، فلو أن القرآن قال: إن الرياح وجنود الله هبت على الأحزاب وطردتهم ولم يحدث هذا؟ لقال الكافرون: انظروا إلى محمد كيف كذب، إنه يقول: إن رياحاً طردتنا وجنوداً شردتنا ولم يحدث شيء من ذلك، إنه كذاب وليس برسول، فالله لا يكذب. ولكان المنافقون أشاعوا هذا في صفوف المسلمين فيفتر حماسهم ويتراجعون عن دينهم الذي ظهر كذبه، وبان باطله ولتكاسلوا في أداء الصلوات، وصوم رمضان، وحج البيت وإيتاء الزكاة، وأحجموا عن مقاتلة الناس، لأجل دين يعرفون كذبه.

ولكن شيئاً من هذا لم يحدث، لأن القرآن لم يقل إلا حقاً جعل الكفار يتركون كفرهم وعنادهم ويدخلون في دين الله أفواجاً، وزاد المؤمنين إيماناً فكلما كرروا قراءته ذكروا ما شاهدوا من تأييد الله لرسوله ﷺ ونصره للمؤمنين، وطالما الحادث قد سجل في وقته في كتاب الله وسمعه الكافرون فما كذبوه، وسمعه المؤمنون فازدادوا إيماناً فلا مجال لمن يحترم عقله أن يتشكك فيه، بل إن العاقل في التصديق به كمن شاهده بعينه.

الخلاصة

* الأحداث التي لا يقدر على فعلها إلا الله والتي يحدثها الخالق سبحانه نصراً وتأييداً لرسوله ﷺ هي بينة من بينات الرسول وشهادة له بأنه رسول الله.

* أيد الله رسوله ﷺ في هجرته بطمس أعين المحاصرين وتضليل أعين المطاردين الواقفين أمام غار الرسول، وقذف سراقة الفارس المدرب من فوق فرسه مرتين لأنه يطارد الرسول ﷺ وأنزل الله ماء من السماء مطهراً مثبتاً لأقدام المجاهدين، وأيد الله رسوله ﷺ بتقليل الكفار في عيون المسلمين وتكثير المسلمين أثناء المعركة في عيون المشركين ونزول الملائكة لتطمئن قلوب المؤمنين، وتسديد ضربات سيوفهم فوق رقاب الكافرين وبنانهم.

* أيد الله رسوله ﷺ ونصر جنده في غزوة الأحزاب بإرسال جنود ورياح شتّتت جموع الكافرين، وردتهم على أعقابهم خائبين.

* ما سجله الله في كتابه من أحداث وقعت أثناء نزول القرآن حق لا يرتاب فيه عاقل مسلم أو كافر لأن ما كان ينزل من قرآن كان ينشر بين الناس مسلمين وكفاراً، ولو كان فيه شيء من الباطل لشهره الكفار الحريصون على تكذيب محمد ﷺ ولوجدوا فيه ما يغنيهم عن القتال والمعارك ولكنهم ما لبثوا أن دخلوا في دين الله[1].

---

(١) وصدقوا في إيمانهم.

الفصل الثالث عشر

شُبُهَات بَاطِلَة

الطبيعة والتفاعل الكيماوي والصدفة :

س : وماذا يعتقد كفار اليوم في خالقهم؟

ج : يعتقد الكفار اليوم أن خالقهم هو الوثن الجديد المسمى «طبيعة».

س : وما هي الطبيعة؟

ج : الطبيعة هي هذه المخلوقات بما أودع الله فيها من خصائص وصفات، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأشجار والأحجار والبحار والناس والحيوانات، وغيرها وإذا دققت النظر تبين لك أن الطبيعة هي جملة الأوثان السابقة التي عبدتها الوثنيات الأولى، مضافاً إليها بعض مخلوقات أخرى، فليست الطبيعة إذاً إلا وثناً جديداً جمع الأوثان السابقة.

س : وكيف تم خلقهم بواسطة الطبيعة؟

ج : يقولون إن خلق الإنسان جاء نتيجة لتفاعلات كيماوية بين المواد المختلفة، وإن التفاعلات الكيماوية التي جاء منها الإنسان قد حدثت صدفة (!!) وهكذا خلق كل شيء من الطبيعة وبالتفاعلات الكيماوية والمصادفة!!

س : وما هو الرد عليهم؟

ج : الأدلة متوافرة متضافرة كثيرة على بطلان هذا القول الوثني الجديد منها :

١ ـ إن الطبيعة والمصادفة والتفاعلات الكيماوية لا تملك عقلاً ولا تدبيراً ولا إرادة ولا حكمة ولا علماً. ونحن نجد أن للإنسان عقلاً وتدبيراً

وإرادة وحكمة وعلماً. فكيف وهبت الطبيعة، والتفاعلات الكيماوية والصدفة للإنسان ما لا تملك؟!.. إننا لا نصدق بذلك ونجد أنه لا فرق بين من يؤمن بهذا ومن يؤمن بأن هبل أو اللات قد خلقا الإنسان وأوجداه. قال تعالى:

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ **(الأعراف: ١٩١، ١٩٣)**

٢ ـ إن الطبيعة قد سُخّرت للإنسان فأصبح سيداً على ما في الأرض يبني ويهدم ويتصرف بأجزاء الطبيعة كيفما شاء. والطبيعة لا تقاوم سيطرة الإنسان، ولا تتمرد عليه، ولا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾

(لقمان: ٢٠)

٣ ـ إن التفاعل الكيماوي محدد النتائج، محدد أيضاً في الزمن، فإذا كان التفاعل الكيماوي هو الذي جاء بالإنسان إلى الوجود أو هو أصل الإنسان ـ كما يقول بعض الكفار ـ فمعنى ذلك مسخ الإنسانية.

لأنك إذا عملت خيراً أو شراً فلا تقدير لك ولا عقوبة، لأن ما عملته ليس إلا تفاعلات كيماوية أوجدت ما عملت من خير أو شر.

ولنزداد بينة على بطلان هذه الضلالة نقول: إذا كان الإنسان تفاعلات كيماوية في أصله ووجوده فمعنى ذلك: أنه يتكلم عندما يكون التفاعل الكيماوي قد تم لإحداث ذلك الكلام، ثم يصمت بدون إرادة نتيجة لنهاية

التفاعل، ويقوم بتأثير التفاعل الكيماوي للقيام ويجلس فجأة عند نهاية التفاعل الكيماوي.

والخلاصة: فأعمال الإنسان تبدأ عند بداية التفاعل وتنتهي بانتهائه، وذلك أمر واضح البطلان.

٤ ـ إذا سلمنا جدلاً ـ مع أنه مستحيل ـ أن الصدفة قد خلقت عدداً من الذكور فإنه من أكبر المستحيلات أن نقول إن هذه الصدفة قد خلقت عدداً آخر كافياً من الإناث ليكمل وجود أحدهما وجود الآخر، وهكذا إذا سلمنا أن الصدفة قد خلقت عيناً ـ مع أنه مستحيل ـ فإنه من المستحيلات أن نصدق أن الصدفة قد خلقت العين الثانية المطابقة في كل شيء للعين الأخرى. قال تعالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)

سنة الله في الهداية والإضلال:

س: من الناس من يقول: يقول الله: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ فلماذا يعذبني الله وهو الذي أضلني؟! فما هو الجواب على هذه الشبهة؟

ج: إن التأمل في الآيات القرآنية التي تتحدث عن سنّة الله في الهداية والإضلال مجتمعة يزيل هذه الشبهة ويبين الحق.

فإذا قلنا: الحكومة الفلانية حرة تحبس من تشاء وتكافيء من تشاء، وقلنا أيضاً: الحكومة نفسها لا تحبس إلا من يستحق الحبس، ولا تكافيء إلا من يستحق المكافأة، فهل بين القولين تعارض؟ . . . والجواب: لا، فالقول الأول يدل على أن الحكومة مستقلة وقوية ولا يستطيع أحد التدخل في شؤونها، والقول الثاني يبين أن هذه الحكومة المستقلة القوية عادلة لا تظلم.

فإذا تأملنا في آيات القرآن وجدناها تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

الأول: آيات تبين أن الله مطلق المشيئة لا يقيد مشيئته قيد، وأنه لا سلطان ولا نفوذ لأحد عليه سبحانه، وأنه المالك الأوحد لمخلوقاته، وأنه يفعل ما يشاء.

﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(النحل: ٩٣)

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ **(فاطر: ٨)**

والثاني: آيات تبين أن مشيئة الله - التي لا سلطان لأحد عليها - مشيئة عادلة لا تظلم أحداً. منها قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ **(النساء: ٤٠)**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾

(يونس: ٤٤)

﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ **(الكهف: ٢٩)**

وأن الله لا يهدي إلا من استحق الهدى وطلبه وحرص عليه وأخذ نفسه إلى طريق الهدى. قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ **(محمد: ١٧)**

ولا يضل إلا من يستحق الإظلال وساق نفسه إلى طريق الضلال وأحبه. قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف: ٥)

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ (الأعراف: ٣٠)

وبين الله بعض أوصاف من حقت عليهم الضلالة. قال تعالى:

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾
(الأعراف: ١٤٦)

ويتعجب القرآن ممن يريد من الله هداية لقوم ظالمين كافرين.

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦)

وأما الذين استحقوا الهداية فيقول فيهم تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس: ٩)

فالأمر واضح جلي:

* مشيئة الله حرة مطلقة لا سلطان لأحد عليها فهو سبحانه يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

* وقد شاء الله أن يخلق للإنسان إرادة حرة يسلك بها طريق الهدى أو طريق الضلال.

* وإذا كان الله يفعل ما يشاء فإن مشيئته عادلة لا تهدي إلا من استحق الهدى، ولا تضلّ إلا من استحق الضلال.

العذاب على ما كتب في اللوح المحفوظ:

س: وما هو الرد على من يسأل قائلاً: لماذا يعذبنا الله على أمور قد كتبت علينا ولا مفر لنا منها؟

ج: لو أن الأستاذ الذي أحسن مراقبة تلاميذه، وعرف أحوالهم من الناحية العلمية، وعرف الأسئلة التي ستأتي في الامتحان، ثم أخذ ورقة وكتب فيها أسماء من يعلم أنه سينجح من طلابه ومن يعلم أنه سيفشل في الامتحان. ثم جاء الامتحان فنجح من كان يقدر الأستاذ نجاحه وفشل من كان يقدر الأستاذ فشله. فهل من الصواب أن يأتي الذي فشل في الامتحان فيقول: لقد كتب الأستاذ علي أني سأفشل قبل الامتحان ففشلت بتقدير أستاذي؟

سيقول له الأستاذ: هل جعلت خبرتي الدقيقة بطلابي، ومهارتي في تقدير الأمور عذراً لبلادتك وإهمالك. إن علمي بما سيؤول إليه حالك كان سابقاً وما كان سائقاً لك.

فما كتبته لم يخرج من الورقة لإرغامك على الإجابة التي تجعلك فاشلاً، ولكنك أجبت بمحض إرادتك.

ولله المثل الأعلى، فقد علم بحال عباده، وكتب ما سيكون من أمرهم، والناس في هذه الدنيا يقضون فترة امتحان، ولإحاطة علم الله بخلقه فقد كتب نتيجة هذا الامتحان.

قال تعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)

وليس من الصواب أن يأتي المجرم والمفسد فيعتذر عن إجرامه وفساده بكمال الله وإحاطة علمه بشأن مخلوقاته.

إن علم الله سابق لا سائق .

وكما أن علم الأستاذ السابق بأحوال طلابه لم يجبرهم على إجابة معينة في الامتحان المدرسي ، فكذلك ـ ولله المثل الأعلى ـ فإن علم الله السابق لم يجبر الناس على سلوك معين في امتحان الحياة الدنيا . ولو أجبرنا الله على فعل الخير عندئذٍ لا يبقى معنى للامتحان الذي خلقت هذه الدنيا من أجله ولا معنى بعد ذلك لثواب أو عقاب .

كثرة الفاسدين

س : ما هو الرد على من يقول : إن أكثر من في الأرض كافرون أو منافقون وسأكون معهم وما أصاب هؤلاء الناس جميعاً رضيت به . بل كيف رضي الله أن تعصيه الأغلبية من الناس ولا يطيعه إلا الأقل؟

ج : أولاً : من الخطأ اعتقاد أن للأرض مركزاً رئيسياً هاماً في هذا الملكوت الإلهي المشاهد وغير المشاهد ، ونعرف هذا جيداً عندما نسمع علماء الفلك يقولون : ليست الأرض بأكملها بين النجوم إلا كنقطة في ماء المحيط. وقد جاء في حديث رسول الله ﷺ : «لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقي الكافر فيها شربة ماء» . . . أي لولا هوان الأرض على الله ما أوجد عليها كافراً به . فأي شيء ينقص من ملك الخالق إذا وجد الكافرون على هذه النقطة الصغيرة الحقيرة ، ولو كان كل من عليها كفاراً . ولا شيء يزيد في ملك الله لو كان من على هذه الأرض الصغيرة الحقيرة مؤمنين مسلمين . وإن أردت المزيد فتأمل في الأجيال السابقة من قبلنا . لقد كانت تملأ الأرض ثم خرجت منها . فهل نقص من ملك الله شيء؟! وهذه الملايين من البشر التي تملأ الأرض اليوم ستنتهي وتخرج من الأرض جميعاً فيما يقرب من مائة عام فهل سينقص من ملك الله شيء؟

لقد ولى الأولون وساروا وخرجوا من الأرض وسيلحق بهم الآخرون.
قال تعالى:

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٩)

وما نقص من ملك الله شيء.

إذاً ليس شأن الكثرة أو القلة من الناس في هذه الدنيا ذا معنى أو وزن في زيادة ملك الله أو نقصه، إنما هذه الدنيا ذات معنى أو وزن في زيادة ملك الله أو نقصه، إنما هذه الدنيا ابتلاء وامتحان للطاعة أو المعصية والآخرة دار الجزاء فمن عمل الصالحات في الدنيا نجا، ومن تكبر على الله ورسوله هلك: يستوي في ذلك القليل والكثير. قال تعالى:

﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾

(إبراهيم: ٨)

ولقد أخبرنا الرسول ﷺ بأن بعث النار «٩٩٩» من بين كل ألف. كما أخبرنا عليه الصلاة والسلام: أن الله يخرج من في النار إلى الجنة بعد أن يعذبهم على قدر ذنوبهم، فلا يبقى فيها من كان بقلبه مثقال ذرة من إيمان.

أما هذا المستهزىء بعذاب الله، والذي يعلن رضاه بالنار من الآن فما قوله في جمرة يجلس عليها خمس دقائق الآن هل سيرضى؟ فكيف يعلن رضاه بالخلود في نار:

﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾

(النساء: ٥٦)

والواقع أن الذي دفعه إلى هذا هو عدم تعجيل الله له بالعذاب.

أفبعذابنا يستعجلون

س : وما هو الرد على من يقول : إذا كان ما توعدنا الله به حقاً فلماذا لا ينزله الآن؟! لماذا يترك الكافرين دون عذاب؟! . . لماذا يترك المؤمنين دون ثواب؟!

ج : هذه الشبهة كغيرها من الشبهات ليست جديدة قد قالها كفار الأمس كما يقولها كفار اليوم. وقد أنزل الله فيها بياناً شافياً في كتابه، يرد الله على هؤلاء المستعجلين بالعذاب بقوله :

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر : ٤٥)

أي : إن ذنوب الناس تستوجب عليهم عقاباً أليماً يستأصلهم وأن الله قد جعل مهلة كافية وموعداً للحساب هو آت، ويومئذٍ يأتيهم ما يستعجلونه اليوم. ويقول تعالى :

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (الشعراء : ٢٠٤، ٢٠٩)

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(العنكبوت : ٥٣، ٥٥)

وعجباً لأمر الكفار. . . ! هم اليوم يستكثرون على أنفسهم المهلة

ويستعجلون ربهم بالعذاب ويوم يرون ما يوعدون ينكرون ما أعطوا من مهلة. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (الأحقاف: ٣٥)

ويسألون غداً عن رأيهم في المدة التي كانوا يستكثرونها:

﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(المؤمنون: ١١٢ - ١١٤)

ولو تفكر الإنسان في ما مضى من عمره لشاهد في الدنيا صدق آيات ربه ولكن الكافرين في ضلالهم لا يؤمنون إلا عندما لا يكون معنى للإيمان وفرصة للنجاة بعد أن يقعوا في سوء عملهم وعذاب ربهم. قال تعالى:

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴾ (يونس: ٥١)

الإسلام لكل زمان ومكان

س: وما هو الرد على من يقول: إن الإسلام إنما نزل لزمن قد انقضى، وعهد قد ولّى، ونحن الآن في عصر التقدم والرقي، وهو عصر آخر لا يلائمه الإسلام ولا يناسبه؟

ج: إن أي صانع هو صاحب الحق وحده في بيان الحكمة مما صنع، وهو وحده الذي يبين: لماذا صنع صنعته وكيف تعمل؟ وما الذي يصلحها وما الذي يفسدها، وكيف تصلح إذا حدث خلل أو فساد؟ وهذه الأحكام والإرشادات التي يضعها الصانع لا تزال صالحة ما لم يتغير المصنوع أو يعدل إلى شكل آخر.

والناس جميعاً يسلمون بهذا الحق، ويعترفون بهذه الحقيقة لكل صاحب صنعة ولا يأبى الكافرون التسليم ـ لكل صاحب صنعة ـ إلا للصانع الحكيم خالقهم من العدم.

وهذا السؤال شبهة من شبهاتهم، لأنه يقوم على أساس أن الإنسان قد تغير وتبدل، ولا يصلح له اليوم ما كان يصلح له بالأمس. فهل هذا صحيح؟!

هل الحكمة اليوم من أنفك غير الحكمة من أنف عمر بن الخطاب غير الحكمة من أنف فرعون غير الحكمة من أنف نوح عليه السلام؟!

وهكذا إذا أخذت أي جزء من أجزاء الكيان الإنساني اليوم وجدتها لم تتغير ولم تستبدل عما كانت عليه قبل آلاف السنين.

إذاً

* لم تتغير الخلقة البشرية ولا الفطرة الإنسانية أبداً.

وكما أن الخلقة لم تتغير فما يصلحها بالأمس هو عين ما يصلحها اليوم. فمثلاً: معصية الله، والكذب والخيانة والبطش والظلم والغدر وشهادة الزور وعصيان الوالدين، والكبر والنميمة والاستبداد والدناءة وشرب الخمر والزنا والسرقة، وغيرها من القبائح. كل هذه قبائح مرذولة جاء الإسلام لتطهير الفرد والمجتمع منها، فهل قد أصبحت اليوم من الفضائل؟ وهل المقاييس قد انعكست؟ الجواب: لا.

لم تنعكس وإنما هو تلوث الفطرة البشرية عند بعض من يقول: بأن الموازين قد تغيرت عما كانت عليه قبل:

عدّوا المكارم والعفاف تأخراً وخساسة الأنذال وضعاً جيّدا

والعكس بالعكس.

* إن الحسد هو الحسد غير أنه قد كان بالأمس على نخلة، واليوم قد يكون على سيارة.

* إن التعاون هو التعاون وإذا كان بالأمس لزراعة أرض بالمحراث فقد يكون اليوم لزراعة أرض بالحراثة.

* إن الحقائق ثابتة لكن صورها متغيرة، ولكن الصور لا تغير شيئاً من الأحكام الأصلية على تلك الحقائق.

إذاً

* بما أن فطرة الإنسان لم تتغير فما أصلحها بالأمس هو عين ما يصلحها اليوم مع تغير في الأشكال والصور دون مساس بالأصول الثابتة.

* إن الذي خلق الإنسان ـ الذي لم يتغير خلقه ـ قد وضع له منهاجاً وأنزل له هدى يصلح أمره ويقيم حياته على خير وجه. قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

ومن الناحية العملية فالواقع شاهد لا يكذبه أحد فقد كانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية ممتدة رقعتها من بلاد الصين شرقاً إلى جبال أسبانيا غرباً، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية تخفق الراية الإسلامية على ممالكه، وكانت هذه الولايات المختلفة تضم أمماً متباينة الأجناس والعادات والأديان والمصالح من عرب وفرس وروم وغيرهم؛ وقد نظمت الدولة الإسلامية شؤون هذه الأمم والشعوب بقوانين من شريعتها، ولم يحدثنا التاريخ أن المسلمين في عصر من تلك العصور استمدوا قانوناً من تشريع غيرهم أو استقدموا مستشاراً قانونياً أجنبياً لتشريع قوانينهم؛ بل كلما

فتح الله لقواد الجيوش ولايات، فتح الله بالعلماء للتشريع أبواباً من الاجتهاد والاستنباط، وما ضاقت الشريعة الإسلامية عن حاجة ولا قصرت عن مصلحة، ولا اصطدمت مع مصالح مسلم أو يهودي أو نصراني؛ بل عاشوا في ظل عدالتها وتسامحها عيشة راضية؛ هذا ولقد نشأت الشريعة في بيئة صحراوية بدائية. لكن ربها هو رب الإنسان الذي يعلم ما يصلح عباده في مختلف الأزمنة والأمكنة، كما يشهد بذلك التاريخ والواقع وينطق به كثير من المنصفين من غير أبناء الإسلام.

يقول العلامة: «سانتيلانا» في كتابه[1]: «إن في الفقه الإسلامي ما يكفي المسلمين في تشريعهم المدني إن لم نقل: إن فيه ما يكفي الإنسانية كلها».. أما البحاثة الأمريكي «هوكنج» أستاذ الفلسفة بجامعة هارفرد، فقد قال في كتابه «روح السياسة العالمية»: «إن سبيل تقدم الممالك الإسلامية ليس في اتخاذ الأساليب الغربية التي تدعي أن الدين ليس له أن يقول شيئاً عن حياة الفرد اليومية وعن القانون والنظم السماوية وإنما يجب أن يجد المرء في الدين مصدراً للنمو والتقدم.

وأحياناً يتساءل البعض عما إذا كان نظام الإسلام يستطيع توليد أفكار جديدة، وإصدار أحكام مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية.

فالجواب على هذه المسألة هو أن في نظام الإسلام كل استعداد داخلي للنمو، لا بل إنه من حيث قابليته للتطور يفضل كثيراً للنظم المماثلة، والصعوبة لم تكن في انعدام وسائل النمو والنهضة في الشرع الإسلامي وإنما في انعدام الميل إلى استخدامها، وإني أشعر بكوني على حق حين أقدر أن الشريعة الإسلامية تحتوي بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض».

---

(١) Avaut - Pyoget ducodecivilet Commer cioltunieıen.

وهــذا هو الدكتور «إيزيكو إنسابا توحين» يقول: «إن الإسلام يتمشى مع مقتضيات الحاجات الظاهرة، فهو يستطيع أن يتطور دون أن يتضاءل في خلال القرون ويبقى محتفظاً بكامل ما له من قوة الحياة والمرونـة.. فهـو الذي أعطى للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً، وشريعتـه تفـوق في كثير الشرائـع الأوروبية»..

ولا عجب في ذلك.. لأنها شريعة الله العليم الحكيم الخبير.

ولامتياز الشريعـة الإسـلامية فقـد قرر المؤتمـر الدولـي المنعقـد في (لاهاي) سنة ١٩٣٢ أن تكون الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر القانون المقارن فأصبحت المصـادر الـدولية للقانـون المقـارن أربعـة: القـوانين الفرنسية، القوانين الألمانية، القوانين الإنجلزية، الشريعة الإسلامية.

ليس هناك من هو أعلم من الله بما يصلح أحوال خلق الله.

﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٤٠)

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ﴾ (الحجـرات: ١٦)

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ﴾
(النجـم: ٢٢)

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (التين: ٧، ٨)

الفصل الرابع عشر
حقيقة الحياة

أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً:

س: هل خلق الإنسان عبثاً؟

ج: لا.. ما خلق الله الإنسان عبثاً ولن يتركه يذهب سدى.

ألا ترى:

* أن عينك ما خلقت عبثاً وإنما خلقت لحكمة.
* أن أنفك ما خلق عبثاً وإنما خلق لحكمة.
* أن يديك ما خلقتا عبثاً وإنما خلقتا لحكمة.
* أن أصغر عرق في جسمك ما خلق عبثاً وإنما خلق لحكمة.
* ومن أراد أن يعلم أجزاء جسمه وكيانه فعليه أن يدرس كما يدرس الأطباء وغيرهم علم «وظائف الأعضاء» وعلم النفس سنوات عديدة.

إذاً

إذا كان كل جزء منك قد خلق لحكمة فمما لا شك فيه أنك أيها الإنسان بأجمعك قد خلقت لحكمة ولم تخلق عبثاً. قال تعالى:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

(المؤمنون: ١١٥، ١١٦)

س: وهل تختلف الحكمة من إنسان لآخر؟

ج: إن الحكمة التي خلق الإنسان من أجلها واحدة.

ألا ترى

* أن الحكمة من عينيك هي نفس الحكمة من عيني أي غني أو فقير أو رئيس أو مرؤوس، أو عالم أو جاهل في زمنك أو زمن الرسول ﷺ، أو زمن فرعون أو زمن نوح أو زمن آدم عليهما السلام.

* وكذلك الحكمة من كل جزء من أجزاء الإنسان واحدة في الجنس الإنساني بأكمله على اختلاف الزمان والمكان.

* وأن التركيب الإنساني الجسدي والنفسي والروحي والعقلي واحد لم يتغير في الجنس البشري على اختلاف الزمان والمكان.

إذاً

إذا كان التركيب الإنساني واحداً، والفطرة البشرية واحدة لم تتغير في بني الإنسان، فالحكمة من خلقهم لا بد أن تكون واحدة ولا تتعلق بزمن أو مكان، أو بجاه، أو غنى أو فقر أو علم أو جهل، إنما تتعلق بأصل الفطرة الإنسانية والتركيب الإنساني. قال تعالى:

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠)

الحكمة متعلقة في الدنيا والآخرة:

س: وما هي الحكمة من خلق الإنسان؟

ج: إذا حصرت نظرك على نطاق الدنيا لن تجد لوجود الإنسان أي حكمة أو معنى، فإن قلت الحكمة من وجود الإنسان:

١ ـ الحياة. فلماذا يموت؟

٢ ـ العمل. فلماذا يعجز وينتهي ويموت؟

٣ ـ المتعة. فلماذا يتعب ويموت؟

٤ ـ البناء. فلماذا يخرّب ويهدم ويترك كل ما بنى ويموت؟

٥ ـ الصراع من أجل الأحسن... فلماذا ينتكس إلى الأسوإ ولماذا يموت؟

* وإذا تأملت إلى حياة جيلنا وفكرت وجدت عجباً.. فهو قبل أعوام لم يكن له وجود على هذه الأرض.. وبعد مائة عام سيخرج من هذا الوجود فلماذا جاء هذا الجيل إلى الدنيا؟ ولماذا خرج منها؟ ولماذا تتعاقب الأجيال على نفس المنوال: قال تعالى:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ (يس: ٣١، ٣٢)

إن من حصر نظره في نطاق الأرض يبحث عن الجواب والهدى لن يجد إلا ما وجده الكافرون: تيهاً وضلالاً وخبطاً وعمًى وسؤالاً، بل وأسئلة بدون جواب.

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ (الروم: ٧)

فإذا تعلمنا ما جهلنا ممن أرسلهم الله ليعلمونا ما غاب عنا من أمرنا عرفنا الهدى وخرجنا من حياة التيه والعمى التي يحياها الكافرون إلى حياة النور والهدى.

قال تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦)

وبهذا الهدى تعلمنا من خالقنا أنه قسم حياتنا قسمين:

١ ـ الحياة الدنيا دار الابتلاء بما استخلفنا الله عليه.

٢ ـ الحياة الأخرى دار الجزاء.

٣ ـ وأن الموت هو الانتقال من دار الابتلاء إلى دار الجزاء.

الحياة الدنيا دار استخلاف وامتحان:

س: ما معنى أن الله استخلف الإنسان في الدنيا؟

ج: أ ـ إذا تأملنا في موقف الإنسان على الأرض وجدناه في موقف المستخلف عليها من قِبَل مالكها.

* فالإنسان لم يخلق على هذه الأرض مما ينتفع به ويستخدمه أو مما هو مسخر لمنفعته ومصلحته. قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: ٢٩)

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام: ١٠٢)

بل لا يملك من نفسه شيئاً، لا يملك يده ولا لسانه ولا عينه ولا رجله ولا يملك عرقاً ولا عظماً ولا جلداً ولا لحماً ولا عصباً ولا حتى قطرة دم، لأنه لم يخلق من ذلك شيئاً. قال تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ (الواقعة: ٥٧، ٥٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٢١)

ب ـ ومع أن الإنسان لا يملك شيئاً من نفسه ولا مما حوله فهو من

الناحية العمليّة في مكان المالك، فقد أعطي من الصلاحيات والقدرات والإمكانيات ما جعله يسخر كل شيء في الأرض لمصلحته، وينتفع بالقوى والخيرات وغيره من المخلوقات حتى سمي الإنسان «سيد الأرض» قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥)

ج ـ ومن الواضح أن هذه المنزلة التي احتلها الإنسان لم تكن إلا بما أودع الله فيه من طاقات ومواهب وكفاءات من جانب، ومن الجانب الآخر بتسخير ما في الأرض جميعاً له مع عدم خلق من ينافسه أو يتغلب عليه ويستضعفه.

فمنزلة الإنسان إذاً في هذه الأرض منزلة المالك لما فيها ولكنه لا يملك منها شيئاً، لأنه لم يخلق منها مثقال ذرة، فتعرف إذاً أن منزلة الإنسان في الأرض هي منزلة المستخلف عليها من قبل مالكها الحق، ومالك الإنسان.

قال تعالى:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾

(الأعراف: ١٢٩)

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾

(النمل: ٦٢)

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ١٦٥)

ونجد أن الإنسان المستخلف يستخلفه المالك الحق على ما شاء. فليس الإنسان هو المختار لزمانه أو مكانه أو أبويه أو مواهبه أو مجتمعه أو صورته أو عمره، أو أبنائه أو جنسه (ذكراً أو أنثى) وهذه الأمور جميعاً تحدد ما يستخلف الإنسان عليه كماً وكيفاً. كما أن المالك يسترد كل ما استخلف الإنسان عليه متى شاء فيخرج الإنسان كما دخل، وقد سلم الودائع جميعاً وترك كل ما سكن فيه. قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ (الأنعام: ٩٤)

إذاً

الإنسان عبد مستخلف على الأرض بتقدير سيده ومالكه، خالقه وخالق كل شيء.

س: وما معنى أن الأرض دار ابتلاء وامتحان للإنسان؟

ج: معنى ذلك: أن الله يستخلف الإنسان على هذه الأرض لمدة محدودة وأجل معلوم، لمعرفة طاعة عبده من معصيته.

وتمييز المؤمن من الكافر والمطيع من العاصي، حتى يكون الجزاء في الآخرة على ضوء ما قدم الإنسان من عمل في الدنيا، وكل إنسان ممتحن فيما استخلفه الله عليه؛ فالله سبحانه وتعالى قد خلق الجن والإنس ليعبدوه. والعبادة معناها: الطاعة والخضوع والانقياد. قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٦، ٥٨)

ولكن الله ما شاء أن يرغم الناس على عبادته فخلقهم خلفاء له على الأرض، وأرسل إليهم رسلاً ورسالات، طلب منهم أن يخضعوا لأمره وأن

يطيعوه ويعبدوه باختيارهم في المهلة المعطاة لهم على الأرض، فمن اتبع الهدى وأطاع ربه فقد فاز في الامتحان ونجح في الابتلاء، ومن أبى فقد ضل، وفي النار هوى.

لأن الفائز المؤمن عرف ربه وخالقه، وعرف وجوب طاعته والخضوع له، وعلم ما أرسل ربه من هدى فاتبع الهدى وهو قادر على المعصية فاستحق الجنة.

والخاسر الكافر جحد آيات ربه وعصاه وتغافل عن هدى خالقه وسيده، فعصى ربه وهو قادر على الطاعة فاستحق العقاب.

س: وكيف يتحقق الامتحان؟

ج: إن الله سبحانه قد عرفنا أن كل ما في الأرض فانٍ لا يدوم ولا قيمة له وأنه قد غر من قبلنا فتصارعوا عليه، ثم تركوه مرغمين. قال تعالى:

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤)

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص: ٦٠)

﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ (الدخان: ٢٥، ٢٩)

وإذا تأملت في حياتك وجدت صدق هذه الحقيقة، فكل ما مضى من حياتك لا قيمة له قال الشاعر:

ما مضى فات والمؤمل غيبٌ ولك الساعة التي أنت فيها

وما بقي منه إلا عملك الصالح، وما هي إلا سنوات حتى تكتشف هذه الحقيقة في حياتك بأكملها بل في حياة جيلك كله، بل ستجدها واضحة في الحياة البشرية كلها.

ولكن إذا كانت حقيقة الحياة الدنيا تافهة غير باقية، فلماذا تزين في أنظارنا وتجنب إلى قلوبنا وتبدو كأنها دائمة؟.. والجواب.. من هدى خالق هذه الحياة سهل ميسور. إن الله قد زين الآخرة وحبب الإيمان وهدى إلى الطريق. وفي الوقت نفسه زين الدنيا وحببها إلى القلوب، ورسم لنا الطريق الذي نحصل فيه على السعادتين في الدنيا والآخرة.

فمن كان إيمانه قوياً، وخوفه من ربه عظيماً سلك لجمع الدنيا طريق ربه واتبع هدى خالقه، وقاوم الهوى ووسوسة الشيطان ولم ينخدع بزينة الدنيا لينحرف عن الطريق فذلك هو الامتحان وذلك هو النجاح.

وأما إن كان ضعيف الإيمان، لا يخاف ربه فإن بريق الدنيا يخدعه وينطلق لجمع ما في الدنيا من متاع وزينة بأي وسيلة أو طريقة بقتل أو تدمير أو تخريب، بحيلة أو خديعة، وبهذا يظهر كفره أو فسقه فذلك امتحان وذلك هو الفاشل فيه.

قال تعالى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ (الكهف: ٧، ٨)

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤)

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ

عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾
(يونس : ٧، ٨)

إذاً

* الإنسان خليفة مكّنه ربه من استخلاف أرضه.

* الإنسان عبد مملوك، عليه طاعة سيده ومالكه.

* جعل الله استخلاف الإنسان في هذه الأرض طريقاً لمعرفة المطيع من العاصي والمؤمن من الكافر وزين الله له الدنيا الفانية في نظره كما زين له الآخرة الباقية في كتاب، ليتم الامتحان. فإن كان مؤمناً صادقاً سلك طريق ربه وآثر الباقية على الفانية وإن كان فاسقاً أو كافراً استهواه بريق الدنيا الفانية، وانحرف عن الهدى وبذلك كانت الدنيا دار امتحان وكل ما عليها أداة من أدوات الامتحان.

* ثم تنتهي مدة الامتحان بالموت لينتقل الإنسان من دار العمل إلى دار الجزاء.

الحكمة من خلق الإنسان :

وإذاً فالحكمة من خلق الإنسان، هو أن يكون خليفة الله في أرضه يمتحنه ربه: أيطيعه ويعبده، أم يعصيه ويكفر به، ثم ينقله بالموت من دار المهلة والعمل، إلى دار الجزاء على ما قدم.

* وهذه الحكمة واحدة من خلق كل إنسان في كل زمان ومكان.

* وكل إنسان مستخلف على ما شاء الله أن يستخلفه وهو ممتحن فيما استخلف عليه. قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

* وكل إنسان سيموت ليلقى جزاء عمله.

حياة الكفار:

س: وعلى أي هدف يعيش الكفار؟

ج: إن الكافرين يعيشون لأهداف دنيوية محضة وهم في الوقت نفسه يتساءلون أيأكلون ليعيشوا؟ أم يعيشون ليأكلوا؟

ولا يدرون ما الحكمة من خلقهم ولا الحكمة من مجيئهم إلى هذه الدنيا ولا يعرفون لماذا يموتون؛ إنهم والأنعام بدرجة واحدة، يعيشون لا يدرون لماذا؟ قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾

(محمد: ١٢)

الخلاصة

* كل جزء في الإنسان يشهد أن الله خلقه لحكمة. والتكوين البشري الموحد الذي لا يتغير باختلاف الزمان والمكان يشهد أن الحكمة واحدة من جميع البشر.

* الحكمة من خلق الإنسان متعلقة بالحياة الدنيا والآخرة. وهي لا تظهر لمن حصر نظره في نطاق الدنيا فقط.

* أعطى الخالق عبده الإنسان صلاحيات الخلافة على الأرض وجعل ما استخلف فيه أداة لمعرفة طاعة الإنسان من معصيته وكفره من إيمانه. وزين الدنيا في نظر الإنسان كما زين الآخرة في كتابه فمن كان قوياً في إيمانه سار على هدى ربه ومن كان ضعيفاً في إيمانه غره بريق الدنيا فحرفه عن الطريق وبذلك كانت الدنيا دار استخلاف وامتحان وكان الإنسان هو الخليفة الممتحن.

* أما الكافرون فهم يعيشون في تيه وعمى يدخلون إلى الدنيا لا

يدرون لماذا؟ ويعيشون عليها لا يدرون لماذا؟ ويخرجون منها لا يدرون لماذا؟

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . (الصافات : ١٨٠)